# مُقدِّمة
# في
# أصوات اللغة العربيّة
## وفنّ الأداء القرآني

تأليف
دكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي
أستاذ أصول اللغة
بكليّة اللغة العربيّة بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وبعد ..

فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب منذ ما ينيف على عشر سنوات ، وكنت خلال هذه الفترة أعاود النظر في الكتاب حتى يسر الله سبحانه بهذه الطبعة الجديدة المنقحة ، التي حفلت بعديد من الموضوعات التي لم تتضمنها الطبعة الأولى ، وكان من ذلك على سبيل المثال إضافة الخواص الفيزيائية للمصوتات العربية وإعادة كتابة ما يتعلق بالوحدات الصوتية ووظائفها في اللغة العربية ، خاصة ما يتعلق من ذلك بالوظائف البنائية للحركات العربية التي كان يظن أن دورها مقتصر على أداء الوظائف النحوية والصرفية .

وفيما يتعلق بالملامح الأدائية فقد أضفت ملمحا هاما ، هو ما يسمى في التراث بـ « الوقيفة أو السكتة » ، ويطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة مصطلح « المفصل » ، وقد تناولت هذا المبحث بشيء من التفصيل يكشف عن دوره الهام في أداء الوظيفة النحوية في الجملة العربية .

وفيما يتعلق بالأداء القرآني فقد تناولت هذه الطبعة مسألتين هامتين هما :

١ ـ ما يتعلق بأحكام النون الساكنة والتنوين من الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .

٢ ـ ما يتعلق بالمد والقصر ، وعلاقة ذلك بالصفات أو الخواص غير الفارقة للمصوتات العربية .

لقد عالجنا هذين الموضوعين من وجهتي نظر متكاملتين ، هما : التراث ، والدرس الصوتي الحديث .

نسأل الله سبحانه أن يبارك في هذه الطبعة كما بارك في سابقتها ، وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ،،

**د.عبد الفتاح عبد العليم البركاوي**

القاهرة ـ أكتوبر سنة ٢٠٠٢

## محتويـــات الكتـــاب

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة الطبعة الثانية ................ | ٣ |
| تمهيد : نشأة الدراسات الصوتية وتطورها .... | ٩ |
| التفكير الصوتى عند الهنود ............ | ١١ |
| البحث الصوتى عند العرب ............ | ١٢ |
| التفكير الصوتى عند الغربيين ............ | ١٨ |
| الفوناتيك ..................... | ٢٤ |
| الفونولجى ..................... | ٢٦ |
| الفصل الأول | |
| الصوت الانسانى ................ | ٣٥ |
| الصوت الانسانى وعملية الاتصال ......... | ٣٥ |
| جهاز النطق .................... | ٣٨ |
| الحنجرة ..................... | ٤٠ |
| الأوتار الصوتية ................ | ٤٣ |
| الوظائف الصوتية للحنجرة ............ | ٤٨ |
| الحلق ..................... | ٤٩ |
| اللهاة ـ اللسان ................ | ٥٠ |
| الحنك ..................... | ٥١ |
| الأسنان ـ الشفتان ................ | ٥٢ |
| التجويف الأنفى ................ | ٥٣ |
| طبيعة الصوت وكيفية انتقاله ......... | ٥٥ |
| شدة الصوت .................. | ٥٧ |
| نوع الصوت .................. | ٥٨ |
| مجال الصوت وطبقته ............ | ٥٨ |
| استقبال الصوت ................ | ٥٦ |
| الفصل الثانى | |
| الأصوات العربية ................ | ٦٥ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

أصوات الحركة .................... ٦٧
الحركات المعيارية ................ ٧١
تقسيمات أصوات الحركة ............... ٧٩
أقسام الحركات باعتبار الوضع الأفقي للسان .... ٨٠
" " " الرأسي " .... ٨٠
" " " وضع الشفتين ......... ٨١
" " " زمن النطق ......... ٨٢
" " " من الناحية الفيزيائية ... ٨٣
الحزم الأفقية والرأسية ............ ٨٤
الحزم الترددية في الحركات ......... ٨٥
أصوات الحركة الأساسية والثانوية ....... ٨٦
الرموز الدولية للحركات ........... ٨٨
أصوات الحركة في العربية وعلاقتها بالحركات
المعيارية .................. ٩١
أقسام أصوات الحركة في العربية الفصحى ..... ٩٤
أنصاف الحركات ................ ٩٧
الأصوات الصامتة ............... ٩٩
أولا : باعتبار المخرج ........... ١٠٤
ثانيا : باعتبار اهتزاز الأوتار الصوتية ..... ١١١
ثالثا : باعتبار نوع ودرجة اعتراض الهواء .... ١١٢
رابعا : باعتبار شكل اللسان ......... ١١٧
الصفات الثانوية للصوامت .......... ١١٨
الفصل الثالث
الوحدات الصوتية في العربية الفصحى ..... ١٢١
الوحدة الصوتية ............... ١٢١
الفونيم .................... ١٢٢
التعريف الوظيفي للوحدة الصوتية ....... ١٢٧
الوحدات الصوتية وقضية الابدال ....... ١٢٩

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


التعريف الصوتي للفونيم .............. ١٣١
مفهوم الوحدة الصوتية في التراث العربي ...... ١٣٥
ابن جني ووظائف الوحدات الصوتية ........ ١٣٧
الوظيفة البنائية للمصوتات العربية ......... ١٤٤
وظيفة الحركات ( المصوتات ) في التقابلات الثلاثية
الوحدات الصوتية في اللغة العربية في ضوء نظرية
الصفات الفارقة .............. ١٥١
الوحدات الصوتية المصوتة ( الحركات ) ...... ١٥١
الصفات الثانوية للمصوتات العربية ......... ١٥٦
المصوتات العربية في التركيب ( السياق ) ..... ١٦٢
الوحدات الصوتية الصامتة ............ ١٦٨
الصوامت العربية في التركيب ........... ١٧١
المماثلة .................... ١٧٢
المخالفة .................... ١٧٦

الفصل الرابع

الوحدات الصوتية الأدائية .......... ١٨١
المقاطع الصوتية في اللغة العربية ........ ١٨٣
النظام المقطعي للغة العربية .......... ١٨٩
توالي المقاطع في اللغة العربية ........ ١٩٢
المقاطع الصوتية والنبر ............ ١٩٤
النبر في اللغة العربية ............. ١٩٥
المفصل ( الوقيفة ) .............. ١٩٨
التنغيم ..................... ٢٠٤

الموضوع | الصفحة

علم الأصوات والأداء القرآني ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٠٧
علم التجويد ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٠٨
أحكام النون الساكنة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢١٠
المد والقصر ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٣٥
المد والقصر عند علماء الأداء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٤٠
أنواع المد وأحكامه ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٤٦
مراتب المد ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٤٩

* * *

## تمهيـــــد

## نشأة الدراسات الصوتية وتطورهـــا

### البدايات الاولى للبحث الصـــــوتى

ان نعمة البيان هى اجل النعم التى أكرم الله بها بنى الانسان وتبدو هذه النعمة فى أبهى صورها فى الكلام الانسانى الذى جعلـــه اللــه الصفة المميزة لارقى أنواع المخلوقات وأكرمها على الله ، وقـــد بدأ الانسان التفكير فى أمر تلك الوسيلة العجيبة التى حباه الله بهـــا منذ أقدم العصور حتى أنه ليقال ان البحث فى اللغة الانسانية قديـم قدم هذه اللغة نفسها ، وليست لدينا الان وسيلة نستطيع بهـــا أن نحدد على وجــه الدقة متى بدأ الانسان يفكر بطريقة علمية ومنظمـــة فى أمر هذه اللغة عامة وما تتكون منه من أصوات بصفة خاصة ، ولعـــل أقدم الوثائق التاريخية التى تشير الى شىء من ذلك هى تلك الـــتى تم العثور عليها فى أرض الرافدين ( العراق ) وهى مكتوبة بالخـــط الاكادى المسمارى [1] ويرجع تاريخها الى منتصف الالف الثالـــث قبل الميـــلاد وتشير هذه الالواح الى أمرين فى غاية الاهمية هما :

١ — أن الساميين القدماء كانوا أول من عرف الدرس اللغوى فـــى صورة تكاد تشبه الان وضع معاجم متعددة اللغة اذ تضمنـــت

---

(١) الاكاديون هم قوم من الساميين عاشوا فى أرض العراق القديـــم بعد أن تغلبوا على السومريين وتعرف لغتهم بأسم اللغـــــة الاكادية نسبة الى مدينة أكادا ( فى شمال بابل القديمـــة ) التى اتخذوا منها عاصمة لملكهم . أما الخط المسمارى الذى كتب

هذه الالواح ألفاظا أكادية وما يقابلها من اللغة السومريـــة وخاصة ما يتعلق من ذلك بالالفاظ القانونيـــة [١] .

٢ — أن الطريقة التى كتبت بها هذه الالواح تشير الـــى أدراك الاكاديين للفرق بين عنصرى الاصوات الرئيسيين وهمـا الحروف الصامتة والحركات اذ أن الكتابة الاكادية كتابة مقطعية تسجل المقطع الصوتى كاملا بما تشتمل عليه من صوامت وحركات وقد أنفردت الكتابة الاكادية بهذه الميزة من بين كافة الكتابات السامية القديمة التى أكتفت بكتابة الحروف الصامتة فقط . [٢]

أننا لانعرف على وجه اليقين ما اذا كانت كتابة الحركات هذه قد أبتدعها الاكاديون أم أنهم كانوا قد ورثوها عـــن السومريين [٣] ولكن الثابت على وجه اليقين الآن أن اليونانيين القدماء ليسوا هم أول أمـــة كتبت الحركات أو عرفت نظام المقاطع الصوتية كما يعتقد بعض الباحثين [٤]

--------

== يه هذه اللغة فهو من النوع المقطعى الذى يسجل الصوامت والحركات

(١) انظر كتابنا محاضرات فى فقه اللغة ط٢ ص ٢٧

(٢) انظر Von soden Das Akkdische; S .34
ومن المعروف أن كتابة الساميين القدماء وخاصة الفنيقيين هى أصل الكتابات المعروفة فى العالم فعن الفنيقيين أخذ الاغريق والمصريون القدماء النظام الابجدى فى الكتابة ومن ثم فان الخط الفنيقى هو أصل الخطوط المعروفة حتى الآن فى العالم بأســـره ..

(٣) السومريون أمة قديمة كانت تقطن العراق قبل أن يفد اليه الاكاديون وقد تركوا فى اللغة الاكادية بعض الاثار اللغوية الهامة لانهم عايشوا الاكاديين فترة من الزمن ثم أختفت آثارهم منذ النصف الثانى من الالف الثالث قبل الميلاد ..

(٤) انظر كتاب علم الصوتيات لاستاذينا عبد الله ربيع وعبد العزيز علام ص ٦٢ ...

ومما لاشك فيه أيضا أن ادراك تكون الكلمة من عدة مقاطع صوتية [1]
وتكون المقطع من صوت صامت ( أو أكثر ) + حركة وتسجيل ذلك
عن طريق الكتابة مما يدل على وعى عميق بالخصائص الصوتية للغة
وعلى دقة التفكير الصوتى لدى هذه الامة السامية العريقة [2] .

## التفكير الصوتى عند الهنود

لقد أخذ التفكير الصوتى ينمو بعد ذلك لدى أمم الشرق القديم
حتى وجدناه يأخذ الصورة العلمية فيما سجله العلماء الهنود عن
أصوات لغتهم مدفوعين فى ذلك بالرغبة فى تلاوة كتابهم المقدس "الفيدا"
تلاوة سليمة وهذا يذكرنا بالدوافع التى حدث بالمسلمين بادئ ذى
بدأ الى الدراسة الصوتية حفاظا على الاداء القرآنى السليم ، ولقد
تركزت جهود العلماء الهنود على تفسير وشرح النصوص المكتوبه باللغة
الهندية القديمة وتوجت هذه الجهود بكتاب بانينى المعروف
"Aṣṭādhyayī" ومعناه "الكتب الثمان" الذى أحتوى
٤٠٠٠ قاعدة تشمل وصفا دقيقا للغاية للغة الهندية القديمة من

---

( ١ ) انظر فى معنى المقطع الصوتى الفصل الثالث من هذا الكتاب
( ٢ ) يمكن تصور هذه العراقة اذا عرفنا أن أقدم نص أوربى مكتوب
بالخط الجرمانى القديم الذى يسبق بمراحل كثيرة كتابه هذه
اللغة بالحروف الرومانية الحالية يرجع الى القرن الثانى بعد
الميلاد ، أنظر W. Kraus Runen; S;35
" رونن " هذه تعنى الكتابه الجرمانية فى أقدم صورها المعروفه

من حيث بنائها الصوتى والصرفى والنحوى [١] وكان هذا العمل الرائع الذى يرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد " عملا تحليليا وصفيا تناول صوتيات لغة الهند القديمة وتأكيد مقاطع الكلمات فى النطق بوصف دقيق يدل على دقة البحث وعمق الدراسة [٢] .... وقد أشار بانينى فى كتابه هذا الى أعمال سبقت ولكنها بادت الان ومن ثم لايمكننا التعرف على طبيعتها ولكن يؤكد بالطبع أن الدرس الصوتى عند الهنود قد تقدم هذه الفترة ( القرن الرابع قبل الميلاد ) بزمن غير قصير ، وقد أستطاع الهنود معرفة كثير من الحقائق الصوتية كتقسيم الاصوات اللغوية بحسب مخارجها وصفاتها كما عرفوا الظواهر الادائية فى لغتهم كالنبر والتنغيم [٣] وقد أهتم الغربيون المحدثون بهذه الدراسات أهتماما كبيرا فترجمت الى الانجليزية عدة مرات على سبيل المثال [٤] .

## البحث الصوتى عند العرب

لقد نشأ البحث الصوتى عند العرب فى بدايته جزء من أجزاء النحو بمعناه العام ثم أستعاره أهل الاداء والمقرؤن وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم [٥] ، ولقد بدأت هذه الدراسات الصوتية فى اللغة العربية بمحاولة أبى الاسود

(١) Handbuch der Linguistik S; 438

(٢) ماريوباى لغات البشر ص ٢ الترجمة العربية

(٣) انظر عبد الله ربيع وعبد العزيز علام علم الصوتيات ص ٦١

(٤) ممن ترجمها الى الانجليزية العالم الامريكى الشهير هوتنى

(٥) برجشتراسر ، التطور النحوى ص ٥

الدؤلى ( م ٦٩ هـ ) وضع رموز صوتية للحركات فى القرآن الكريم [١] الا أن هذه الدراسة لم تدخل مرحلة النضج الا فى القرن الثانى الهجرى على يد الخليل بن أحمد وتلميذه النجيب سيبويه .

أما الخليل فقد تحدث فى مقدمة " العين " عن مخارج الحروف ، وقسمها الى صحيحة ومعتلة ، كما تحدث عن الذلاقة والاصمات ورتب معجمه ترتيبا صوتيا مبتدئا بالحلق ومنتهيا بالشفتين ، يقول من روى عنه كتاب العين : نظر ( الخليل ) الى الحروف كلها وذاقها فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها فى الحلق .. ووجد العين أدخل الحروف فى الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الارفع فالارفع حتى أتى على آخرها وهو الميم [٢] .

وقد تحدث فى هذه المقدمة عن تأليف الكلمة العربية وأوضح أن الكلمات الرباعية والخماسية لا تخلو من حرف من الحروف الذلق والشفوية وهى : الراء واللام والنون والباء والميم والفاء ، قال الخليل : فاذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية .. فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب [٣] .

لقد اعتمد الخليل فى وصفه للأصوات من حيث مخارجها على ما كان يحسه بنفسه من اختلاف فى أوضاع المنطق معها أى على العملية العضلية التى يقوم بها المرء لدى صدور الصوت وعلى وقع هذا الصوت فى

(١) انظر عبد الله ربيع وعبد العزيز علام " فى فقه اللغة " ص ١٨٠ و " علم الصوتيات " ص ٦٤

(٢) كتاب العين ١/٤٧ .

(٣) السابق ١/٥١ .

أذن السامع دون أن يكون لديه شيء من الامكانات الحديثة ومن دون معرفة بنظريات التشريح وقد أيد علم الأصوات الحديث كثيرا مما ذهب اليه (١) بحسه المرهف وتوصل اليه بعبقريته الفذة .

وأما سيبويه فقد انطلق في دراسته للأصوات العربية من منطلق صوتي بحت هو أثر تجاور الحروف المتماثلة والمتقاربة والمتجانسة في عملية الادغام وقد تحدث عن الابدال والمضارعة في الصوامت كما تحدث عن الإتباع والإمالة في الحركات ( أو المصوتات ) ، وكان ما كتبه سيبويه عن مخارج الأصوات العربية وصفاتها هو الأساس الذى اعتمد عليه جل العلماء والباحثين العرب فيما بعد (٢) .

لقد كان من إبداعات هذا العالم الفذ تقسيمه للحروف العربية الى حروف أصول وحروف فروع وهذا يتفق الى حد كبير مع حديث الصوتيين المحدثين عن الوحدات الصوتية والصور الصوتية وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل فيما بعد .

وفي القرن الرابع الهجرى أخذت الدراسة الصوتية على يد أبي الفتح ابن جني (م ٣٩٢هـ) مرحلة الاستقلال بما كتبه هذا الامام العظيم في " سر الصناعة " من بحوث صوتية لم يكتف فيها بجمع آراء سابقيه وانما كانت له في هذا الكتاب وفي غيره إضافات وتوضيحات وشروح جعلته المصدر الوافي لمن يريد معرفة التفكير الصوتي عند العرب كما أشار الى ذلك الأب هنري فليش (٣) .

(١) بتصرف يسير من الدكتور ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ١٠٦ وما بعدها . (٢)

(٣) أنظر " التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب لابن جني ترجمة عبد الصبور شاهين مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٣ ص ٥٠ وقارن بفقه اللغة لربيع وعلام ص ١٨١ وعلم الصوتيات لهما ص ٦٩ .

وتتلخص المباحث الصوتية فى سر الصناعة فيما يلى :

١ — عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها .
٢ — وصف مخارج الحروف ( و هى الأصوات ) وصفا تشريحيا دقيقا .
٣ — بيان الصفات العامة للحروف و تقسيمها الى أقسام مختلفة .
٤ — ما يعرض للصوت فى بنية الكلمة من تغير يؤدى الى الاعلال أو الابدال أو الادغام أو النقل أو الحذف .
٥ — نظرية الفصاحة فى اللفظ المفرد و أنها راجعة الى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج [١] .

لقد أدرك ابن جنى و من قبله سيبويه [٢] الفرق بين الفونيم أى الوحدة الصوتية و الفون أى الصورة الصوتية و سمى النوع الأول بالحروف ( الأصول ) و تشمل حروف العربية التسعة و العشرين و سمى النوع الآخر بالحروف الفروع و قسمها الى قسمين ، حسنة يؤخذ فى القرآن الكريم و فصيح الكلام و هو النون الخفيفة و يقال الخفية و الهمزة المخففة و ألف التفخيم و ألف الامالة و الشين التى كالجيم ........ و غير مستحسنة و هى ثمانية لا يؤخذ بها فى القرآن و لا فى الشعر و هى الجيم التى كالكاف ، و الجيم كالشين [٣] ...... .

و مما لا شك فيه أن النوع الأول و هو الحروف التسعة

---

( ١ ) مقدمة سر الصناعة ص ١٤ .
( ٢ ) أنظر كتاب سيبويه ج ٤ ص ٤٣٢ بتحقيق هارون .
( ٣ ) سر الصناعة ١ / ٥١ .

والعشرون يمثل الوحدات الصوتية ( الفونيمات ) الخاصة باللغة العربية بينما تشكل الأصوات الأخرى ما استحسن منها وما استقبح مجرد صور صوتيه لهذه الحروف ( فونات ) اذ لا يترتب على تقابلها فرق فى معانى الكلمات فكلمة الضحى مثلا تؤدى نفس المعنى أميلت ألفها أو لم تمل لأن الفرق بين الامالة وعدم الامالة ( الفتح ) انما يرجع الى الصورة الصوتية أى أنه فرق فى الفون وليس فى الفونيم وبهذه التفرقة تكون الملاحظات الخاصة بالدراسة الفنولوجية قد بدأت على يد العلماء العرب قبل أن يعرفها العالم الحديث على يد مدرسة براج بفضل جهود تروبتسكى ( ١٩٣٩م) بما يزيد عن ألف عام (١) .

وفى القرن الخامس الهجرى تقدم البحث الصوتى خطوة أخرى الى الأمام بما أبدعته عقلية الفيلسوف والعالم اللغوى ابن سينا ( م ٤٢٨ هـ ) من منهج تفرد به فى كتابه " أسباب حدوث الحروف " الذى تناول فيه الصوت الانسانى كظاهرة طبيعية أى من الناحية الفيزيائية فوصف الصوت الثقيل والحاد والأملس والصلب والمتخلخل كما تناول بعض المسائل التى تتعلق بعلم الأصوات السمعى أو الادراكى (٢) بالاضافة الى اهتمامه الواضح بالناحية الفسيولوجية وخاصة ما يتعلق من ذلك بتشريح

---

(١) أنظر Handbuch der Linguistik . ص٣١١ .
(٢) أنظر أنيس فى " الأصوات اللغوية " ص١٤٠ وما بعدها .

الحنجرة و اللسان فى الفصل الثالث من كتابه المذكور [1] ، ومما يذكره التاريخ لابن سينا أنه لم يقتصر على وصف الأصوات العربية و انما أضاف اليها وصف ما سمعه من أصوات غير عربية تنتمى الى لغات أخرى ذكر منها الفارسية فى الفصل الخامس من كتابه و قارن بينها وبين الأصوات العربية وكان لذلك — فيما أرى — جديرا بأن يكون المؤسس الأول لعلم الأصوات العام و المقارن [2] .

هذا و لم يقتصر البحث الصوتى عند العرب على النحويين و اللغويين وعلماء الطبيعة بل تناوله أيضا علماء التجويد [3] ( الأداء القرآنى ) وعلماء البلاغة [4] بما لا يخرج كثيرا عن الجهود السابقة .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٣ .

(٢) لقد اهتم الغربيون اهتماما كبيرا برسالة الرئيس بن سينا فقام برافمان بترجمتها الى الألمانية و التعليق عليها كملحق لبحثه المعنون " مواد و بحوث فى علم الأصوات عند العرب " و نشرها فى جوتنجن ١٩٣٤ .

(٣) أنظر بحث برافمان المشار اليه فى الملاحظة السابقة اذ تشغل فيه البحوث الصوتية عند علماء التجويد و أهل الأداء القرآني معظم الصفحات ، و أنظر أيضا بحث "أصوات العربية و القرآن الكريم منهج دراستها و تعليمها عند مكى بن أبى طالب " لعبد الله ربيع نشره فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد التاسع ص ٢٢٧ — ص ٢٧٨ .

(٤) أنظر مثلا سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى اذ تحدث فى مقدمته عن مخارج الأصوات و صفاتها و جعل تأليف الكلمة من حروف متباعدة المخارج اول شرط من شروط الفصاحة

## التفكير الصوتي عند الغربيين

إذا كان العرب والهنود قد سبقوا الغربيين في مجال الدرس الصوتي كما أشار الى ذلك بوجشتراسر (١) فإن ذلك يعني أن البحث الصوتي عند هاتين الأمتين كان قد بلغ قديما درجة من النضج والاكتمال لم يصل إلى مثلها الغربيون إلا في العصر الحديث .

لقد ثبت الآن أن البحث اللغوي المشوب بالمنطق عند فلاسفة اليونان الأقدمين كان قد تناول أيضا الأصوات اللغوية بالدرس . وهكذا وجدنا الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس ( ٣٢٢ ق . م ) يتناول في رسالته المشهورة Peri hermeneias ( حول الجملة الخبرية ) يتناول الاصوات اللغوية بالدراسة عندما ذكر (٢) أن العناصر الصوتية المكتسبة من تحليل كلمة ما لابد وأن تكون أما أصواتا ذوات دوي ( مجهورة ) لادخل للسان فيها وكان يقصد بذلك الحركات واما أصواتا لاجرس لها الا بمساعدة اللسان مثل السين والراء ( أي أصوات قد يكون فيها المجهور وغير المجهور ) واما أصواتا لايمكن النطق بها الا بمساعدة الحركة مثل الجيم والدال ( أي أصوات شديدة ) . كما قسم الاصوات أيضا بأعتبار مخارجها وبأعتبار قوة الهواء المصاحبة

---

(١) انظر التطور النحوي ص ٥
(٢) Handbuch der Linguistik; S .347
(٣) يبدو أن عدم معرفة دور الاوتار الصوتية في جهر الاصوات كان هو المسئول عن أضطراب القدماء في تقسيمهم للاصوات وخلطهم في كثير من الاحيان بين الشدة والجهر أو بين الهمس والرخاوة ( أنظر المرجع السابق ص ٤٤٠ ) ....

لها كما قسمها أيضا بأعتبار طولها وقوة النغمة الصاحبة لها [1] .

وفي القرن الثاني قبل الميلاد ظهر أول كتاب عن القواعد Grammer في أوربا وهو كتاب تراكس Techne Grammetiké يتضمن بعض المعلومات الصوتية القيمة مثل تقسيمه للحركات الى طويلة وقصيرة ، كما تحدث عن أشباه الحركات مثل الواو والياء ( اذا لم تكونا حرفي مد ) وعن الحركات المركبة ، وفيما يتعلق بالصوامت فقد قسمها تراكس الى أحتكاكية ( رخوه ) وغير أحتكاكية (شديدة) وتحدث أيضا عن المقاطع الصوتيـــة ..

ولم يزد ماكتبة الرومان في العصور القديمة عما كتبه الاغريق شيئا ذا بال اذ كانوا تلامذتهم ومن ثم كانت معارفهم الصوتية بمثابة رجع الصدى لمعارف اليونان ويبدو هذا واضحا عندما تقارن ما كتبه كل من برسكيان [2] وبلايمون [3] بما كتبه كل من تراكس وأرسطوطاليس

وفي العصور الوسطى كان البحث في الاصوات يشكل جزءا من أجزاء النحو بمعناه العام الذي كان يعني حينذاك علم الكتابة والقراءة الصحيحين " وكانت غايتها لكشف عن كيفية تكون المقاطع ( الصوتية ) من الحروف وتكون الكلمات من المقاطع وتكون الجمل من الكلمات ونطق ذلك كله بطريقة صحيحة [4] وفي القرن الثالث عشر عرف توماس فون

---

( ١ ) تناول كثير من العلماء في أوربا في العصور الوسطى هذا الكتاب بالشرح والتعليق ونقلوه الى لغات عديدة مما جعل له تأثيرا واضحا على المؤلفات اللغوية لذلك العهد ..

( ٢ ) برسكيان عالم لغوي روماني عاش في القرن السادس الميلادي

( ٣ ) بلايمون من أشهر علماء الرومان في القرن السابع الميلادي

( ٤ ) هذا هو تعريف النحو ومقاصده ، كما يوضحها بطرس هيليا في القرن الثاني عشر ، أنظر كتابنا علم اللغة أسسه ومناهجه ط٢ ص ١٩٠ ،

ايرفورت النحو بأنه العلم الذى يكشف ويوضح طريقة الكتابة الصحيحة والفهم الصحيح لما يكتب ، والربط الصحيح لما يفهم ، والنطق الصحيح لكل ذلك ومن ثم فقد أنقسمت مباحث النحو الى : كيفية الاملاء ( طريقة الكتابة ) ، والاشتقاق ، تركيب الجملة ، وأخيرا الاداء الصوتى ( Prosody ) ، تتمثل أهم الاضافات التى البحث الصوتى فى أوربا العصور الوسطى فيما كتبه عالم لغوى أيسلندى غير معروف [1] عالج الاصوات بطريقة لا تختلف كثيرا عن تناول المحدثين لها اذ قسم الاصوات الى قسمين أحدهما : ما يترتب على أختلافه أختلاف المعنى والثانى ما ليس كذلك وهو ما نعبر عنه اليوم بالوحدات الصوتية Phonems والصور الصوتية Phones وقد تحدث عن الحركات فى اللغة الايسلندية ووجد أنه لا يوجد لها سوى خمسة رموز فقط فى حين أنها تشكل ما يزيد عن ثلاثين وحدة صوتية ومن ثم فقد أضاف الى هذه الرموز كثيرا من العلامات الاضافية ليتسنى التعبير عن الصوت الواحد بالرمز الواحد ، وقد تحدث هذا العالم أيضا عن أختلاف الزمن الذى يستغرقه نطق الحروف الصامته [2] وميز بين الحروف ذات الطول البسيط والضعف من خلال علامة تضاف الى الاخير [3] وهكذا تعتبر جهود هذا العالم علامة بارزة فى تقدم البحث الصوتى بشقيه الوظيفى Phonology والنطقى Phonetics

---

(١) انظر Handbuch der linguistik;S. 437

(٢) السابق ص ٤٤٥

(٣) انظر كتابنا علم اللغة ، أسسه ومناهجه ص ٩٥ ، وقارن بعبد الله ربيع علم الصوتيات ص ٧٣ ..

وفى القرن السابع عشــــر كانت جهود كل من والس Walles (١٦٥٣) وهولدر Holder (١٦٦٩) فى أنجلترا من أهـــم الجهود التى تبرز تقدم البحث الصوتى ، اذ تحدث الاول عــن نطق الاصوات بدقة كبيرة وقارن بين الاصوات الانجليزية وما يناظرها فى العبرية واليونانية ، أما الثانى فقد وصف أعضاء النطق وصفـــا دقيقا وميز بين الاصوات المجهورة والمهموسة ووصف نطق الهمـــز وصفا علميا صحيحا ، وفى القرن الثامن عشر توج البحث الصوتـــى بما كتبه هلفاج Hellwag (١٧٨١) عن الحركات[1] وعلاقاتها بعضها ببعض حيث يعزى اليه رسم أول مثلث للحركات الاساسية فى اللغة الالمانية [2] وتمثلت الخطوة التالية فى مجال تقدم البحـــث الصوتى فيما كتبه فون كمبلن Von Kempeln عن ألية الكـــلام الانسانى الى جانب وصفة للالة الناطقة التى أخترعها وقد أحتوى كتابه الى جانب ذلك معلومات صوتية دقيقة عن الاصوات المركبـــة التى تأتى فى أواخر الكلمات أو أوائلها فى كل اللغات الاوربية [3] وتعتبر هذه الدراسة أول بحث فى علم الاصوات التجريبى أو الآلـــى

---

(١) انظر فى ذلك كتابنا علم اللغة ، أسسه ومناهجه ص ٩٥ وقارن بعبد الله ربيع علم الصوتيات ص ٧٣ ..

(٣) أنظر مثلث هلفـاج فى Handbuch der Linguistik 453

(٣) لم تظهر آثار هذا العمل الرائد الا بعد منتصف القرن التاسع عشر حيث أشار اليه واقتبس منه علم الصوتيات المشهور أرنســـت بروكه E. Brücke (حوالى ١٨٦٥) انظـــر Handbuch der Linguistik S;454 وقـــارن بعبد الله ربيع علم الصوتيات ص ٧٣

وفى القرن التاسع عشر سادت البحث اللغوى بصفة عامه المناهج التاريخية والمقارنه ومن ثم فان الجانب الصوتى للغة ما أو المجموعة من اللغات المنتمية الى فصيلة لغوية واحدة كالفصيلة الهندية الاوربية أو الفصيلة السامية مثلا قد خطى بأكبر قدر من الاهتمام — وكانت القوانين الصوتية التى توصل اليها النحاة المحدثون من أمثال بوب وراسك وجريم من أهم أنجازات هذا العصر [1] .

وكان راسك هو أول من طبق معايير التحليل اللغوى المقارن على البحث الصوتى للغة المنطوقة [2] والى جانب المنهج التاريخى والمقارن للدراسات الصوتية فى هذا القرن فقد نمت وازدهرت الدراسات والبحوث التى تهتم بالصوت الانسانى كظاهرة طبيعية ( فيزيائية ) وفسيولوجية يمكن أخضاعها للتجربة العملية وقد شهدت أواخر هذا القرن تدشين مايسمى بعلم الاصوات التجريبى الذى خصه الاب روسلو Rousselot بمحاضراته فى جامعة باريس عام ١٨٨٠ وأشرف على أنشاء أول معمل صوتى فى الجامعة سنة ١٨٩٧ [3] ..

وفى القرن العشرين زاد أهتمام اللغويين الغربيين وغيرهم بالدراسات الصوتية زيادة عظيمة فتشعبت فروعها وأختلفت مناهجها وزادت استفادتها بالنتائج التى قدمتها العلوم الاخرى مثل

---

(١) انظر فى القوانين الصوتية والنحاة المحدثين كتابنا علم اللغة ، أسسه ومناهجه ص ١٠٢ ، ١٢٠ ..
(٢) انظر Jankowsky; the. neogrammarians. P76
(٣) أنشئت لهذا الغرض أيضا مجلة علمية صدرت فى باريس ١٨٩١ واستمرت حتى عام ١٩٠٤ ( انظر فى تطور التأليف فى علم
====

مثل الطب وهندسة الاتصالات ، كما زاد عطاؤها أيضا فى هذه المجالات فاستفاد الاطباء بجهود الصوتيين فى علاج حالات الصم والبكم ، واستفاد المهندسون من حقائق علم الاصوات فى كثير من المخترعات الحديثة الخاصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية .

ولعل أهم ما يلفت النظر فى الدراسة الصوتية فى القرن العشرين هو تمييز العلماء بين دراسة الاصوات فى حد ذاتها أى باعتبارها أصواتا منطوقة وتسمى هذه الدراسة بأسم الدراسة الفوناتيكية وبين دراسة الاصوات بأعتبارها لبنات يتشكل منها النظام الصوتى فى لغة من اللغات وتعرف هذه الدراسة بأسم الدراسة الفونولوجية وسنعرض هنا فى أيجاز لهذين الفرعين ومجالات كل منهما فى البحث الصوتى .

---

=== الاصوات التجريبى Handbuch der Linguistik
S. 120 FF.

## الفوناتيـــــك PHONETICS

هو ذلك الفرع من الدراسة الصوتية الذى يهتم بالاصوات الانسانية فى حد ذاتها أى من " حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل لها تأثير سمعى معين " (١) ، ولما كان الصوت الانسانى يمر بعدة مراحـــل منذ تكونه فى فم الناطق حتى ادراكه لدى السامع فان مجال علـــم الفوناتيك هو البحث فى ذلك الصوت فى مراحله المختلفة التى نجملهـــا فيما يلـــى :

١ — مرحلة تكون الصوت وتسمى بالمرحلة النطقيـــة .

٢ — مرحلة انتقال الصوت ( من فم السامع حتى يصل الى أذن — السامع ) وتسمى بالمرحلة الفيزيائيـــة .

٣ — مرحلة استقبال الاذن للصوت وتسمى المرحلة السمعيـــة أو الادراكيـــة (٢) واذا جاز لنا أن نترجم مصطلـــح

---

( ١ ) كمال بشر علم اللغة العام الاصـــوات ص ٢٨

( ٢ ) هناك مرحلتان أخريان يمر بها الصوت ، الاولى هى تلـــك العملية الذهنية التى تسبق صدور الاوامر من المخ لاعضاء الجهاز النطقى لكى يبدأ فى عملية أصدار الصوت ، والثانيـــة هى المرحلة التى تلى تلقى الاذن للصوت حيث يتم تحويـــل المسموعات الى معان مدركة وتسمى العملية الاولى بأسم Codierung والثانية بأسم Recodierung انظـــر فى هاتين العمليتين- Einführung in die moderne Linguistik ص ٤٧ — ص ٥٦ ولا يهتم البحث الصوتى بهاتين العمليتين عند غالبية العلماء لانهما كما يقول كمـــال بشر ( علم اللغة — الاصوات ص ٩ ) من الجوانب النفسيـــة العقلية واللغوى إنما يعنى بالأصوات المنطوقة فعلا لا بمصادرها أو آثارها النفسية ولان هذه العمليات العقلية معقدة وغامضـــة الى حد يجعل الحكم عليها — من وجهة النظر اللغويـــــة — حكما تعوزه الدقة والوضـــح ..

الفوناتيك بـ " الاصوات " [1] فان مجال البحث فى الاصوات الانسانية ينقسم الى :

١ ــ المجال النطقى ٢ ــ المجال الفيزيائى

٣ ــ المجال السمعى [2]، ويضيف بعض الباحثين الى هذه المجالات مجالا رابعا هو المجال الادراكى ويسمى الجانب النطقى وهو الذى يختص بالنطق باسم علم الاصوات الوظائفى وهو الذى يدرس الاشارة الصوتية كحصلة نشاطات فسيولوجية عضلية وعضوية [3] وبالطبع لا يقصد هنا بالوظائف تلك التى تؤديها الاصوات باعتبارها وحدات صوتية Phnemes يتكون عنها النظام الصوتى للغة بعينها وانما بالوظائف التى تؤديها العضلات أو الاعضاء التى تساهم فى أبراز الصوت .

ان هذه المجالات المختلفة التى يبحثها علم الاصوات يمكن أخضاعها للتجربة المعملية أى أن منهج البحث فى علم الاصوات هو

---

(١) يرى بعض الباحثين العرب تسمية الفوناتيك بأسم " علم الصوتيات " وقد فضلنا هنا مصطلح الاصوات لان النسبة الى الصوت ( صوتى وجمعها صوتيات ) قد يفهم منها ما هو أعم من دراسة الصوت ذاته بحيث يشمل وظيفته أيضا ، انظر فى قضية هذه التسمية أحمد مختار عمر " دراسة الصوت اللغوى ص ٤٥ ، كمال بشر " علم اللغة العام ــ الاصوات ص٢٩ ، عبد الله ربيع " علم الصوتيات " ص ٣٦ .....

(٢) يسمى البحث فى الاصوات فى المجال النطقى باسم علم الاصوات النطقى وفى المجال الفيزيائى باسم علم الاصوات الفيزيائى الاكستيكى ، وفى المجال السمعى أو الادراكى باسم علم الاصوات السمعى أو الادراكى .

(٣) انظر تغريد عنبر دراسات صوتية ص ٢٥ ..

أساسا منهج علمى تجريبى [1] وتبغى الاشارة هنا الى أن مجال النطق هو أهم المجالات التى يهتم بها علماء الاصوات .

## الفونولوجى : PHONOLOGY [2]

يقصد بالفونولوجى ذلك الفرع من الدرس اللغوى الذى يهتم بدراسة الوظائف التى تؤديها الاصوات فى لغة ما أى بالوحدات الصوتية التى يترتب على أختلافها أختلاف المعانى المعجمية للكلمات أو الوظائف النحوية التى تؤديها [3] ويطلق على هذه الوحدات الصوتية

(١) انظر فى المنهج التجريبى فى البحث الصوتى الذى غالبا ما يسمى علم الاصوات التجريبى أو المعملى Handbuch der Linguistik ;S.119 وقارن بعبد الله ربيع ص ١٨ وما بعدها ، احمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٤٣ وما بعدها ...

(٢) لهذا المصطلح فى اللغة العربية ترجمات عدة منها علم الاصوات التنظيمى (كمال بشر ، قضايا لغوية) علم التشكيل الصوتى (تمام حسان ، مناهج البحث فى اللغة) ، علم وظائف الاصوات (محمد احمد ابو الفرج ، فقه اللغة علم النظم الصوتية (تغريد عنبر ، دراسات صوتية)

(٣) وذلك كما فى سائر وصائر حيث ترتب على الاختلاف بين السين والصاد باعتبارهما وحدتين صوتيتين من وحدات اللغة العربية اختلاف المعنى المعجمى للكلمتين ، اما فى نحو جاد أخوك ورايت أخاك فقد ترتب على الاختلاف بين الواو والالف اختلاف المعنى النحوى فالكلمة الاولى فاعل والثانية مفعول ....

مصطلح Phonem ( فونيم ) ومن ثم فقد أطلق بعض العلماء على هذا النوع من الدراسة أسم فونيماتكس Phonematix بسبة الى الفونيم وقد عرف مارتينيه هذا العلم بأنه " هو العلم الذى يعالج الفونيمات على وجه الحصر بأعتبارها تشكل عناصر اللغة [1] .

لقد بدأ هذا النوع من التفكير الصوتى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حيث أدرك كثير من اللغويين الغربيين من أمثال سويت الانجليزى ونورين السويدى وونتلر السويسرى حقيقة الفرق بين الوحدات الصوتية وبين صورها النطقية العديدة [2] وقد أستطاع الاخير أن يفرق بين " نوعين من المقابلات أو المعارضات الصوتية " أحدهما : يستعمل فى اللغة للتفريق بين المعانى والوظائف النحوية للكلمات ، وثانيهما لايفيد هذا الغرض الوظيفى [3] .

ولكن أيا من هؤلاء العلماء لم يستطع أن يضع منهجا لكلا جانبى الدرس الصوتى أى جانب الاصوات بأعتبارها أحداثا واقعية تنتمى الى الكلام الفعلى ( Parole ) وجانبها بأعتبارها أحداثا تجريدية ذات وظائف معينة تنتمى الى اللغة ( Langue ) [4]

---

(١) احمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوى ص ٤٧

(٢) انظر Handbuch der Linguistik ;S.315

(٣) كمال بشر علم اللغة العام ، الاصوات ص ٣٢

(٤) الكلام واللغة ( Parole &Langue ) من المصطلحات التى أبدعتها عقلية رائد علم اللغة الحديث دى سوسير ( ١٩١٣ ) وقد أوضحنا الفرق بينهما فى كتابنا علم اللغة أسسه ومناهجه ص ١٤٧ فأرجع اليه ..

أى إلى ذلك النظام العام الذى يتعارف عليه الناطقون بلغة معينة ( Langage ) وعلى الرغم من أن دى سوسير قد استعمل كلا من الاصطلاحين الفونيتكس والفونولوجى الا أنه كان يعنى بالدراسة الفنولوجية دراسة أصوات الكلام بصفة عامة وبالدراسة الفونيتيكية دراسة التطور التاريخى للاصوات[1]

ولم تتضح معالم الدراسة الفونولوجية وتأخذ طابعها المستقل الا فى أواخر الثلاثينات من هذا القرن بفضل جهود كل من تربتسكى وياكوبسون وغيرهم من مشاهير مدرسة براج اللغوية [2] .

ولما كان الفونيم ( Phonem ) [3] أو الوحدة الصوتية هو المجال الرئيسى الذى تدور حوله الدراسات الفونولوجية فاننا نوءثر أن نسميه من الان علم الوحدات الصوتية [4] .

ويرى البراجيون من أمثال تروبتسكى وماتسيوس وترانكه وسواهم أن الدراسة الفونولوجية هى وحدها الجديرة بأن تدخل فى نطاق علم اللغة

(١) قارن بكمال بشر علم اللغة العام — الاصوات ص ٣٣
(٢) انظر فى جهود هذه المدرسة كتابنا علم اللغة ، أسسه ومناهجه ص ١٥٠ وما بعدها ..
(٣) سنعرض فيما بعد بشئ من التفصيل للوحدة الصوتية أو الفونيم عند حديثنا عن الوحدات الصوتية اللغة العربية
(٤) ترجع هذه الترجمة الى أستاذنا كمال بشر فى كتابه " علم اللغة العام — الاصوات ص ٨ "

أما البحث في الاصوات فهو خارج عن نطاق البحث في اللغة ، لانه عندهم شيء ثانوي وليس هدفا في حد ذاته وان كان وسيلة من وسائل دراسة الاصوات على المستوى الفونولوجي (١) ويؤيدهم في هذه النظرة مدرسة كوبنهاجن التي يرى مؤسسوها من أمثال هيلمسلف وبروندال أن النحو وعلم الوحدات الصوتية والفونولوجيا ) هما أساس الوصف اللغوي أما الدلالات والصور الصوتية ( النطقية ) فانها لاتراعى الا باعتبارها عوامل مساعدة فقط (٢) .

انه اذا كانت الدراسة على مستوى الاصوات تتسم بأنها تجريدية عملية . فانها على مستوى علم الوحدات الصوتية ( الفونولوجيا ) تتصف بانها نظرية علمية وقد تضاف اليها صفة ما لتحديد منهج البحث فيقال مثلا علم الوحدات الصوتية التاريخي أو المقارن أو الوصفي (٣) كما انه قد تضاف صفة العموم الى علم الاصوات للدلالة على أن الدراسة الصوتية لاتختص بأصوات لغة معينة وانما تنظر في الاصوات الانسانية ككل فاذا اريد البحث في اصوات لغة بعينها كاللغة العربية مثلا قيل علم أصوات العربية وحينئذ تكون الدراسة خاصة بهذه اللغة

---

(١) انظر كمال بشر علم اللغة العام — الاصوات ص ٣٦

(٢) انظر في أعمال مدرسة كوبنهاجن كتابنا علم اللغة ، أسسه ومناهجه ط ١ ص ١٠٥٢

(٣) المنهج التاريخي والمقارن والوصفي هي أهم المناهج التي يستخدمها العلماء في البحث اللغوي انظر في هذه المناهج المجالات كتابنا السابق ص ١٦١ ، ص ١٨٠

وان كان هذا لايمنع الباحث من الاستفادة من حقائق علم الاصوات العام في دراسة للغة موضوع البحث ٠

ان الوحدات الصوتية التي يشملها البحث الفونولوجي تشمل نوعين يدرس كل منهما الان على نحو مستقل وهما :

١ — الوحدات الصوتية التركيبية وهي تدخل عنصرا في بناء التركيب اللغوي مثل القاف والالف واللام في كلمة قال العربية ٠

٢ — الوحدات الصوتية الادائية ( غير التركيبية ) وهي تلك التي تلحظ عند الاداء فقط ولا يكون لها عادة رمز كتابي مستقل يدل عليها وذلك كالنبر أو التنغيم وغير ذلك مما يتعلق بدرجة الصوت أو أرتفاعه وبعض العلماء يجعل دراسة هذه الوحدات قسيما للفونولوجي لا قسما منه [1] ويسمى هذا الفرع الاخير بأسم Prosody ويمكن ترجمته بعلم الاداء الصوتي وهو قريب الى حد كبير من علم التجويد ( الاداء القرآني على وجهة الصحيح ) ويترجم كمال بشر هذا المصطلح بأسم التطريز الصوتي أو الظواهر التطريزية[2]

وقبل أن نختتم حديثنا عن فروع الدراسات الصوتية نود الاشارة الى أن هناك من اللغويين من لا يعتد بالفرق بين مصطلح الفونولوجيا ومصطلح الفوناتكس ، بل يعتبرهما مترادفين وقد يطلق أحدهما

(١) انظر Götz , Burgschmidt , Einführung, 28

(٢) انظر علم اللغة العام — الاصوات ص ٤٩ ، ٥٤

ويراد منه ما يشمل الاثنين معـــا [1] وهنـــاك أيضا مـــن
أستعمل مصطلحات أخـــرى غيرهما مثل فونيماتكس Phonematiz
أو فونيكس Phonemiz ويقصـــد بذلك ما يقابل الفوناتكس [2]

---

(١) انظر ماريوباى أسس علم اللغـــة ص ٤٧ وقارن بكمـــال بشر ( علم اللغة ص ٥٣ ) واحمد مختار عمـــــــر ( دراسة الصوت اللغوى ص ٤٦ )
(٢) انظـــر المرجعين الأخيرين فى الملاحظة السابقـــــة ( نفس الصفحـــات ) ....

# الفصـــل الاول

## الصـــوت الانســـانــى

- الصوت الانساني وعملية الاتصـــال
- انتاج الصـــوت
- طبيعة الصوت وكيفيـة انتقالـــه
- استقبال الصـــوت وادراكـــه

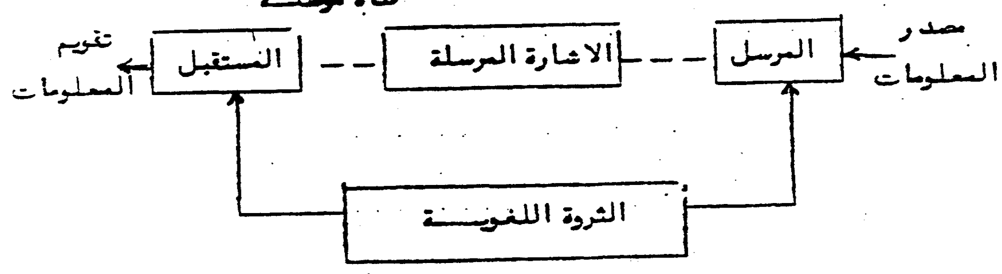
# الفصل الأول

## الصوت الانســــــانى

### الصوت الانسانى وعملية الاتصال

يحدث الصوت الانسانى كأى صوت آخر من اهتزاز مصدره ثم تنتقل هذه الاهتزازات ( الموجات الصوتية ) عبر وسط ما غالبا ما يكون الهواء حتى تصل بعد ذلك الى أذن السامع ثم تتولى مراكز معينة فى المخ ترجمـــة هذه الاصوات المسموعة الى معان ومدركات وهذه الموجات الصوتية هـــى المادة الخام التى تتشكل منها الكلمات فى اللغة الانسانية التى تقــوم بدور الاتصال بين بنى البشر ، وكأى جهاز اتصالى آخر فانه لابد فـــى اللغة من توفر عناصر معينة حتى تؤدى وظيفتها هذه ومن ثم يؤدى النقص أو الخلل فى أى من هذه العناصر الى التشويش أو الإعاقة وبالتالى عدم وفاء اللغة بالدور الاتصالى المطلوب .

ويمكننا أن نتصور دور الصوت الانسانى فى هذه العمليـــــة الاتصالية التى تقوم بها اللغة على النحو الذى يصوره الشكل التالى :



يمثل هذا النموذج البسيط العناصر[1] اللازمه لتحقيق عملية الاتصال التي تكون فيما بينها دائرة مغلقة عناصر الرئيسية هي :

١ ــ المرسل ( المتكلم )
٢ ــ الاشارة المرسلة ( الاصوات)
٣ ــ المستقبل (لسامع)
٤ ــ القناة الموصلة وهي هنا الهواء الذي ينتقل عبره الصوت
٥ ــ الثروة اللغوية وهي مشتركة بين المرسل والمستقبل

المشتركة وهناك أيضا بالاضافة الى ذلك عمليتان ذهنيتان اخريان تسبق أحدهما عملية الاتصال وهي البواعث أو الافكار الخاصة بالمتكلم ( مصدر المعلومات ) وتتمثل هذه العملية في الاختيار الذهني للفظ من الألفاظ كي يعبر به المتكلم عما في نفسه ، وثانيتهما هي عملية التقويم الذهني لما يتلقاه السامع وهاتان العمليتان الاخيرتان خارجتان عن اطار البحث اللغوي عموما[2] ، أما دراسة الثروة اللغوية التي هي "محصلة النظم الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وطريقة أستخدام كل بالاضافة الى الخبرات والتجارب والملابسات

(١) أقتبسنا هذا النموذج بعد ترجمة مصطلحاته الى العربية من Einfuhrung in die moderne Linguistik S.2o4

(٢) وذلك لانهما من العمليات العقلية التي تدخل في أطار علم النفس ولكن فهمهما ولاشك يساعد على تفسير كثير من المعضلات اللغوية وهناك من اللغويين من أمثال اللغوي الامريكي المشهور بلومفيلد من يفسر عملية الكلام بأسره على أنها سلسلة من الافعال ورد الافعال متأثرين في ذلك

المشتركة (١) فان مجال بحثها هو علوم لغوية أخرى — خلاف علم الاصوات — كعلم الوحدات الصرفية ( المورفولوجيا ) والصرف والنحو والمعجم والدلالة .

ويهتم دارس الاصوات بالعناصر الثلاثة الاولى من بين هذه العناصر ونقصد بذلك مرحلة أنتاج الصوت التى يقوم بها المتكلم وهى مرحلة عضوية فسيولوجية يساهم فيها ما يسمى بجهاز النطق لدى الانسان ، ثم تأتى بعد ذلك دراسة مكونات الصوت ذاته والعوامل المؤثرة فيه وتسمى هذه بالمرحلة الفيزيائية أو الاكوستيكية ، ثم تأتى أخيرا مرحلة استقبال الاذن للصوت وتسمى بالمرحلة السمعية أو الادراكية (٢)

---

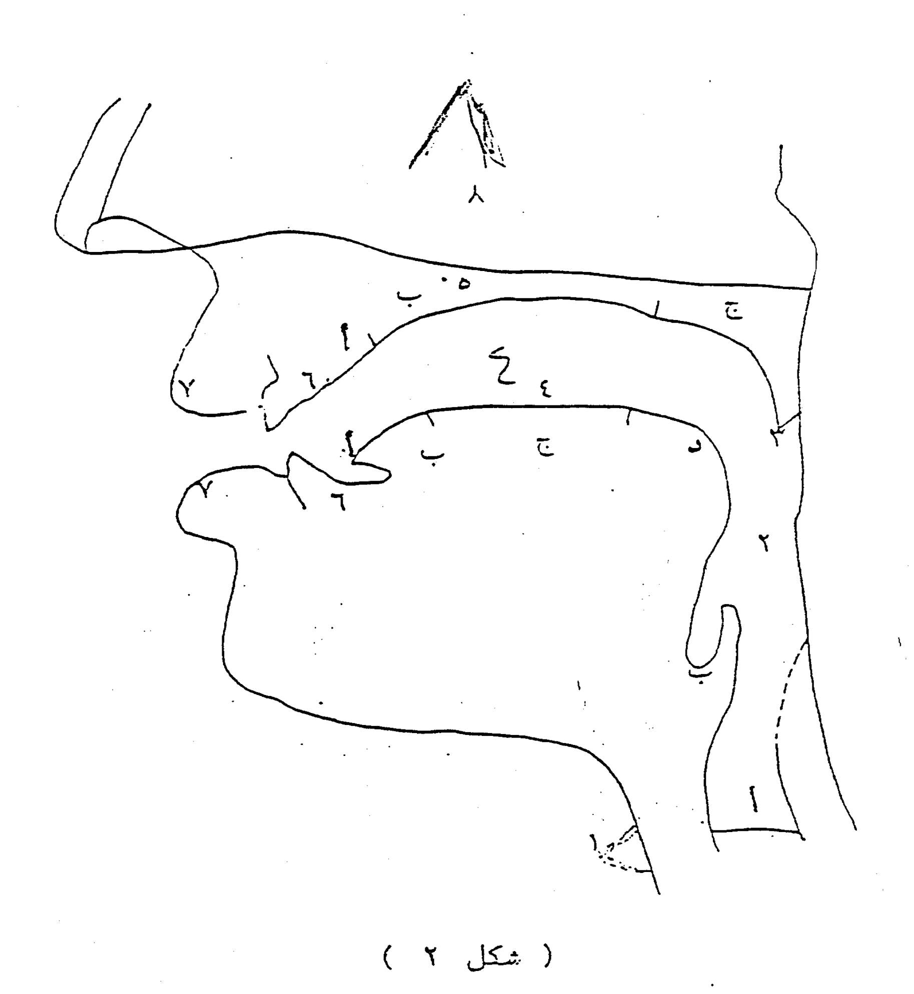
==== بالمذهب السلوكى ( انظر فى ذلك هلبج تاريخ علم اللغة ص ٧٤ وما بعدها )

(١) تغريد عنبر " دراسات صوتية . ة ص ٦٥

(٢) يرى بعض الباحثين فصل مرحلة السمع عن مرحلة الادراك وأعتبار كل منهما على حدة فرعا من فروع علم الاصوات وذلك لانه الادراك أشمل من السمع لانه يمتد الى التعرف على الاصوات والى تفسيرها " انظر المرجع السابق ص ٢٥ ".

## جهـــاز النطـــق

يوضح الشكل التالى أهم أعضاء النطق لدى الانســان




( شكل ٢ )

يمثل الشكل السابق ( ص ٣٦ ) أهم أعضاء النطق[1] وهـــى :

١ ــ الحنجرة وتشمل أ ــ الاوتار الصوتيــة

ب ــ لسان المزمــــار

٢ ــ الحلــق

٣ ــ اللهـــاة

٤ ــ اللسان ويتقسم الى أ ــ ذلق اللسان أو طرفه

ب ــ مقدم اللسان

جـ ــ وسط اللسان ( ظهر اللسان )

د ــ مؤخـــر اللســـان

٥ ــ الحنك وينقسم الى أ ــ أصول الاسنان ( اللثة ومقدم الحنك )

ب ــ الحنك الصلب

جـ ــ الحنك الليــن

٦ ــ الاسنان

٧ ــ الشفتان

٨ ــ التجويف الانفى

وسنتحدث فيما يلى عن عملية أنتاج الصوت ومدى تأثير الاعضاء المشار اليها فى هذه العمليـة

(١) تعتبر وظيفة النطق واصدار الاصوات وظيفة ثانوية لهذه الاعضاء أما وظيفتها الاساسية فهى ما تقوم بها من وظائف التنفس أو الهضم بوجه عام ( أنظر كمال بشر علم اللغة ــ الاصوات ص ٦ ) وقارن بعبد الله ربيع علم الصوتيات ص ٨٥ .

## ١ ــ أنتاج الصـــوت

تساهم في عملية انتاج الصوت الانساني مجموعة من أعضاء الجسم وعضلاته المختلفة ولكل منها دوره الفعال في انتاج الاصوات أو ابرازها على كيفية معينه وقد أصطلح علماء الاصوات على تسمية هذه الاعضاء أو الفراغات التي تصدر الصوت أو يمر من خلالها باسم أعضـــاء النطق أو جهاز النطق [1] (أنظر شكل ٢ ص ٣٦) وفيما يلـى لمحة موجزة عن كل عضو من هذه الاعضـــاء .

### ١ ــ الحنجرة

تتوسط الحنجرة القصبة الهوائية والحلق (تقع أسفل الحلـق وتعلو القصبة الهوائيـــة وتتكون من مجموعة من الغضاريف ترتبـط فيما بينها بمجموعة من الاغشية والاربطه والعضلات وأهمها :

(١) سنكتفي هنا بالاعضاء التي يذكرها علماء الاصوات عادة وهناك الى جانب ذلك أعضاء أخرى لاتقل عنها أهمية في أصدار الصوت وهي الحجاب الحاجز ــ القفص الصدري ــ الرئتان القصبة الهوائية (تسمى هذه الاربعة بأعضاء أو عضلات التنفس انظر في وصفها التشريحي وطبيعة عملها ووظيفتها النطقيـــة تفريد عنبر دراسات صوتية ص ٦٨ ــ ٧٥، وعبد الله ربيـع علم الصوتيات ص ٨٧ ــ ٩١ .
وتتلخص أهم وظائف هذه الاعضاء النطقية فيما يلي :
يقوم الحجاب الحاجز والقفص الصدري معا بعملية انقباض وانبساط ينجم عنها دفعات هوائية منتظمة أتخذ منها بعض العلماء أساسا لتقسيم الكلام الى مقاطع صوتية (انظر الفصل الرابع)
أما الرئتان فأنهما تقومان بأنتاج هواء الزفير الذي يتكون منـه معظم الاصوات الانسانيـة وتقوم القصبة الهوائية بنقل هذا الهواء الى الحنجرة حيث تتم عملية تعديله كما أنها تعمل كفراغ رنان مع بعض الاصوات ..

١ ـ الغضروف الدرقى : وهو أكبر وأهم غضاريف الحنجرة وهو ناقص الاستدارة من الخلف وعريض بارز من الامام [١] ويعرف هذا البروز الحنجرى بأسم تفاحة الادم ويظهر بصورة واضحة عند الرجال البالغين ويكاد يختفى عند النشاء والاطفال ..

٢ ـ الغضروف الحلقى [٢]، وهوغضروف كامل الاستدارة ولكنه عريض من الخلف ضيق من الامام " ويتصل بأول حلقة من حلقات القصبة الهوائية .... وقاعدته السفلى أفقية وتكون قاعدة الحنجرة ومحيطها فى نفس الوقت ، أما ظهره فيكون الحائط الخلفى للحنجرة [٣]

٣ ـ الغضروفان الهرميان ، عبارة عن زوج من الغضاريف لكل منهما شكل الهرم المقلوب أى قاعدته الى أعلى (انظر شكل ٣ ) ويتصل بهما زوج آخر من الغضاريف يسمى الغضروفان القرنيان اللذان يلتصقان بالطية المحيطة بفتحة المزمار [٤] التى تقع بين الوترين الصوتيين ولهذين الغضروفين أثر بارز فى عمل الاوتار الصوتية

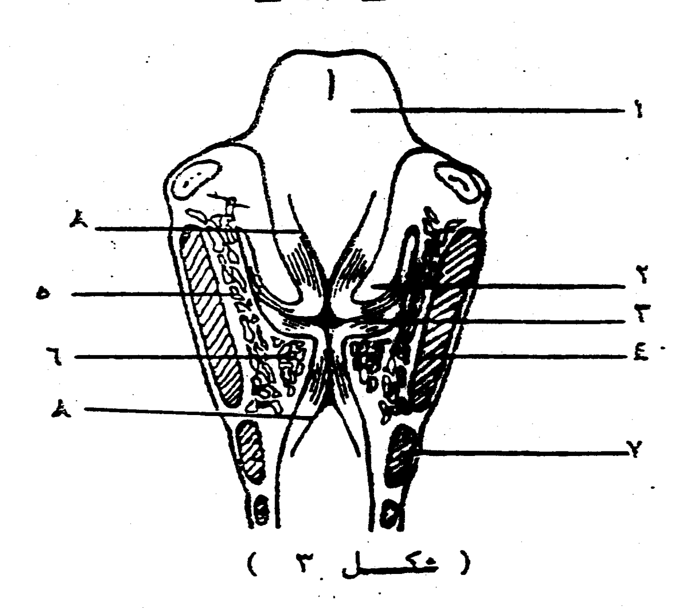
---

( ١ ) أبراهيم أنيس الاصوات اللغوية ص ١٧

( ٢ ) يسمى بالغضروف الحلقى نظرا لاتصاله بأعلى حلقات القصبة الهوائية ، لا نسبة الى الحلق كما قد يتوهم ....

( ٣ ) تغريد عنبر دراسات صوتية ١٠٩

( ٤ ) هناك زوج أخر من الغضاريف يسمى بالغضروفين الوتديين لانهما يشبهان الوتد وهما فى الحقيقة أربعة غضاريف أثنان علويان يحيطان بفتحة المزمار وأثنان سفليان يحيط بهما الغضروف الحلقى ( انظر شكل ٣ ) ....




( شكـــل ٣ )

١ ـ لسان المزمـــار ٢ ـ الطية الحنجريـــة

٣ ـ بطين الحنجرة والغضروفان القرنيان

٤ ـ الغضروف الدرقـــى ٥ ـ الاوتار الصوتيـــة

٦ ـ الغضروفان الهرميـــان ٧ ـ الغضروف الحلقـى

٨ ـ الغضاريف الوتدية

---

(١) اقتبسنا هذا الشكل عن هـفنر ( علم الصوتيات العـــاء
طبعة ١٩٦٤ صفحة ١٨ وقمنا بتعريب مصطلحاتـــــه )

٤ — لسان المزمـــــار : هو نسيج غضروفي مرن الحركة يشبه ثمرة الكمثرى الى حد كبير ( انظر شكل ٣ ) ويتصل لسان المزمار باللسان على نحو ما ومن ثم فانه يتأثر بحركته الى حد كبير ويؤدى لسان المزمار الى جانب وظيفته الاساسية وهى حماية المجارى التنفسية أثناء البلع وظيفة صوتية تتمثل فى أختلاف حجم صندوق الرنين الذى يتكون فى الحنجرة مع بعض الاصوات وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن العنصر المتحرك فى هذا الصندوق هو الحنجرة وليس المزمار كما كان يتصور من قبل [1] .

ويبدو أن لسان المزمار يشترك مع غيره من الغضاريف فى عملية التكيف الصوتى فى الحنجرة ويعتبره كثير من العلماء بمثابة عضو مستقل من أعضاء النطق ولكن الافضل أن يعالج كأحد غضاريف الحنجرة لانه لايؤدى وظيفته الصوتية بطريقة مباشرة [2] وانما بالتعاون مع غيره من أجزاء الحنجرة التى تعتبر الاوتار الصوتية أهمها على الاطلاق ( شكل ٣ ) ..

الاوتـــار الصوتيـــة :

ترجع تسمية هذين الشريطين العضليين الذين تفصل بينهما فتحة المزمار ( انظر شكل ٣ ) بالاوتار الصوتية الى العالـــم

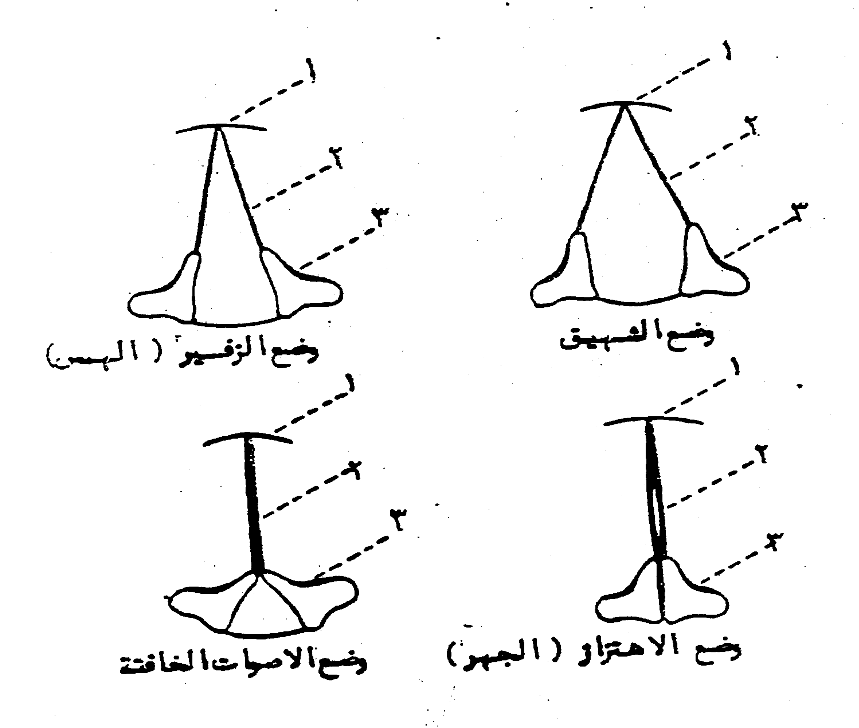
( ١ ) انظر تغريد عنبر دراسات صوتية ص ١١٥
( ٢ ) كمال بشر علم اللغة الاصوات ص ٦٥

الفرنسي " فران " الذي يعتبر أول من قدم وصفا لاهتزازهما[1]
ويمتد هذان الشريطان أفقيا من الخلف الى الامام ويختلفان في
الحجم والسمك والطول باختلاف جنس الشخص وعمره (٢). ويقوم
هذان الوتران بدور في غاية الاهمية بالنسبة لجهر الاصوات
( أهتزازها ) وهمسها ( عدم أهتزازها ) وعلى وضع الاوتار
الصوتية يمكن تحديد صفه الصوت من حيث الجهر والهمس
ويمثل الشكل التالي أهم أوضاع الاوتار الصوتية ( انظر ص ٤٤ )

---

(١) قد تكون هذه التسمية فعلا غير دقيقة كما لاحظ ذلك بعض الباحثين ولكننا نوءثرها هنا نظرا لشيوعها ( انظر في هذا الموضوع أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوي ص ٨١ ..

(٢) لاحظ العلماء أنهما عند النساء والاطفال أقل سمكا وأقصر طولا منهما لدى الرجال البالغين ويترتب على ذلك أختلاف درجة تأثرهما وأهتزازهما ولهذا السبب كان صوت النساء والاطفال أحد وارفع من صوت الرجال ....




١ — الغضروف الدرقي

٢ — الاوتار الصوتية

٣ — الغضروفان الهرميان [1]

---

(١) اقتبسنا هذا الشكل عن هفنر (علم الصوتيات العام ١٩٦٤ صفحة ٢٢ )

يتضح من هذا الشكل أن أهم أوضاع الوترين الصوتين هى ما يلى :

١ — وضع الشهيق ، كما يتضح من الشكل فاننا نلاحظ أن الفتحة بين الوترين المساه بـ ( المزمار ) هى أوسع ما تكون كما أن الغضروفين الهرميين يبتعدان عن بعضهما بدرجة كبيرة وليس لهذا الوضع تأثير يذكر على الاصوات الانسانية لانها تتكون أساسا من هواء الزفير لا الشهيق ..

٢ — وضع الزفير ويسمى أيضا وضع الهمس أو عدم الاهتزاز فى هذا الوضع نجد أن المسافة بين الوترين الصوتيين واسعة أيضا الى حد كبير .. ولكنها أقل منها فى حالة الشهيق كما نلاحظ أيضا أن الوترين يبتعدان عن بعضهما بدرجة كبيرة تسمح للهواء بالمرور .. دون أن يكون له تأثير على وضعهما ، وفى هذا الوضع تنتج الاصوات المهموسة أو غير المهتزة .

٣ — <u>وضع الاهتزاز</u> — أو وضع الجهر

فى هذا الوضع يلتصق الوتران الصوتيان فى جزئهما العلوى والسفلى ولكنهما ولا يبتعدان عن بعضهما الا فى جزء يسير فى منطق الوسط ونظرا لان الغضروفين الهرميين يلتصقان ببعضهما تماما فى هذا الوضع فان الهواء القادم من القصبة الهوائية يندفع بشدة من هذا الثقب الصغير الموجود بين الوترين فيهزهما بسرعة تختلف باختلاف قوة الهواء وباختلاف طول الوترين ومرونتهما وتسمى الاصوات التى تنتج فى هذه الحالة بالاصوات

المجهورة أو المهتزة ويسمى كمال بشر هذا الوضع بأسم " وضع الوترين عند أصدار نغمة موسيقة " ( علم اللغة العام — الاصوات ٦٨ ) ..

٤ — وضع الاصوات الخافتة (١)

في هذه الحالة نجد أن الاوتار الصوتية تنطبق على بعضها انطباقا تاما ولكن على العكس من ذلك نجد أن الغضروفين الهرمين يبتعدان عن بعضهما بحيث يسمح للهواء بالتسرب من بينهما بحيث يلامس الوترين المغلقين من الخارج دون أن ينفذ من بينهما ومن ثم فانهما يهتزان أهتزازا خفيفا لايكون له أثر في الوضوح السمعي للصوت وتكون الاصوات الناتجة في هذه الحالة أصواتا خافته ضعيفة ومن ثم نسب الوضع اليها .

وهناك حالة أخرى يغلق فيها الوتران الصوتيان غلقا محكما كما في الوضع الرابع وكذلك يغلق الغضرفان الهرميان طريق الهواء تماما وذلك كما في الوضع الثالث ومن هنا يتراكم الهواء ويزداد ضغطه على الوترين الصوتية فينفرجان فجأة وحينئذ نسمع صوت الهمزة ويسمى بعض الباحثين هذه الحالة بوضع الغلق (٢) أو بوضع الوترين

---

( ١ ) هذه التسمية من أصطلاحنا وهى ترجمة للمصطلح الانجليزى Whispering أو الالمانى Flüstern ويترجمها بعض الباحثين بالوشوشة ( عبد الله ربيع — الصوتيات ص ٩٦ وكمال بشر علم اللغة الاصوات ص ٦٨ )

( ٢ ) انظر عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ٩٤ ....

الصوتين عند تكوين همزة القطع [1] .

الوظائف الصوتية للحنجرة

بالاضافة الى الوظائف التى تقوم بها بعض أجزاء الحنجرة كالوترين الصوتين أو لسان المزمار الذين سبقت الاشارة اليهما فان للحنجرة ككل وظائف صوتية أخرى يمكن أجمالها فيما يلى :

١ — يوءثر أرتفاع الحنجرة وانخفاضها على صندوق الرنين مما يوءثر على النغمة المصاحبة لبعض الاصوات [1] أو على ما يسمى بالرنين الحنجرى [3] الذى يترتب عليه الفرق بين الاصوات المادة والغليظة ..

٢ — تعمل الحنجرة كأداة بداية لانتاج وحدات صوتية تقابل وحدات مماثلة بدايتها هواء الرئتين وذلك مثل . الكاف العادية والكاف الموقوف عليها بما يشبهه الهمزة فى بعض مناطق اليمن [4]

٣ — تعمل الحنجرة كمخرج لبعض الاصوات مثل الهمزة والهاء [5]

---

(١) كمال بشر علم اللغة — الاصوات ص ٦٩ ....
(٢) انظر عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ١٠١
(٣) أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٨١ ..
(٤) تنتشر هذه اللهجة فى باريم وجبلة انظر فى ذلك
W.Fischer & Jastrow, Handbuch der arab. Dialekte S;III
(٥) انظر
Handbuch der Linguistik S.247

٤ — تؤدى دورا بارزا فيما يسمى بالوحدات الصوتية الادائية وذلك كالتنغيم الذى تكتسب به الجملة معنى مغايرا كمعنى الاستفهام أو الخبرية أو التعجب فى نحو

محمد جه ؟ محمد جه ! محمد جه

اذ ان المسار النغمى للجملة هو الذى يحدد المعنى المراد وقد ينبى فى حالات كثيرة عن مزاج الشخص ويكشف عن حالتها لنفسية من نحو الرضا أو الغضب وما شابه ذلك (١) ..

٥ — ولعل أهم وظائف الحنجرة هو ما تقوم به الاوتار الصوتية أساسا من الاهتزاز مع بعض الاصوات التى يسميها مجهورة أو عدم الاهتزاز مع بعضها الاخر ومن الواضح أن الحنجرة بجميع أجزائها وبصفة خاصة الغضروفان الهرميان تساهم مع الاوتار الصوتية فى هذه العملية ، ومما تجدر الاشارة اليه هنا ... هو أن عدم معرفة القدماء سواء كانوا من الباحثين العرب أو الاوربيين لدور الاوتار الصوتية فى عملية جهر الاصوات أو همها هو المسئول عن كثير من الخلط والاضطراب فى وصفهم للاصوات اللغوية (٢)

## ٢ — الحلق

يطلق الحلق على الجزء الذى يعلو الحنجرة ويتصل بالفم وهو يمثل أحد الفراغات الكبرى الثلاث ذات الاثر البين فى أصدار الصوت الانسانى وتسمى هذه الفراغات بتجاويف ما فوق المزمار (٣) أو التجاويف فوق الحنجرية وينقسم الى

(١) انظر تشريد عنبر ص ١٥٤ (٢) انظرص ٦٦
(٣) انظر أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ١٨

أ ـ الحلق الحنجرى ب ـ الحلق الفموى جـ ـ الحلق انفى (1)
ووظيفة الحلق من الناحية الصوتية تتمثل فى أنه يعمل بمثابة حجرة أو صندوق رنين مع بعض الاصوات كما أنه يساهم فى تضيق ممر الهواء فى أجزاء معينه بما يشكل مخرجا لبعض الاصوات اللغوية كالحاء والعين ..

٣ ـ اللهاة

تقع اللهاة فى نهاية الحنك اللين وتعتبر أحد تكونات تجويف الفم وهى تتحرك الى أعلى أو الى أسفل لتفصل بين الحلق الفموى والحلق الانفى فى عمليات الاكل والتنفس للهاة دور مهم فى نطق حرف القاف العربية كما أنها تساهم فى تحويل مجرى الهواء من الفم عند نطق حرفى الميم والنون (2) ..

٤ ـ اللسان

هو أكثر أعضاء النطق مرونه وحركة ويقسمه العلماء عادة الى :-

أ ـ طرف اللسان أو ذلقه

ب ـ مقدم اللسان وهو الجزء الذى يلى الطرف ويسمى النصل ..

جـ ـ ظهر اللسان ( وسط اللسان )

د ـ مؤخر اللسان وهو الجزء المقابل للحنك الرخو

(1) أما الفراغان الاخران فهما تجويف الانف وتجويف الفم انظر فى أقسام الحلق عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ١٠٠

(2) قارن بكمال بشر علم اللغة العام الاصوات ص ٧١ وانظر عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ١٠٥

ويساهم اللسان بما له من أمكانيات متعددة في الالتقاء بأي جزء من أجزاء سقف الحنك في انتاج كثير من الاصوات الصامته مثل الدال والزاي والسين وغير ذلك ، كما يساهم بأرتفاعه تارة وأنخفاضه تارة أخرى ( دون أن يلتقي بسقف الحنك ) في انتاج الحركات بصفة عامة فاذا ارتفع وجدنا الكسرة والضمة واذا انخفض وجدنا الفتحة [1] وبالاضافة الى ذلك فان للسان تأثيرا كبيرا على ما يسمى بصندوق الرنين الامامي الذي يتكون في الفم ويصنع اللسان مرونته وقدرته على الحركة المتنوعة أشكالا مختلفة من صناديق الرنين الامامية " التي تختلف أشكالها وأحجامها وأطوالها مع الاصوات المختلفة [2] ومن ثم تختلف النغمات المصاحبة لتلك الاصوات ..

٥ ــ الحنك :

ينقسم ما يسمى بالحنك [3] الى ثلاثة أقسام رئيسية هي : أ ــ مقدم الحنك ( اللثة أو أصول الثنايا العليا ) وهو جزء الحنك الذي يلي الاسنان مباشرة

ب ــ وسط الحنك وهو ما يسمى بالغار أو الحنك الطلب

جـ ــ مؤخر الحنك وهو ما يسمى بالحنك اللين ويتصل

---

(١) انظر في الفصل التالي تفصيل دور اللسان في أنتاج اصوات الحركة ..

(٢) عبد الله ربيع ، علم الصوتيات ص ١٠٢

(٣) هناك تسميات أخرى مثل الحنك الاعلى أو سقف الحنك أو سقف الفم ( انظر كمال بشر علم اللغة الاصوات ص ٧٠ ) .....

اقصاه من الخلف باللهـــاة
ويؤدى الحنك بالاشتراك مع اللســـان وظيفة هامه تتمثل فى
أمرين ..

١ ــ تضيق مجرى الهواء أو غلقـــه مما ينجم عنه صنع مخارج
لاصوات عديدة مثل السين والكاف ..

٢ ــ المساعدة فى تكوين صناديق الرنين الامابيـــة ...

## ٦ ــ الاسنان

لكل أنسان مجموعة من الاسنان قد تختلف حسب الســن ولكنها فى العادة تصل الى أثنتين وثلاثين نصفها علوى والاخـر سفلى وتقوم هذه الاسنان بوظيفة بارزة فى النطق الانسانى فبالاضافة الى أنها مع اللسان تشكل مخرجا لبعض الاصوات اللغوية مثـل الفاء والثـاء فانها تعمل أيضا كعنصر مساعد فى تكوين صناديق رنين أماميـــة صغيرة .

## ٧ ــ الشفتـــــان

من أعضاء النطق ذات الاثر البارز فى الاصوات الصامته والحركات على حد سواء فبالاضافـــة الى أنهما معا يشكـلان مخرجا لبعض الاصوات كالباء فان أحداهما وهى الشفة السفلى تشترك مع الاسنان فى صنع مخرج الفاء ، وتساهم الشفتـــان سويا ــ مع اللســـان ــ فى تشكيل الحركات فيكونان مع الضمة

فى وضع الاستدارة ومع للكسرة فى وضع الانفراج ومع الفتحة فى وضع محايد (١) وبالاضافة الى ذلك فانه يرجع اليهما " الاثر الفعال فى تكوين صناديق الرنين الامامية ." (٢)

٨ ـ التجويف الانفى

يمثل هذا التجويف أحد الفراغات المسماه تجاويف الممر الصوتى ويمتد من الحلق حتى اللوزتين (٣) ويستخدم هذا التجويف كصندوق رنين عند أنتاج بعض أصوات الكلام كما أنه يساهم فى أنتاج صوتى الميم والنون فى العربية حيث يسمح للهواء بالمرور من خلاله عندما يتشكل عائق فى الفم عند ـ نطق هذين الصوتين ـ يحول دون مرور هواء الزفير

---

هذه هى أهم الاعضاء التى تساهم فى عملية النطق الانسانى وهى لاتقوم بهذه الوظائف الاعندما تتلقى من المخ أوامر بذلك وتلك هى الميزة الكبرى التى حبا الله بها الانسان وكرمه على سائر خلقه اذ للعجماوات أعضاء كتلك التى أسميناها

---

(١) هناك وضع رابع وضع الغلق ولا أثر له مع الحركات ولكن يعقبه انفجار نتج عنه الباء (انظر فى أوضاع الشفتين مع الحركات الفصل التالى)

(٢) عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ١٠٧

(٣) تغريد عنبر علم الصوتيات ص ١٦٦

أعضاء النطق ولكننا لانستطيع التحكم فيها على نحو ما يفعل الانسان ، وعندما تؤدى هذه الاعضاء وظائفها النطقية فان هذا يعنى تكون الصوت الذى سنتعرف على طبيعته وكيفية أنتقاله ثم أستقباله بواسطة جهاز السمع فيما يلى من الصفحات .

---

## ٢ — طبيعة الصـــوت وكيفيـة أنتقالـه

ذكرنا من قبل أن العملية الاتصاليـة التى تحققها اللغة الانسانية تستلزم وجود المتكلم الذى يصدر الاصوات ووجـود الوسط الذى ينتقل عبره الصوت ثم وجود المستمع الذى يلتقـط الصوت ليتحول بعد ذلك الى مدركات ذهنية تتم عندها عملية الاتصال المنشود ، ولقد تحدثنا فيما سبق عن المرحلـة الاولى ونعنى بها مرحلة انتاج الصوت التى يقوم بها المتكلـم ويلزمنا هنا أن نلم بأيجاز بحقيقة هذا الصوت المنتج وكيفيـة أنتقاله وتسمى دراسة هذه المرحلة الثانية بالدراسة الاكوستيكية أو الفيزيائية وهى أحد فروع علم الاصوات التى كثيرا ما تسمى علم الاصوات الطبيعى ( الفيزيائى ) ومهمة هذا الفرع من الدراسة هى بحث الخواص الفيزيائية التى تصاحب انتاج الصوت وانتقاله [1] والعوامل التى تؤثر فيه ..

### كيف يحـدث الصـوت ؟

يحدث الصوت من أهتزاز مصدره ثم تنتقل هذه الاهـتزازات فى وسط ، مثل الهواء ، حتى تصل الى أذن السامع [2] وتعرف هذه الاهتزازات علميا بأسم الذبذبات التى ينشأ عن تتـاعها

(١) Götz & Burgschmidt; Kontrastive Linguistik; S. 15

(٢) محمد عبد المقصود النادى وآخرين ، الفيزيقا ص ٦

ما يسمى بالموجة الصوتية ولكي تكون هذه الاهتزازات مسموعة فلا بد أن يقع ترددها في حدود التردد المسموع وهو يتراوح — من ٢٠ الى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية ، وتنتشر الذبذبات الصوتية على شكل موجات طولية تختلف سرعتها باختلاف الوسط الذي تنتقل من خلاله. ( السرعة في الهواء — ٣٤٠ م مترا في الثانية ) ، وفيما يتعلق بالصوت الانساني فانه ينتج من اهتزاز الهواء الخارج من الرئتين أو المتكون في الحنجرة نتيجة لارتطامه بعضو أو أكثر من أعضاء النطق وتؤدي الاوتار الصوتية أبرز الادوار وأقواها أثرا وكلما كانت الاهتزازات الناشئة عنها كثيرة العدد وصفت النغمة المصاحبة للصوت بأنها حادة أما اذا كانت قليلة نسبيا فانها توصف بالغلظ ، ووصف صوت ما بكونه غليظا أو حادا يعرف بأسم درجة الصوت وتتوقف كمية الذبذبات على كمية الهواء المندفعة من الرئتين وعلى السيطرة عليها ، كما تتوقف على مرونة عضلات الحنجرة وعلى طول الوترين الصوتين أو قصرهما [1] ودرجة الصوت هذه

---

(٢) أبراهيم أنيس الاصوات اللغوية ص ١٠ ، عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ١٣٤ ولقد أصبحت العلاقة بين عدد الذبذبات وبين طبيعة الوترين الصوتين وسمكهما ودرجة توترهما محل تساؤل منذ نشر راؤل هوسون نظريته الجديدة حول ميكانيكية عمل الاوتار الصوتية والمعروفة بأسم "النظرية العصبية العضلية" وخلاصتها كما تقول تغريد عنبر ( دراسات صوتية ص ١٤٤ ) وتتمثل في أن أهتزاز الاوتار الصوتية ليس حركة

هى أحدى عوامل ثلاث يتوقف عليها الاختلاف بين النغمات الصوتية والعاملان الاخران همـــا :

شـــدة الصوت

ويقصد بها الخاصية التى نستطيع بها التمييز بين قـــوة الاصوات وضعفها وتتوقف قوة صوت ما على سعة الاهتزازة ( الذبذبة ) (١) و على درجة القرب أو البعد من مصدر الصوت ، كما تتوقف أيضا على كتلة الهواء ( الوسط الناقل للصوت ) المهتزة ومن هنا نرى أن أتجاه الرياح يوثـــر على شدة الصوت ، لان ذلك يعمل على تغيير كثافة الهواء فتزداد تبعا لذلك شدة الصوت عند أتجاه الريح من مصدر انتاجه الى السامع ، والعكس (٢)

===== سلبية يسببها تيار الهواء المار بينهما وأنما هو حركة أيجابية تتم بناء على أوامر عصبية صادرة من الجهاز العصبى المركزى ، وهكذا فان كل نبضة تأتى من المخ وتنتقل عن طريق الاعصاب الحنجرية الى ألياف العضلات المعينة فتسبب كل نبضة أهتزازه واحدة للوترين الصوتين ، وبناء على ذلك فان حدة الصوت ( التى تتوقـــف على عدد الذبذبات ) الناتجقليست محصلة مقدار توتر وطول وسمك الوترين الصوتين .
وكذلك مقدار ضغط الهواء تحت المزمار وانما تتوقـــف على عدد النبضات العصبية الاتية الى الحنجرة ولـــم تثبت صحة هذه النظرية بدليل قاطع حتى الان ..

(١) سعة الذبذبة تمثل البعد بين الجسم فى حالة سكونـــة وابعد نقطة يصل اليها عند الاهتزاز ..

(٢) عبد المقصود النادى وأخريـــن ص ٣٥

## نـــوع الصـــــوت

ويسمى أحيانا لون الصوت : ونعنى به تلك السمة التى تميزصوتا بعينه عن صوت آخر [1] ولا تتوقف هذه الخاصيـــة على درجة الصوت أو شدته ، اذ ربما وجدنا صوتين متحدى الدرجة والشدة ولكنهما مع ذلك يختلفان فى النوع ومرد ذلـــك الى مجموعة من النغمات الثانوية او التوافقية الناجمة عن [2] الاختلاف فى صناديق الرنين وبذا نستطيع أن نميز صـــوت العود عن صوت البيانو اما فى الصوت الانسانى فان أختـــلاف سعة وحجم الفراغات الرنانة المتمثلة فى تجاويف الحلق والفـــم والانف وكذلك اختلاف أعضاء النطق التى تؤثـــر بدورهـــا على حجم هذه الفرغات هى التى تجعل صوت شخص ما يختلف فى النوع عن صوت الاخـــــرين ..

## مجال الصـــوت وطبقتـــه

وكما تختلف النغمات الصوتية وتتباين وفقا لاختلاف هـــذه الصفات الثلاث ونعنى بذلك درجة الصوت وشدته ونوعه فان لكل صوت مجالا لايتجاوزه ويقصـــد بمجال الصوت تلك " المسافـــة بين أخفض نغمة وأعلى نغمة يمكن أن يستخدمها صاحب الصوت عند الغناء بسهولة ويحدد هذا المجال الصوتى حجم الحنجرة وسمك الاوتار الصوتية وقدرتها على التوتر ، وهذه العوامـــل تحددها الطبيعة دون تدخل ارادى من الانسان [3] امـــا

(١) تغريد عنبر ص ١٤٩ (٢) عبدالله ربيع ص ١٢٥

(٣) بتصرف عن تغريد عنبر السابق ص ١٤٩

طبقة الصوت فالمراد بها تلك المسافة التى يتحرك فيها الصوت عند الكلام بيسر وسهولة وعادة ما تكون فى الثلث الاخفض من مجال الصوت ويميز علماء الاصوات عادة بين طبقة عالية وأخرى متوسطة وثالثة منخفضة .

وتتراوح الطبقة المتوسطة عند الرجال بين ١٠٩ ذ/ث و١٦٣ ذ/ث أما عند النساء فتتراوح بين ٢١٨ و ٣٢٦ ذ/ث (١)

## ٣ ــ استقبال الاصوات

يمثل استقبال الصوت الانسانى من خلال الاذن المرحلة الثالثة من مراحل العملية الاتصالية وتسمى البحوث والدراسات المتعلقة بذلك بأسم علم الاصوات السمعى ، واذا كانت الاعضاء التى تمثل جهاز النطق الانسانى انما تقوم بهذه المهمة كوظيفة ثانوية فان أستقبال الصوت هو الوظيفة الاساسية للاذن التى تنقسم الى :

١ ــ الاذن الخارجية وأهم أجزائها : الصوان ( الجزء الخارجى البارز ) والصماخ والطبلة ، وتعتبر الطبلة أهم الاجزاء وهى عبارة عن غشاء رقيق له قدرة على التجاوب لاى

---

(١) تغريد عنبر دراسات صوتية ص ١٥٠

ضغط أو أهتزاز [1] وتتصل الطبلة بالصوان عن طريق الصماخ وهو قناة ضيقة تستخدم بمثابة ممر سمعى يقوم الى جانب توصيله موجات الاصوات الى الطبلة بدور حجرة رنين تضخم الصوت [2] الى حـــد ما .

٢ ـ الاذن الوسطـى : وتتكون من عظيمات ثلاث تتصل ببعضها وتعرف بالمطرقة والسندان والركاب ومهمة هذه العظيمـــات هى نقل حركات طبلة الاذن الى الاذن الداخلية كما أن ـ الذبذبات المارة تتضخم الى حد ما [3] وذلك حيث نعتبر التجويف الذى تقع فيه هذه العظيمات بمثابة فراغ رنان .

٣ ـ الاذن الداخليـــة : تنقسم الاذن الداخليـة الى قسمين الاعلى منها به قنوات غير كاملة الاستدارة تعرف بأسم القنوات الهلالية وتقوم بحفظ توازن الرأس [4] بينما يختص الجزء الاسفل بعملية السمع والقوقعة [5] هى أهم أجزائـــه لانها تمتلى بالسائل المعروف بالسائل التيهى الذى يتذبذب

---

(١) عبد الله ربيع علم الصوتيات ص ١٠٩ وقارن بأبراهيم أنيس الاصوات اللغوية ص ١٥

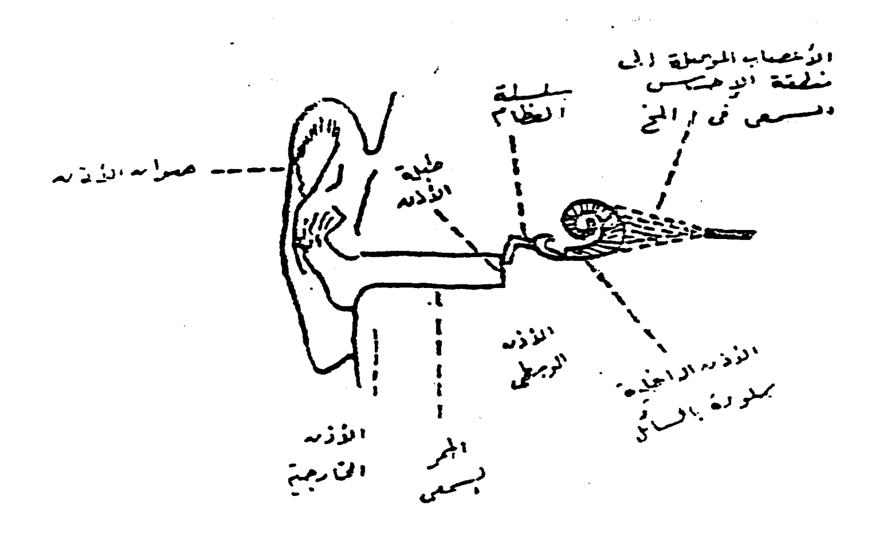
(٢) انظر أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٢٩

(٣) أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٢٩

(٤) عبد الله ربيع علم الصوتيـــات ص ١١٠

(٥) القوقعة هى جسم حلزونى محاط بجدران صلبه وطولـــه حوالى ٣٥ مليمتر ..

تبعا لذبذبة طبلة الاذن وهنا تهتز أعصاب الاعصاب السمعية المغموسة فيه [1] ويوضح الشكل التالى أجزاء الاذن — المختلفة : [2]




---

(١) انظر ابراهيم أنيس الاصوات اللغوية ص ١٥ وقارن بالمرجعين ٣ ، ٤ في الصفحة السابقة

(٢) اقتبسنا هذا الشكل عن احمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوى) ص ٢٨

## كيفيـــة أستقبال الصـــوت

تبدأ عملية التقاط الاذن للصوت الانساني بوصول الموجه الصوتية الى صوان الاذن لينتقل بعد ذلك عبر الصماخ الـــى الغشاء الطبلي الذى يتأثر به فيهتز أهتزازات تتناسب مع هذه الموجات ، وتقوم الاذن الوسطى بدور الوسيط الذى تنتقـــل عبره أهتزازات الطبلة الى القوقعة فى الجزء الاسفل من الاذن الداخلية وهنا يهتز ما بالقوقعة من السائل التيهى وهـــو يحرك بدوره أطراف الاعصاب التى تتصل بالمراكز السمعيـــة فى المخ ويقوم المخ بعد ذلك بترجمة هذه الاهتزازات الى معان ومدركات (١)

---

(١) يهتم بعض العلماء بالمرحلة التى تلى انتقال الاهتزازات الصوتية الى المراكز السمعية فى المخ ويطلقون عليهـــا اسم علم الاصوات الادراكى أو النفسى ومهمته هى دراسة ادراك الاشارة الصوتية وذلك بأعتبار الادراك اشمـــل من السمع لانه يمتد الى التعرف على الاصوات والـــى تفسيرها (انظـــر تغريد عنبر دراسات صوتية ص: ٢٥

## الفصل الثاني

## الأصـــوات العربيـــة

* أصوات الحركة ( المصوتات )
* الأصوات الصامتة .
* بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية .
* الوحدات الصوتية في اللغة العربية .

***

## الفصـــل الثانـــى
## الاصـــوات العربيـــــــة

تتكون اللغة العربية — كأى لغة فى العالـــم — باعتبارها أحداثا صوتية منطوقة من مجموعة من الاصـــوات يمكن التميز بين صنفين رئيسيين منها هما : المصوتات أو أصوات الحركة أو ما يسمى بالمصوتات أو الاصوات الصائتة (١) والاصوات الصامته التى قد تسمى أحيانا بالاصوات الساكنة (٢) وهناك أسس عديدة لهذا التقسيم يمكن ابراز أهمهـــا فيما يلى :

١ — يكون مجرى الهواء أوسع ما يكون عند اقتراب عضوى النطق من بعضهما أثنـــاء التلفظ بأصوات الحركـــة أما مع الاصوات الصامتة فان هذا المجرى امـــا أن يغلق تماما ، أو يضيق الى الدرجة التى يسمـــع له فيها نوع من الحفيف كذلك الذى نسمعه أثنـــاء

---

(١) ممن سمى هذا الصنف بالاصوات الصامته المستشرق الالمانى برجشتراسر انظر التطور النحوى ص ٣

(٢) ممن سمى هذا الصنف بالاصوات الساكنة ابراهيـــم أنيس . انظر الاصوات اللغوية ص ٤٥
وسوف نعرض لهذه المصطلحات المختلفة بتفصيل أكثر فيما بعد .

نطق الحاء أو السين مثلا [1] .

٢ ـ تهتز الاوتار الصوتية دائما أثناء نطق الحركة أما مع الاصوات الصامته فقد تهتز هذه الاوتار وقد لاتهتز [2] .

٣ ـ من الناحية الوظيفية فان أصوات الحركة هى وحدها التى تشكل نواة أو مركز المقطع الصوتى أما الاصوات الصامتة فانها لايمكن أن تنهض بهذه الوظيفة [3] .

٤ ـ تتميز أصوات الحركة عن الاصوات الصامتة من الناحية الفيزيائية بتكونها من ذبذبات اكثر عددا وانتظاما من تلك التى تتكون منها الاصوات الصامتة [4]

٥ ـ تتميز اصوات الحركة نتيجة للعوامل الاول والثانى والرابع بأنها أكثر وضوحا فى السمع من الاصوات الصامتة [5] .

---

(١) انظر انيس ، الاصوات اللغوية ص ٢٦ وقارن بكمال بشر ، علم اللغة العام الاصوات ص ٧٣ .

(٢) كمال بشر ، السابق ٧٤ .

(٣) Handbuch der Linguistik;S.225

(٤) عبد الله ربيع ، عبد العزيز علام ، علم الصوتيات ص ١٥٧ .

(٥) يضيف بعض الباحثين الى هذه الفوارق بين صنفى الاصوات فارقا آخر يعتمد على اختلاف وضع الشفتين

====

وسوف نعرض فيما يلى للتعريف بكلا هذين الصنفين وبالاصوات المختلفة التى يشتملان عليها •

أصوات الحركة (التصويتات)

تمثل أصوات الحركة التى يمكن أن تسمى اختصار " الحركات " صنفا رئيسيا من أصناف الاصوات فى اللغات البشرية ، وقد ساق العلماء تعريفات عديدة لصوت الحركة Vowel أهمها : أنها ذلك الصوت المجهور (أى الذى تهتز معه الاوتار الصوتية) الذى يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم دون أن يقف فى طريقه أى عائق أو حائل ، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا[1]

(===) مع أصوات الحركة عنه مع الاصوات الصامتة ولكن هذه الخاصية يمكن الاعتماد عليها — كما يقول كمال بشر — فى التمييز بين أصوات الحركة ذاتها ، لابينها وبين الاصوات الصامتة انظر علم اللغة العام ، الاصوات ص ٧٣ وما بعدها

(١) كمال بشر ، السابق ص ٧٤ ويقوم هذا التعريف على أساس فسيولوجى وهو مراعاة وضع أعضاء النطق أثناء التلفظ بصوت الحركة ، وهذا فى نظرنا هو الاساسى الاهم ، لان ما عداه من انتظام الذبذبات وكثرتها وما ينجم عن ذلك من وضوح صوت الحركة ، انما هو راجع الى هذا الاساس ولازم له •

ويرى كثير من الباحثين أن صوت الحركة — :
هو ذلك الصوت الذى يكون نواة المقطع الصوتى ،
ولا يعوق مرور الهواء أثناء النطق بأى عائق [1].

ان تعريف صوت الحركة ينطبق فى لغتنا العربية
على مجموعة من الاصوات هى ما اصطلح على تسميته
بالفتحة والكسرة والضمة ، وهذه الحركات الثلاث قد
يطول زمن النطق بها فتسمى حينئذ ألف المد وياء المد
وواو المد وقد أدرك العلماء العرب أن ألف المد
وياءه وواوه ليست سوى اطالة لزمن النطق بهذه الحركات
الثلاث ، يقول أبو الفتح ابن جنى ( سر الصناعة ١/ ٣١)
" واذا كانت الحركات ثلاثا فتحة وكسرة وضمة ،
فالمتحرك اذن على ثلاثه أضرب مفتوح ، ومكسور ، ومضموم
فالمفتوح هو الذى اذا أشبعت حركته حدثت عنها ألف
نحو ضاد ضرب ، لك أن تشبع الفتحة فتقول ضارب
والمكسور : هو الذى اذا أشبعت حركته حدثت عنها
ياء نحو ضاد ضيراب لك أن تشبع الكسرة فتقول ضيرا ب
والمضموم : هو الذى اذا أشبعت حركته حدثت عنها واو
نحو ضاد ضرب ، لك أن تشبع الضمة فتقول ضورب الا أن

(١) Handbuch der Linguistik;S.225
وكما هو واضح فان هذاالتعريف يعتمد على مراعاة
الناحيتين الوظيفية والفسيولوجية معا ، ولكنه ==

هذه الاحرف اللائى يحدثن لاسباع الحركات لايكن الا سواكن [1] لانهن مدات ، والمدات لايتحركن أبدا وقد نص صراحة فى موضع آخر ( ١٩/١ ) على " أن الفتحة بعض الالف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدموا النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة ( القصيرة ) ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة " أنه اذا كانت الحركات الثلاثة : الفتحة والضمة والكسرة هى أبعاض للالف والواو والياء فانها حينئذ تأخذ نفس الخصائص النطقية لها ، وقد سبق علماء العربية المحدثين من علماء الاصوات فى معرفة أهم هذه الخصائص وهى مرور الهواء دون عائق أثناء نطق الحركات ، وقد عبروا عن

---

== لم يسلم من الاعتراض لان هناك أصواتا فى بعض اللغات تصنف على أنها من الحركات ولكنها تشكل نواة للمقطع الصوتى مثل صوت الراء فى اللغة التشيكية ، انظر نفس المرجع السابق والصفحة .

(١) الساكن هنا هو الذى لاتعقبه حركة ، وهنا يشير أبو الفتح الى احدى خواص الحركات فى اللغة العربية وهى أن الحركة ( أو حرف المد ) لاتتلوها حركة أخرى مما يترتب عليه القول بعدم وجود حركات مركبة فى اللغة العربية .

ذلك أحيانا بوصفها بالحروف الهوائية [1] حيث لايوجد لها حيز تنسب اليه[2] واحيانا باتساع مخرجها ، يقول ابن جنى والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة ، الالف ثم الياء ، ثم الواو ، وأوسعها وألينها الالف ، الا أن الصوت الذى يجرى فى الالف مخالف للصوت الذى يجرى فى الواو والياء ، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الالف والواو " [3] ، وواضح هنا أن ما ينطبق على الالف ينطبق على بعضه الذى هو الفتحة ، كذلك الواو والياء ونلاحظ هنا أيضا أن ابن جنى قد أشار بذكاء الى أن هذه الاصوات وأن كان يجمعها كلها اتساع مجرى الهواء وهو الذى نعبر عنه الان بعدم تضييق المجرى أو غلقه ، الا أن درجة

(١) العين للخليل بن احمد تحقيق عبدالله درويش ص ٦٤ .

(٢) معنى عدم وجود حيز تنسب اليه أنه لايضيق مجرى الهواء أو يعاق فى منطقة ما حتى تنسب الحروف لها ونحن نعرف أن مخرج الصوت هو المنطقة التى يعاق فيها مرور الهواء أثناء النطق ، ونظرا لعدم معرفة القدماء بدور الاوتار الصوتية فانهم قد نظروا الى الهمزة كما لو كانت من اصوات الحركة وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الهمزة تنتمى الى الصنف الثانى للاصوات ونعنى به الاصوات الصامتة

(٣) سر الصناعة ١/٨ .

الاتساع هذه تختلف بأختلاف صوت الحركة فهى فى الالف أكثر اتساعا منها فى الواو والياء وهذا عين ما أثبتته الدرسات الحديثة .

وقبل أن نتحدث عن أقسام أصوات الحركة فى اللغة العربية وخصائص كل منها فاننا سنتحدث بايجاز عن الحركات المعيارية التى اتخذت أساسا تقاس عليه الحركات فى مختلف لغات العالم .

## الحركات المعيارية

## Cardinal Vowels

تؤدى أصوات الحركة Vowels فى كل اللغات دورا بارزا فى النظم الصوتية والصرفية والنحوية لهذه اللغات ، ولما كانت هذه الاصوات تختلف من لغة الى أخرى وكان هذا الاختلاف مبعثا للخطأ فى كثير من الاحيان عند تعلم لغة أجنبية نظرا لصعوبة نطق الحركات (1) بالقياس الى الاصوات الصامته " كان لابد

(1) يضاف الى هذه الصعوبة فى النطق ما نلاحظه من أن أصوات الحركة أوضح فى السمع من الاصوات الصامته مما يجعل الخطأ فى أدائها بارزا وواضحا الى حد كثير ( انظر فى اهمية دراسة الحركات المعيارية ) ابراهين أنيس ، الاصوات اللغوية ص ٢٩ ) ..

من التفكير فى شىء يضمن نجاح تعليم نطق الحركات فى اللغات بأسرها ، لا بالمقارنه بين هذه اللغات فحسب بل بأبتكار طريقة عامة من شأنها أن تضع حدودا ثابته ومقاييس معينة ، تجعل احتمال الخطا ضئيلا الى أقصى حد ممكن ، وهذاهو ما حدث بالفعل اذ فكر جماعة من الرواد فى الدراسات الصوتية بابتكار مقاييس عامة لاصوات الحركات بطريقة الاستنباط من اللغات وبطريقة بالنظر فى امكانيات الجهاز النطقى من حيث النطق بالحركات" (1) من ناحية ثانية •

لقد بدات محاولات وضع معايير ثابته لاصوات الحركة منذ نهاية القرن التاسع عشر وتجلى ذلك فى محاولة كل من A.J.Ellis (١٨٤٤) ، A.Bell (١٨٦٧) (2) ، وقد توج دانيال جونز D. Jones هذه المحاولات باخراجها من المجال النظرى الى التطبيق العملى بابتكار ما يعرف اليوم بانه نظام للحركات المعيارية ويعتمد هذا النظام كما وضعه جونز Jones على مراعاة الناحية الفسيولوجية أساسا أى مراعاة وضع أعضاء النطق كاللسان والشفتين أثناء نطق هذه الاصوات

(١) كمال بشر ، علم اللغة العام ، الاصوات ص ١٣٩
(٢) انظر فى ذلك Handbuch der Lingui-stik; S.205

الاصوات [1] ، لقد نظر جونز الى اللسان من ناحيتين :

الاولى : درجة ارتفاعه أو انخفاضه فى قاع الحنك أثناء نطق الحركة ( الوضع الرأسى للسان )

الثانية : الجزء الذى يعمل أثناء النطق أى تحديد ما أذا كان هو الجزء الامامى أو الخلفى أو الاوسط ( الوضع الافقى للسان )

أما الشفتان فقد نظر اليها جونز من حيث

أ ـ انفراجهما

ب ـ ضمهما

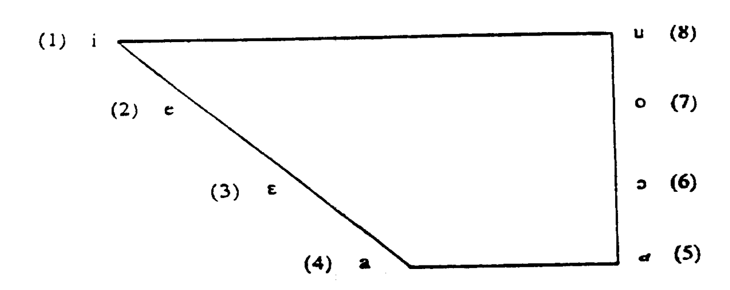
جـ ـ كونها فى وضع محايد

وبمراعاة وضع اللسان والشفتين استطاع جونز أن يصل الى ثمانية مقاييس لاصوات الحركة يمكن تحديدها بكل

---

(١) لم يغفل جونز الناحية السمعية التى تتجلى أساسا فى أختلاف الطريقة التى تلتقط بها الاذن ما يسمى بالاصوات البينية zwichenlaute انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وهناك علماء آخرون اعتمدوا على الناحية الفيزيائية فى وضع مقاييس للحركات المعيارية نذكر منهم باجت R.Paget ، وسمرفيل Sommerville وكوستنوبل Costnople (انظر علم الصوتيات لربيع وعلام ص ١٠٤ ) الا أن مقاييس دانيال جونز هى التى آثرها العلماء لترقها واحكامها وسهولة استخدامها من الناحية التطبيقية .

دقة ، وهنـاك حركة تاسعة يكتنفها الغموض الى حـد
كبير وذلك لعدم امكانيـة تحديد جزء اللسان الـذى
يرتفع أو ينخفض ، كما لم يمكن أيضا تحديد درجـة
أرتفاع اللسان أو انخفاضه أثناء نطقها ويبين الشكـل
التالـى رسما توضيحيا لهذه الحركات المعيارية كمـا
رآهـا جونـز




وفيما يلى وصف مبسط لهذه الحركات المعيارية
الحركة الاولى التى يرمز لها بالرمز (1) هى أولـى
— الحركات المعيارية فى نظام الحركات الذى وضعه جونز و
عند نطق هذه الحركة يرتفع مقدم اللسان الى أقصـى
ما يمكن بحيث لو زاد الارتفاع عن ذلك لنتج صوت صامت
هو الياء ، أى أن مجرى الهواء يكون أضيق ما يكـون
ولكن دون احداث نوع من الحفيف ، وتكون الشفتـان
فى حالة انفراج كامل أثناء نطـق هذه الحركـة .

ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى السين فى الكلمة الفرنسية si أو التى تلى الباء فى الكلمة الالمانية bieten

— الحركة الرابعة ، وهى التى يرمز لها بالرمز (a) وفيها ينخفض مقدم اللسان الى أقصى ما يمكن ، أما الشفتان فتكونان فى وضع محايد أى أننا لا نلاحظ فيهما بوضوح صفة الاستدارة ولا صفة الانفراج ولكنهما على أى حال أقرب الى الانفراج منهما الى الاستدارة(١)

ويمثل لهذه الحركة المعيارية بتلك الحركة التى تلى اللام فى الكلمة الفرنسية la، وهو قريب من الحركة التى تلى الكاف فى الكلمة الانجليزية cat(٢) — أو التى تلى اللام فى الكلمة الالمانية lamm

وفيما بين هاتين الحركتين الاولى والرابعة يتخذ مقدم اللسان درجات متفاوتة من الارتفاع أو الانخفاض ينجم عنها الحركتان الثانية والثالثة وذلك على النحو التالى

— الحركة الثانية ، وهى التى يرمز لها بالرمز (e)

---

(١) ولذا يعتبر بعض الباحثين هذه الحركة الرابعة من الحركات المنفرجة ( غير المستديرة ) انظر علم الصوتيات لوبيح وعلام ص ٢١١ والاصوات اللغوية لابراهيم أنيس ص ٣٥ .

(٢) انظر كمال بشر ، علم اللغة العام ، الاصوات ص ١٤٢

وفيها يرتفع مقدم اللسان الى ثلثى المسافة التى يرتفع اليها أثناء نطق الحركة الاولى ، أما الشفتان فتكونان فى وضع الاستدارة أيضا ولكن درجتها أقل من الاستدارة أثناء نطق الحركة الاولى ويمثل لهذه الحركة المعيارية بتلك الحركة التى تلى th فى الكلمة الفرنسية thé

- الحركة الثالثة ، وهى التى يرمز لها بالرمز ( ɛ )
وفيها ينخفض اللسان الى حد ما ولكنه لايصل فى انخفاضه الى وضع الحركة الرابعة ، بل يرتفع الى ثلث المسافة التى يصل اليها وهو فى أقصى حالات ارتفاعه مع الحركة المعيارية الاولى ( i ) ، ويمثل لهذه الحركة المعيارية بتلك التى تلى الميم الاولى فى الكلمة الفرنسية même (١) .

- الحركة الثامنة ، وهى التى يرمز لها بالرمز ( u ) وفيها يرتفع مؤخر اللسان الى أقصى ما يمكن بحيث لايحدث أى نوع من الحفيف (٢) ، وتكون

---

(١) تكون الشفتان فى هذا الوضع فى حالة انفراج أيضا ولكنه أقل من الانفراج الذى نلاحظه فى الحركتين الاولى والثانية .

(٢) اذا زاد ارتفاع اللسان عن ذلك وحدث نوع من الحفيف فاننا نكون أمام صوت صامت أو شبه حركة وهو الواو المتحركة أو الساكنة بعد حركة غير مجانسة كما فى ولد ، ويوم .

الشفتان في هذا الوضع في أقصى حالات الاستدارة ، ويمثل لهذه الحركة بتلك التي تلي الجيم في الكلمة الألمانية gut

— الحركة الخامسة ، وهي التي يرمز لها بالرمز ( α ) وهنا ينخفض مؤخر اللسان الى أقصى ما يمكن بحيث يكون في وضعه الطبيعي تقريبا ، وتكون الشفتان في وضع محايد بين الاستدارة والانفراج ولكنها مع ذلك أقرب الى الاستدارة منها الى الانفراج [1] ويمثل لهذه الحركة المعيارية بتلك التي تلي الباء في الكلمة الفرنسية pas وفيما بين هاتين الحركتين الثامنة والخامسة يتخذ مؤخر اللسان درجات متفاوتة من حيث الارتفاع والانخفاض ينجم عنها الحركتان المعياريتان السابعة والسادسة وذلك على النحو التالي :

— الحركة السابعة ، وهي التي يرمز لها بالرمز (ɔ) ، وفيها يرتفع مؤخر اللسان الى ثلثي المسافة التي يرتفع اليها أثناء نطق الحركة الثامنة وتقل استدارة الشفتين مع هذه الحركة عن الدرجة

---

(١) ولذا يعدها كثير من الباحثين ضمن الاصوات المستديرة ( انظر ابراهيم انيس الاصوات اللغويةص ٣٥

التى تصل اليهـــا الاستدارة مع الحركة الثامنة ويمثـــل عادة لهذه الحركة المعياريـــة بالحركة التى تلى الواء فى الكلمـــة الفرنسيـــة rose التى تلى الباء فى الكلمـــة الالمانيـــة Bohne

ـ الحركـــة السادســـة ، وهى تلك الحركة التى ينخفض فيها مؤخر اللسان الى حد ما ولكنه لايصـــل فى انخفاضه الى الدرجة التى يصل اليها مع الحركـــة الخامسة ، اذ نلاحظ أنه يرتفع الى ثلث المسافـــة التى يصل اليها وهو فى اقصى حالات ارتفاعه مـــع الحركـــة الثامنـــة ويرمز لهذه الحركة بالرمز (ɔ) ، ويمثل لها عادة بتلك الحركة التى تلى السين فـــى الكلمـــة الالمانيـــة Sonne أو الباء فى الكلمـــة الالمانيـــة Bonn وفيما يلى بيان هذه الحركـــات ورموزهـــا والامثلة المختارة لكل منها : (١)

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الحركة الأولى | i | — | ومثالها الكلمة | | الفرنسية | si |
| الحركة الثانية | e | — | » | » | الفرنسية | thé |
| الحركة الثالثة | ε | — | » | » | الفرنسية | même |
| الحركة الرابعة | a | — | » | » | الفرنسية | la |
| الحركة الخامسة | ɑ | — | » | » | الفرنسية | pas |
| الحركة السادسة | ɔ | — | » | » | الألمانية | sonne |
| الحركة السابعة | o | — | » | » | الفرنسية | rose |
| الحركة الثامنة | u | — | » | » | الألمانية | gut |

أما الحركة التاسعة ، تلك الحركة التى يرمز لها بالرمز ( ə ) فانها تنسب الى وسط اللسان ، كما أن درجة الارتفاع أو الانخفاض لا يمكن تحديدها ومن ثم فانها توصف بانها محايدة أو مركزية Zentral ويمكن التمثيل لها بالحركة التى تلى الباء فى الكلمة الالمانية Beginnen أو التى تلى السين فى الكلمة الالمانية Hose

---

تقسيمات أصوات الحركة ( المصوتات )

تنقسم أصوات الحركة الى أقسام مختلفة وفقا لاعتبارات عديدة ، اذ تنقسم بالنظر الى الوضع الافقى للسان أى الجزء الذى يرتفع أو ينخفض منه الى حركات أمامية وأخرى خلفية كما تنقسم مرة أخرى باعتبار الوضع الرأسى للسان أى وفقا لدرجة الارتفاع أو الانخفاض وما يترتب على ذلك من ضيق مجرى الهواء أو اتساعه الى حركات متسعة أو متوسطه الاتساع وحركات ضيقة أو متوسطة الضيق ، وبالنظر الى وضع الشفتين فان هذه الحركات تنقسم الى حركات مستديرة وحركات منفرجة ، واذا نظرنا الى الزمن الذى يستغرقه نطق الحركة فاننا سنجد حركات قصيرة وأخرى طويلة وسنتناول فيما يلى بايجاز بيان هذه الاصناف المختلفة .

## أقسام الحركات باعتبار الوضع الأفقي للسان

تنقسم الحركات المعيارية وفقا للوضع الافقي للسان الى :

١ ــ حركات أمامية وهى تلك التى تتأثر بوضع مقدم اللسان وتشمل الحركات من الاولى حتى الرابعة ( i , e , ɛ , a )

٢ ــ حركات خلفية ، وهى تلك التى تتأثر بوضع موءخر اللسان وتشمل الحركات من الخامسة حتى الثامنة ( ɑ , ɔ , o , u )

٣ ــ حركات مركزية وهى التى تنتمى الى وسط اللسان وهنا لا نجد سوى الحركة المعيارية التاسعه ( ə )

## أقسام الحركات باعتبار الوضع الرأسى للسان

تنقسم الحركات باعتبار الوضع الرأسى للسان وما ينجم عن ذلك من اتساع مجرى الهواء أو ضيقه الى :

١ ــ حركات متسعة ، وهى تلك التى تكون المسافة بين سطح اللسان وسقف الحنك أوسع ما تكون ، وتشمل الحركتان الرابعة والخامسة ( ɑ , a )

٢ ــ حركات متوسطة الاتساع ، وهى تلك التى تكون

المسافة بين سطح اللسان وسقف الحنك حال النطق بها تساوى ثلثى المسافة فى الحركات المتسعة وتشمل الحركتان الثالثة والسادسة (ɔ, ɛ)

٣ - حركات ضيقة وهى تلك التى تكون المسافة بين سطح اللسان وسقف الحنك أضيق ما تكون بحيث لو ارتفع اللسان الى أكثر من ذلك حدث نوع من الحفيف وتشمل الحركتان الاولى والثامنة ( i , u )

٤ - حركات متوسطة الضيق ، وهى تلك التى تكون المسافة بين سطح اللسان وسقف الحنك تساوى - ثلث المسافة فى الحركات المتسعة وتشمل الحركتان الثانية والسابعة (e , o)

## أقسام الحركات باعتبار وضع الشفتين

تنقسم الحركات باعتبار وضع الشفتين من حيث الاستدارة وعدمها ( عدم الاستدارة = الانفراج ) الى :

١ - حركات مستديرة ، وهى الحركات التى تنضم معها الشفتان وتستدير وتشمل الحركات الثامنة والسابعة والسادسة ( ɔ , o , u ). وتختلف درجة هذه الاستدارة بأختلاف الحركة فهى أشد ما تكون مع الحركة الثامنه ثم تقل الإستدارة تدريجيا مع

الحركتين السابعة والسادســة • ( ɔ , ɔ )

٢ ــ حركات منفرجـــة وهى الحركات التى تتسع فيهـــا الشفتان وتأخذ وضع الانفراج وتشمل الحركات الاولى والثانية والثالثـــة ( ٤ , e )
الا أن درجة الانفراج تختلف باختلاف هـــــذه الحركات فهى مع الحركة الاولى أكثر ما تكون انفراجا ثم يقل الانفراج بالتدريج مع الحركتين الثانيـــــة والثالثـــة •

٣ ــ حركات محايـــدة وهى التى تكون الشفتان معهـــا فى وضعها العادى تقريبا ويتضح ذلك فى الحركـــة التاسعة وكذلك فى الحركتين الرابعة والخامســـة ، مع ملاحظة أن الشفتين فى حيادهما مع الحركـــة الخامسة يكونان أقرب الى الاستدارة ، ومع الحركة الرابعة الى الانفراج

## أقسام الحركات باعتبار زمن النطق

تنقسم الحركات المعياريـــة وفقا للزمن الـــــذى يستغرقه نطق كل منها الى :

١ ـ حركات قصيرة ، وتشمل كل الحركات المعيارية إذا كانت غير مشبعة ، ويقابل ذلك الفتحة والكسرة والضمة في اللغة العربية .

٢ ـ حركات طويلة ، وتشمل كل الحركات المعيارية إذا أشبع زمن النطق بها ، وذلك مثل ألف المد وواو المد وياؤه .

٢ ـ حركات طويلـــــة ، وتشمل كل الحركات المعيارية اذا أشبع النطق بها وهناك درجات متفاوته تخضع لها هذه الحركات من حيث الطول والقصـــر وذلك تبعا للسياقات المختلفة التى ترد فيها هـــــذه الحركات فالفتحة العربية مثلا هى حركة قصـــيرة فى مثل كتب ، أما ألف المد فى نحو كاتب فهـــو حركة طويلة ، ويزداد طول الالف اذا تلته همزة مثل شـــاء

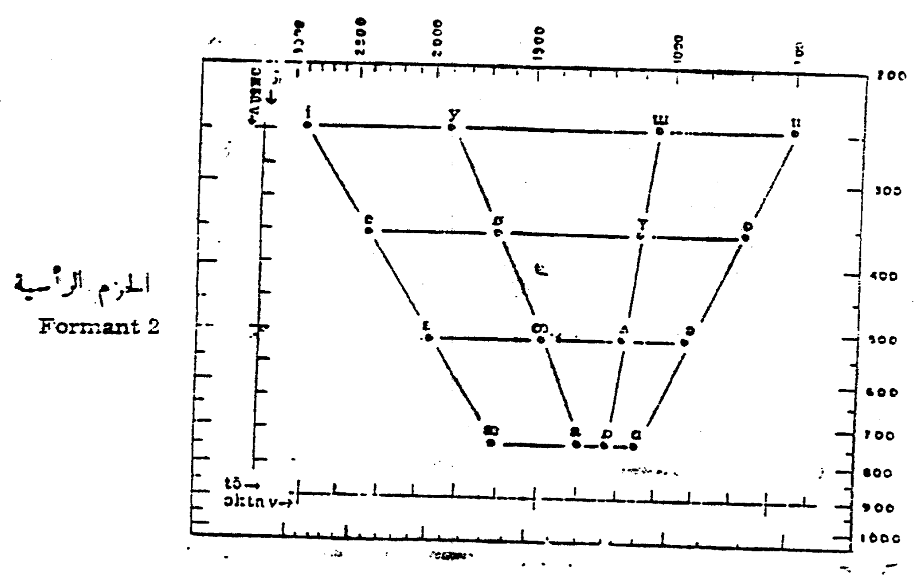
أقسام الحركات من الناحية الفيزيائية

ان التوزيع المنتظم للذبذبات وتكونها فى شكل حزم ترددية فى الفراغات الرنانة أوحجو الرنين ـ الامامية منها والخلفيـــة على نحو يمكن قياسه ، هى التى تحدد نوع الصوت[1] من حيث كونه حاداً acute أو غليظا grave ، منتشرا Diffuse أو متضاما Compact وقد حدد العلماء نوعين أساسين من هذه الحزم أطلق على الأولى منهما : الحزمة رقم ١ Formant. 1 ويمكن أن نسميها بالحزمة الرأسية وعلى الأخرى الحزمة رقم ٢ ويمكن تسميتها بالحزمة الأفقية ، Formant 2 ويحدد طبيعة كل مصوت من الناحية الفيزيائية ووقوعه فى إطار هذين النوعين من الحزم الترددية ويوضح الشكل التالى الحزم الرأسية Formant 1 والأفقيـــة Formant 2 التى تقع فى إطارها المصوتات الأساسية أو المعيارية Cardinal Vowels كما سجلها دانيال جونز .

(١) انظر هذه الخواص

Th, lewandowisk, Lingunstiches worterbuch. I S. 26.

الحـــزم الأفقيـــة
**Formant 1**




المصوتات المعيارية كما تظهرها الحزم الترددية الرأسيـة والأفقيـة[١]

ولقد خطا العلماء خطوات أخرى موفقة في هذا المجال فحددوا متوسط الحزم الترددية في المصوتات المعيارية على نحو واضح ومحدد يمكن أن تقاس عليه الحزم الترددية في اللغات المختلفة ونورد فيما يلي الحزم الترددية كما أوردتها ماريا شوبجر[٢] للاستئناس بها في معرفة الحزم الترددية للمصوتات العربية :

---

(١) قامت بالقياس مجموعة من الباحثين في مختبر هسكنس Haskins وقد اقتبسناها عن kohler . في كتابه
Einfuhrmg in die Phenetik des Dentschen S. 75.

(٢) Maria Schubiger Einfuhrmg in die Phonetik, S. 52.

| الصوت المعياري | | مقابلة في اللغة العربية | حزمة التردد الرأسي Formant 2 | حزمة التردد الأفقي Formant 1 |
|---|---|---|---|---|
| الأول | (i) | الكسرة وياء المد | ٢٤٠ ـ ٤٨٠ | ١٦٢٠ ـ ١٩٢٠ |
| الثاني | (e) | حركة الامالة الشديدة | ٤١٥ ـ ٤٦٠ | ١٥٩٥ ـ ١٨٣٠ |
| الثالث | (ɛ) | « « الخفيفة | ٥٩٠ ـ ٧٧٠ | ١٤٦٠ ـ ١٨١٥ |
| الرابع | (a) | الفتحة المرققة وألف المد المرققة | ٧٩٥ ـ ١١٤٠ | ١٣٦٠ ـ ١٤٩٠ |
| الخامس | (a) | الفتحة المفخمة وألف المد المفخمة | ٦٦٠ ـ ٨٣٠ | ٨٨٥ ـ ١٠٢٥ |
| السادس | (ɔ) | لا يوجد في الفصحى | ٤٣٥ ـ ٧٢٥ | ٧٨٠ ـ ٩٨٠ |
| السابع | (o) | (وربما وجد في بعض اللهجات) | ٤١٥ ـ ٦٠٠ | ٦٩٥ ـ ٩١٠ |
| الثامنة | (u) | الضمة وواو المد | ٣٦٠ ـ ٤٣٠ | ٥٤٠ ـ ٨٥٥ |

ويلاحظ في هذا الجدول أنه كلما ارتفع اللسان كلما قلت حزمة التردد الرأسي Formant 1 كما نشاهده في الصوتين المعيارين الأول ( ويقابله الكسرة وياء المد ) والثامن ويقابله في العربية الضمة وواو المد ، أما الحزمة الأفقية فإنها تعتمد على طول الممر الصوتي وغرفة الرنين الناشئة عن أوضاع الأعضاء أثناء نطق الصوت وكلما كانت هذه الغرفة أو الفراغ طويلا كانت حزمة الترددات أقل ، وتعتبر الشفتان وإلى حد ما الحلق هما المسئولان عن تطويل غرفة الرنين أو تقصيرها .

Vowel & Vociod

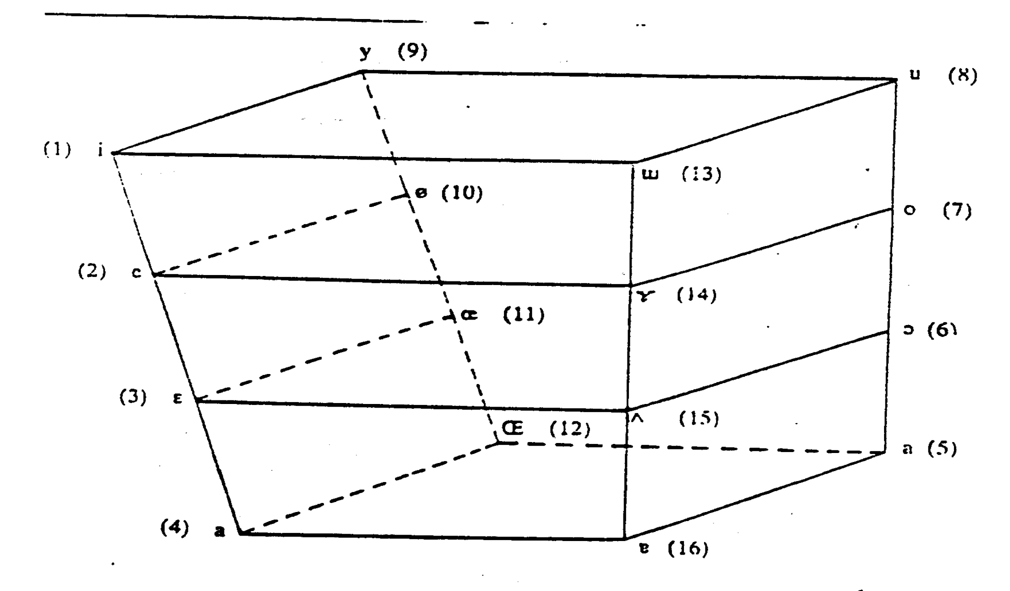
ان هذه التقسيمات سواء أكانت متعلقة باللسان أم بالشفتين أو ذات صلة بالكم الزمني الذي يستغرقه نطق الصوت ( صوت الحركة ) أو بعدد الذبذبات (الناحية الفيزيقية ) انما ترجع الى الاســـاس النطقي ، ولهذا فقد تم العدول عن التسمية القديمة لهذه المجموعة من الأصوات وهي Vowel التي روعيت فيها الناحيـــة الوظيفية الى تسمية جديدة هي Vo[illegible] ويقابلها في جانـــب الصوات مصطلح Contiod ، ولما كانت نظرية الصفات الفارقة قد ربطت بين الناحيتين الصوتية والوظيفية في اطار واحد فاننـــا سنحتفظ بالتسمية العربية ( الصوت / صوت الحركة ) لمقابلـــة المصطلحين معا وهما Vowel و Vociod (انظر ص ١٢١ ) .

## أصوات الحركة الاساسيـــة والثانويـــة

لقد استطاع Abercormbie [١] أن يضيف الـــى هذا النظام الذي وضعه جونز للحركات المعيارية الاساسية حركات أخرى ثانوية وطور بذلك نظاما جديدا للحركـــات يصل بها الى أثنين وعشرين حركة ، بين الشكل التالـــى وضع اللسان مع ست عشرة حركـــة منهـــا [٢]

(١) انظـــر Abercrombie; Elements of General Phonetics ;P.I54

(٢) يلاحظ أن ثمانية من هذه الحركات الاثنيـــن والعشرين ترجع الى الحركات الاساسية التي وضعها جونز أما الستة الباقية فهي حركات مركزية مخرجهـــا من وسط اللـــسان .




أما الحركات الست الباقية فمخرجها من وسط اللسان وذلك على النحو التالـــي :

الحركة ١٧ ومخرجها من منتصف المسافة بين الحركتين الاولى والثامنه ولا تستدير معها الشفتـان ويرمز لها بالرمـــز ɨ

الحركة ١٨ ومخرجها هو نفس مخرج الحركة السابقـــة مع استدارة الشفتين ويرمز لها بالرمز ʉ

الحركة ١٩ ومخرجها من منتصف المسافة بين الحركتين الثانية والسابعة ولا تستدير معها الشفتان ويرمز لها بالرمـــز ɘ

الحركة ٢٠ ومخرجها كالسابقة ولكن مع استدارة الشفتين ويرمز لها بالرمز ɵ

الحركة ٢١ ومخرجها من منتصف المسافة بين الحركتين الثالثة والسابعة ولا تستدير معها الشفتان ويرمز لها بالرمز ɜ

الحركة ٢٢ ومخرجها هو نفس مخرج الحركة السابقة مع استدارة الشفتين ويرمز لها بالرمز ɞ [1]

الرموز الدولية للحركات :

لقد راعت الجمعية الدولية للصوتيات API كلا من الحركات الاساسية والثانوية فى وضع الرموز الكتابية الخاصة بالحركات وتختلف هذه الرموز الى حد ما عن تلك التى وضعها آبركرومبى وذلك كما هو موضح بالجدول التالى [2]

---

(١) انظر Handbuch der Linguistik ; S. 206

(٢) تأسست الجمعية الدولية للصوتيات فى فرنسا عام ١٨٨٦ وقد اضطلعت منذ انشائها بوضع نظام دولى للكتابة يعرف بأسم الكتابة الصوتية الدولية .
انظر فى نشأة هذه الجمعية وتطورها تغريد عنبر: دراسات صوتية ص ٦١ — ٦٣ .

| رمز الحركة | الوضع الأفقى للسان | الوضع الرأسى للسان | وضع الشفتين | مثال |
|---|---|---|---|---|
| Symbol für Vokale | Zungen-Horizontallage | Zungen-Vertikallage | Lippenstellung | Beispiel |
| i | vorn | hoch | ungerundet | franz. *lit* [li] |
| ɪ | " | fasthoch | " | *bis* [bɪs] |
| e | " | mittelhoch | " | *See* [ze:] |
| ɛ | " | mitteltief | " | franz. *fait* [fɛ] |
| æ | " | fasttief | " | engl. *catch* [kætʃ] |
| a | " | tief | " | franz. *patte* [pat] |
| y | " | hoch | gerundet | *müde* ['my:də] |
| ʏ | " | fasthoch | " | *Hütte* ['hʏtə] |
| ø | " | mittelhoch | " | *böse* ['bø:zə] |
| œ | " | mitteltief | " | *örtlich* ['œrtlɪç] |
| ɨ | zentral | hoch | ungerundet | russ. *byk* [bɨk] |
| ʉ | " | hoch | gerundet | schwed. *hus* [hʉ:s] |
| ə | " | mittel | ungerundet | *mache* ['maxə] |
| ɐ | " | fasttief | " | *Wasser* ['vasɐ] (Berlin) |
| ɯ | hinten | hoch | " | *Shan* ['mɯ] |
| ɤ | " | mittelhoch | " | *Shan* ['kɤ] |
| ʌ | " | mitteltief | " | USA-engl. *cup* [kʌp] |
| ɑ | " | tief | " | engl. *far* [fɑ:] |
| u | " | hoch | gerundet | *gut* [gu:t] |
| ʊ | " | fasthoch | " | *Lust* [lʊst] |
| o | " | mittelhoch | " | *Boot* [bo:t] |
| ɔ | " | mitteltief | " | *Gott* [gɔt] |
| ɒ | " | tief | " | engl. *hot* [hɒt] |

تعريب المصطلحات:

vorn = امامى zentral = مركزى hinten خلفى
fasthoch = مرتفع الى حد ما mittelhoch = متوسط الارتفاع
fasttief = منخفض الى حد ما tief= منخفض hoch = مرتفع
mittel = متوسط mitteltief = متوسط الانخفاض
ungerundet = غير مستديرة gerundet = مستديرة

ملاحظات حول الجدول :

١ — يلاحظ من الجدول السابق أن الرموز الدولية للحركات لم تضع رمزا خاصا يعبر عن الطول والقصر أى عن الزمن الذى يستغرقه نطق الصوت ( حركة ما ) ، وقد استعيض عن ذلك بوضع نقطتين متعامدتين بعد الرمز للدلالة على كونه طويلا كما فى المثال الثالث : [ze:] ( See ) وهى كلمة ألمانية بمعنى بحر •

٢ — استمدت هذه الأبجدية رموزها من الحروف اللاتينية فى المقام الأول وقد أضيفت اليها علامات خاصة كما استعان بالصور المقلوبة لبعض الرموز للدلالة على القيم الصوتية المختلفة •

٣ — يمثل الشكل السابق أحدث تعديل للأبجدية الصوتية الدولية للصوتات ( الحركات ) ١٩٥١ وقد سبقته صور عديدة منذ ١٩٨٩ تم العزوف عنها [(١)] •

٤ — اصطلح العلماء على وضع رموز الأبجدية الصوتية الدولية بين قوسين معقوفين [ ] ويعرف ذلك باسم الكتابة الضيقة وذلك تمييزا لها عن الكتابة الأبجدية العادية التى تعرف بالكتابة الواسعة •

---

(١) انظر فى وضع الأبجدية الصوتية وتطورها ، دراسة الصوت اللغوى للدكتور أحمد مختار عمر ص ٦٠ •

## أصوات الحركة في العربية الفصحى
## وعلاقتها بالحركات المعيارية

ان استقراء الحركات في اللغة العربية الفصحى كما ننطقها اليوم يكشف لنا أن لدينا ثلاث حركات هي الفتحة والكسرة والضمة ومضاعفات كل منها أي ألف المد وياء المد وواو المد ولا تعتبر هذه الثلاثة الاخيرة حركات مستقلة (١) لان الفرق بينها وبين الفتحة والكسرة والضمة — من الناحية الصوتية — هو فرق في الكم فقط ، أما من حيث النوع فلا اختلاف بين الفتحة والالف ، ولا بين الكسرة وياء المد أو بين الضمة وواو المد ولقد سبق أن ذكرنا أن العلماء العرب قد أدركوا هذه الحقيقة الصوتية حيث قرروا أن الفتحة هي ألف صغيرة وأن الكسرة هي ياء صغيرة وأن الضمة هي واو صغيرة (٢) .

---

(١) أي من الناحية الصوتية البحتة أما اذا نظرنا الى عدد الوحدات الصوتية الخاصة بالحركات في العربية الفصحى فسنجد أن لدينا ست وحدات صوتية هي الفتحة والكسرة والضمة وألف المد وياء المد وواو المد ( انظر ص ١٢٤) .

(٢) انظر ص ٦٧ .

ان وضع هذه الحركات الثلاث على خريطة الاصوات المعيارية كما يصورها موبع دانيال جونز [١] ، يوضح أن الكسرة العربية وكذلك ياء المد هما أقرب ما يكون الى الحركة المعيارية الاولى (i) مع فارق طفيف بينهما هو أن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل أرتفاعا منه مع الحركة المعيارية ، كما أن أعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلا [٢] وعلى ذلك فان الكسرة العربية وكذلك ياء المد هما من الحركات الامامية الضيقة ويقابلان الحركة المعيارية الاولى بغض النظر عن الفروق الطفيفة بين الحركتين .

أما الضمة العربية وكذلك واو المد فانهما أقرب ما يكون الى الحركة المعيارية الثامنة (u) ، مع ملاحظة أن الضمة العربية لا تتطابق تماما مع نظيرتها المعيارية اذ " ان الجزء الخلفى من اللسان حين النطق بالضمة العربية يكون أقل أرتفاعا منه مع الحركة المعيارية كما أن أعلى نقطة فى هذا الجزء الخلفى تنحو نحو الامام

---

(١) انظر ص ٧٢

(٢) كمال بشر ، علم اللغة العام ، الاصوات ص ١٥١
كما يلاحظ أن انفراج الشفتين مع الحركة العربية أقل منه مع المعيارية .

قليــلا[1] ومن ثم فان الضمة العربية قصيرة كانت أم طويلة[2] تقابل الحركة المعيارية للثامنه ( u ) وذلك بغض النظـر عن تلك الاختلافات الطفيفة بينهما ٠

ان الوضع يختلف مع الفتحة العربية عن الضمــة والكسرة ، اذ ان هذه الفتحة اما أن تكون مرققــة اذا وليها صوت مرقق ( غير مفخم ) وذلك كما فى عبـد وطابد وهى حينئذ حركة أمامية تقابل الحركة المعياريــة الرابعة ( a )، واما أن تكون مفخمة وذلك اذا تلاهـا حرف مفخم [3] وذلك مثل صبر وطلب وصابر وطالـب ويلاحظ أن الفتحة المفخمة سواء كانت طويلة ( ألف مد ) أو قصيرة وان كانت تقابل الحركة المعيارية الخامسة ( ɑ ) الا أنها لاتتطابق معها تماما على خريطة الاصــوات

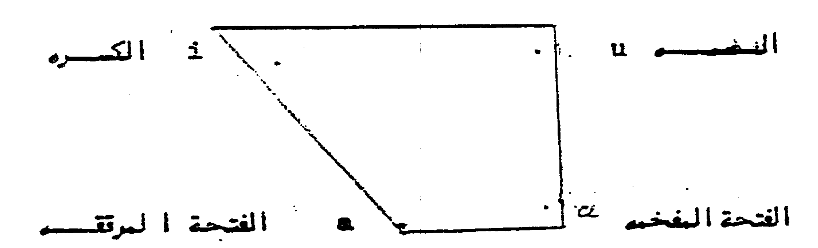
---

( ١ ) كمال بشر ، السابق ص ١٥٢ كما يلاحظ أن استدارة الشفتين مع المعيارية أكثر منها مع نظيرتها العربيـة

( ٢ ) يراد بالضمة الطويلة واو المد وبالفتحة الطويلـة ألف المد ، وبالكسرة الطويلة ياء المد ٠

( ٣ ) حروف التفخيم فى العربية هى الصاد والضاد والطاء والظاد ، أما بقية حروف الاستعلاء وهى الخـاء والغين والقاف فان الفتحة تكون معها أقل تفخيما أو تكون فى منزلة وسط بين التفخيم والترقيق ( انظر كمال بشر ، علم اللغة العام ، الاصوات ص ١٤٨ )

المعيارية لان خلف اللسان مع الفتحة المفخمة يكون أعلى منه مع الحركة المعيارية الخامسة (١) ومن ثم فان درجة اتساعها تقل عن اتساع المعيارية الخامسة ولكنها تزيد بدرجة ملحوظة عن اتساع الحركة السادسة ، ويوضح الشكل التالى موقع الحركات العربية على مربع الحركات المعيارية




## أقسام أصوات الحركة فى العربية الفصحى

تنقسم الحركات العربية الفصحى من حيث الوضع الافقى للسان الى :

(١) كمال بشر ، السابق ص ١٥٣ .
(٢) تشير النقط الى موضع نطق الحركات العربية سواء أكانت قصيرة أم طويلة على مربع دانيال جونز .

١ ـ حركات أماميـــة

وهى الكسرة ( تقابل المعيارية الاولى i
والفتحة المرققة ( تقابل المعيارية الرابعة a

٢ ـ حركـات خلفيـــة

وهى الضمة ( تقابل المعيارية الثامنه u
والفتحة المفخمة ( تقابل المعيارية الخامسة α

أما اذا نظـــرنا الى الوضع الرأسى للسان ومـــا ينجم عنه من ضيق المسافة بين سطح اللسان وما يوازيه من الحنك الاعلى أثناء نطق الحركة فانها تنقسم الى :

١ ـ حركات ضيقـــة وهى الكســـرة والضمـــة
٢ ـ حركات متسعة وتشمل الفتحة بنوعيها المفخمة والمرققة

هذا وتنقسم الحركات العربية مرة أخرى باعتبار وضع الشفتين الى :

١ ـ حركات مضمومة أو مستديرة وهى الضمـــة
٢ ـ حركات منفرجة ( غير مستديرة ) وهى الكســـــرة
٣ ـ حركات محايدة وهى الفتحة بنوعيها الا أن المفخمة أقرب الى الاستدارة والمرققة أقرب الى الانفراج .

وفيما يتعلق بمسألة الرنين فانها تنقسم الى :
حركات حادة : وهى الكسرة والفتحة المرققة ، وغليظة وهى الضمة والفتحة المفخمة ويمكن تقسيمها من ناحية الانتشار والتضام الى : حركات متضامة وهى الكسرة والضمة ومنتشرة وهى الفتحة .

ان ما يتطبق في جميع الاقسام السابقة على الفتحة ينطبق أيضا على ألف المد لان ألف المد ليست سوى امتداد للفتحة ، وما ينطبق على الكسرة أو الضمة فانه ينطبق بالتالى على ياء المد وواوه لان الحركتين الاخيرتين لا تعدوان أن تكونا أمتدادا للكسرة والضمة، هذا من الناحية الصوتية البحتة ، أما من حيث الوظيفة التى تؤديها كل من الفتحة والكسرة والضمة فانها تختلف عن الوظيفة التى تؤديها كل من الالف والياء والواو ومن هنا يختلف معنى طَلَبَ عن معنى طالب ويختلف معنى طُلِبَ عن معنى طولب ، فاذا أضفنا هذه الناحية الوظيفية الى الناحية الكمية ( أى كمية الزمن الذى يستغرقه نطق الحركة ) لاصبح لدينا قسمان متميزان لاصوات الحركة هما :

١ — حركات قصيرة وتشمل الفتحة والكسرة والضمة

٢ — حركات طويلة وتشمل ألف المد وواوه وياءه [(١)]

---

(١) سنتناول الحركات العربية من الناحية الفونولوجية أى باعتبارها وحدات صوتية فيما بعد ( انظر ص ١٢٤ ) ويلاحظ هنا أيضا أننا اقتصرنا على دراسة أصوات الحركة في الفصحى ، أما في اللهجات العربية القديمة والحديثة فان هناك حركات أخرى منها مثلا :

— الضمة الممالة فى مثل موز ولوز فى اللهجة المصرية وهى تقابل الحركة المعيارية السابعة (٥)

— الفتحة الممالة فى مثل بيت وغيط فى اللهجة المصرية وهى

## أنصاف الحركات

سبق أن ذكرنا أن أقصى اللسان عندما يرتفع مع الضمة فانه لايحدث نوعا من الحفيف فاذا زاد الارتفاع عن ذلك حدث نوع من الحفيف ووجدنا أنفسنا أمام صوت يجمع الى خاصية الوضوح السمعى فى الحركات خاصية الاحتكاك التى تلاحظ فى الاصوات الصامتة وذلك الوضع هو الذى ينجم عنه صوت الواو العربية اذا تحركت او سبقت بحركة غير مجانسه ٠

اما اذا كان الجزء الذى يرتفع من اللسان هو وسطه بحيث يحدث ذلك النوع من الحفيف الضعيف فاننا نسمع صوتا اخر هو الياء المتحركة أو المسبوقة بحركة غير مجانسة. ولذا ينظر اليهما عادة على أنهما أنصاف حركات ٠

---

=== وهى تقابل الحركة المعيارية الثانية

— تمثل الامالة فى اللهجات القديمة ( تميم وقيس وأسد ) باعتبارها تقريب للالف من الياء ( انظر فى تعريفات الامالة ، اسماعيل شلبى ، الامالة فى القراءات واللهجات العربية ص ٥٤ ) الحركتين المعياريتين الثانية والثالثة فاذا كانت الامالة شديدة فهى أقرب ما تكون الى الحركة الثانية أما اذا كانت خفيفة فانها أقرب ما تكون الى المعيارية الثالثة ع انظر فى ذلك أنيس ، الاصوات اللغوية ص ٤٠ وقارن بربيع وعلام ، علم الصوتيات ص ٢١٧ ٠

(١) انظر فى هذا الموضوع كمال بشر ، علم اللغة العام ، الاصوات ص ٨٣ ، ١٣١ ٠

## الاصوات الصامتة

يقصد بالصوت الصامت ذلك الصوت الذى يضيق معه مجرى الهواء أو يغلق تماما غلقا يعقبه انفجار ، وتشكل الاصوات الصامتة ثانى الصنفين الرئيسيين اللذين تتكون منهما الاصوات الانسانية ولقد سبق أن ذكرنا أن هناك فروقا بين هذين الصنفين ( أصوات الحركة والاصوات الصامتة ) ، ونضيف الى ما ذكرناه آنفا [1] أن الاصوات الصامتة [2] تفترق عن أصوات الحركة بقابليتها للوقوع فى بداية المقطع الصوتى وذلك بخلاف أصوات الحركة التى لايمكن الابتداء بها [3]

---

(١) انظر ٦٣ وما بعدها .

(٢) يسمى تمام حسان الاصوات الصامتة بالحروف الصحيحة أما أصوات الحركة فتسمى عنده بحروف العلة ( انظر العربية معناها ومبناها ص ٦٧ )

وقد جرى على هذا أيضا احمد مختار عمر ( انظر الصوت اللغوى ص ١١٣ ) ، حين سمى أصوات الحركة باسم العلل أما الصوامت فقد تردد فى تسميتها فأطلق عليها اسم السواكن أو الصوامت

(٣) انظرفى الفروق الوظيفية بين الصوامت وأصوات الحركة تمام حسان — السابق ص ٧٢ .

## تصنيف الاصـــوات الصامتـــة

للاصوات الصامتة تصنيفات عدة باعتبارات مختلفـــة فهى تصنـف باعتبار اهتزاز الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها الى أصوات مهتزة ( مجهورة ) وأصوات غير مهتزة (مهموسة) كما تصنف وفقا للعائق الذى يعـــترض الهواء أثناء النطق بها الى أصوات يعاق معها الهواء اعاقة كاملة وذلـــك حين يغلق الممر غلقـا كاملا يعقبه انفجار وتوصف حينئـذ بكونها أصواتا شديدة أو انفجارية ، واما أن يعاق الهواء اعاقة جزئية بتضييق مجراه وتسمى حينئذ بالاصوات الرخـوة أما اذا نظرنا الى المكان الذى يغلق فيه مجرى الهـواء أو يعاق ويسمى مخرج الصوت فاننا سنحصل على أقســام عديدة تختلف باختلاف الجـزء الذى حدثت فيه الاعاقـة وذلك كالحلق والشفتين وغير ذلك من المخارج وقبـــل أن نتحدث عن كل قسم من هذه الاقسام بشيء من التفصيل فانه يجدر بنا أن نحدد معانى بعض المصطلحات الـتى يكثر ترددها عند الحديث عن الانواع المختلفة للاصـوات الصامتـــة .

**الجهر والهمس :** يعنى الجهر فى اصطلاح المحدثيـــن اهتزاز الاوتار الصوتية أثناء نطـــق الصـــوت ، أما الهمس فيعنى عـــدم

اهتزاز هذه الاوتار ، وعلى ذلك فان الصوت المجهور هو ذلك الصوت الذى تهتز معه الاوتار الصوتية والصوت المهموس ، هو ذلك الصوت الذى لا تهتز معه الاوتار الصوتيـــة (١)

الشـــدة والرخـــاوة :

يقصد بالشدة في الاصطلاح الصوتى الحديـــث غلق ممر الهواء غلقا محكما يعقبه انفجار ومن ثم توصـــف الاصوات التى ينحبس معها الهواء انحباسا تاما بانهـــا أصوات انفجارية

أما الرخاوة فيقصد بها عدم الاعاقة الكاملة للهواء أثناء خروج الصوت والاكتفاء بتضييق المجرى بحيث يسمح للهـواء بالمرور ، الا أن هذا التضييق للمجرى ينجم عنه احتكـاك الهواء بالاعضاء النطقية التى سببت هذه الاعاقة الجزئيـــة

(١) يبدو أن القدماء قد أحسوا بأثر الاوتار الصوتيـــة في الاصوات المجهورة دون أن يعرفوا انها هـــى المسئولة مباشرة عن هذا الاثر ولذا عرفوا الصـــوت المجهور بأنه ذلك الحرف ( =الصـوت ) الـــذى أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معـــه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت ، أما المهمـوس فهو حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " انظر سيبويه ٤٠٥/٢ وابن جنى ســـر الصناعة (٦٩/١ ) ، ويبدو أن المقصود بالاعتماد
====

ومن ثم يطلق على هذه الاصوات اسم الاصوات الاحتكاكية africatife Consonants وقد يحدث أن يعاق الهواء اعاقة كاملة فى موضع ما ولكن يسمح له بالمرور من موضع آخر وهنا يسمى الصوت متوسطا أو مائعا [1] ، وقد

---

=== هنا هو ضغط الهواء أسفل الاوتار الصوتية الذى ينجم عنه أهتزازها ومن ثم يخرج الحرف صوتا (أى ذا أثر واضح فى السمع) ، كما يبدو أن المقصود بالنفس مع الاصوات المهموسة هو الهواء غير المهتز الذى يشبه النفس العادى فى حالة الزفير (انظر فى تفسير كلام سيبويه تمام حسان العربية معناها ومبناها ص ٥٢، ٦٢ ، ابراهيم أنيس ، الاصوات اللغوية ص ١٢٤ ، وقارن بـ Schaade; Sibawayhs Lautlehre;S. 35

(١) تنقسم هذه الاصوات المتوسطة باعتبار الممر الذى يسلكه الهواء بعد غلق ممره الطبيعى الى أصوات أنفية وهى تلك التى يتسرب معها الهواء من التجويف الانفى مثل الميم والنون ، وأصوات جانبية وهى التى يتسرب معها الهواء من جانبى اللسان وتسمى بالحروف الجنبية مثل الضاد القديمة واللام ، وقد يتسرب الهواء على دفعات متوالية نتيجة لتكرار اصطدام طرف اللسان بالحنك الاعلى ويسمى الصوت حينئذ مكررا مثل الهواء .

وقد يلاحظ أن بعض الاصوات يبدأ شديدا بأن يغلق معه الممـــر برهـــة ثم يعقب ذلك تضيق للمجرى فلا نكاد نسمع صوت الانفجار حتى نسمعَ صوتـا أحتكاكيـــا ، ويسمــــى هذا الصوت مركبـــا

الاطبــــاق .

يقصد بالاطباق ارتفاع اللسان نحو أقصى الحنـــك بحيث يأخذ شكلا مقعرا [١] ، فاذا تصعد اللسان نحو الحنك الاعلى دون أن يتخذ هذا الشكل المقعر سمـــى ذلك بالاستعلاء [٢] ويسمى الصوت الذى يرتفع معه اللســان مقعرا بالصوت المطبق أما الذى يرتفع معه اللسان دون تقعر فيسمى بالحرف المستعلى أو المفخم وعلى ذلك فكل صـــوت مطبق هو أيضا مستعـــل ومفخم وليس العكس ، ويسمى كــــل ماعدا الاصوات المطبقة بالاصوات المنفتحة ، وكل ماعـــدا الاصوات المستعلية أو المفخمة بالاصوات المستفــــلة أو المنخفضـــة [٣]

---

(١) يقول ابن جنى " ان الاطباق هو أن ترفع ظهر لسانـــك الى الحنك الاعلى مطبقا له " انظر سر الصناعة ١/ ٧٠

(٢) انظر ابن جنى ، سر الصناعـــة ١/ ٧١ .

(٣) انظر سيبويه ، الكتاب ٢/ ٤٠٥ وابن جنى ســـر الصناعة ١/ ٧١ وقد اكتفينا بأهم الصفات التى تعرض للاصوات وهناك عدا ذلك صفات أخرى تعرض للحروف مثل الذلاقة والقلقة وغـــير ذلك .

## مخـــرج الصــــوت

هو المكان الذى يلتقى فيه عضـــو النطـــــق فيسدان مجرى الهواء ويغلقانه تماما ، أو يتقاربا مـــــن بعضهما بحيث يضيّق المجــرى دون أن يُغلق،(١) وللأصوات العربية أقسام عديدة بحسب مخارجها فهنـــاك أصـــوات حلقية وأخرى شفوية وغير ذلك مما سنعرض له من مخارج .

(١) يعترض بعض الباحثين على استخدام مصطلح المخرج فى هذا المعنى لان المخرج فى نظـــره هو كـــل الطريق الذى يتسرب فيه النفس الـــى الخارج ومن ثم فهو يفضل كلمة موضع أو مكان ولكن مصطلح المخرج قد أصبح مستعملا فى معنى الموضع ومن ثم فلا مبرر لتغييره لان العبرة فى المصطلحات ليست بدلالتهـــا اللغوية وانما استعمالها بحسب ما وضعت له كمصطلح ولا ضير فى أن نعبر عن طريق خروج الهواء بالمجـــرى كما يقترح ابراهيم أنيس أو بالممـــر كما هو شائـــع الان عند كثيرين ( انظـــر ابراهيم أنيـــس الاصوات اللغويـــة ص ١١٣ ) .

## تصنيف الاصوات العربية الصامته

### أولا : باعتبـــار المخـــرج

تنقسم الاصوات العربية وفقا للموضع الذى يعـــاق فيه الهواء والذى اصطلح على تسميته بمخرج الحرف الى :

١ ـ أصوات شفوية : وهى التى ينحبس الهواء أثنــــاء النطق بها نتيجة لانطباق الشفتين والاصـــوات التى توصف بالشفوية هى الباء والميم وقد أضـــاف القدماء من علماء العربية الواو الى هذه المجموعة[1] وذلك لملاحظتهم انضمام الشفتين أثناء النطق بهـا غير أن البحث الصوتى الحديث أثبت أن المنطقـــة الاولى التى يضيق فيها مجرى الهواء أثناء نطـــق الواو الصامته هى أقصى الحنك عندما يرتفع نحـــوه موءخر اللسان[2] ، ولكن لما كانت الشفتان تنضمان انضماما شديدا مشكلة بذلك عائقا أمام الهواء أثناء

(١) انظر الكتاب لسيبوية ٢/٤٠٥ ، المقتضب للمبرد ١/٣٣٠ ، سر الصناعة لابن جنى ١/٥٣ ..

(٢) تحدثنا فيما سبق عن واو المد التى تعتبر حركـــة خالصة والفرق بينها وبين الواو الصامتة يتمثـــل أساسا فى أن المسافة التى يتسرب منها الهواء أثناء نطق الواو انصامته أضيق منها مع واو المد ومن ثـــم يحدث الهواء لوفا من الحفيف نلاحظه فى نحو الواو فى فى ولـــد ويوم ٠

نطق الواو كذلك فان الواو العربية هى من الاصوات المزدوجة المخرج ، أى أن مجرى الهواء يضيق معها فى موضعين هما أقصى الحنك و والشفتان وقد أكتفى القدماء بملاحظة الموضع الثانى [1] واكتفى بعض المحدثين بملاحظة الاول [2] ولاحظ فريق ثالث الموضعين معا وهو فى نظرنا أقرب الاراء الى الصواب [3] .

٢ ـ أصوات شفوية أسنانية

وهى أصوات تشترك الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا فى تشكيل عائق يضيق مجرى الهواء أثناء النطق بها ولا يوجد من هذه الاصوات فى اللغة العربية سوى الفاء التى توصف بأنها صوت شفوى أسنانى [4] .

---

(١) شارك بعض المحدثين القدماء فى الاكتفاء بملاحظة الموضع الثانى فقط ومن هؤلاء حسن ظاظا فى كتابه " كلام العرب ص ١٧ ، وتمام حسان فى كتابه مناهج البحث فى اللغة ، انظر جدول المخارج ص ٩١

(٢) أى أنه لايعتبر الواو من الاصوات الشفوية ومن هؤلاء ابراهيم أنيس فى الاصوات اللغوية ص ٤٥ ، وعبد الله ربيع وعبد العزيز علام فى علم الصوتيات ص ٢٣٩ ..

(٣) من هؤلاء كمال بشر ، انظر علم اللغة العام الاصوات ص ١٣٣ .

(٤) يضيف الاب هنرى فليش الفاء الى مجموعة الاصوات الشفوية ولا يعتد بدور الاسنان فى تضيق مجرى الهواء انظر له :العربية الفصحى ترجمة عبد الصبور شاهين ( انظر جدول الاصوات ص ٤١ )

٣ ـ أصوات بين أسنانيـــة ( Interdental )

وقـــد تسمى بالاصوات الاسنانية نظرا لان طرف الاسنان ( العليـــا والسفلى ) هى أهم الاعضاء التى يتكون منها العائق الذى يضيق مجرى الهواء ولكنها لا تنفرد بذلك اذ يشاركها أيضا طرف اللسان وقد روعى فى التسمية الاولى خروج الهواء من بيـــن الاسنان ، والاصوات العربية التى تخرج من هـــذا الموضع هى الثاء والذال والظاء •

٤ ـ أصوات أسنانية لثـــوية

وهى الاصوات التى يتكون عائق الهواء أثناء النطق بها نتيجة لاتصال طرف اللسان بأصول الاسنـــان واللثة العليا ، وهى الدال والتـــاء والطاء والضاد وفقا لنطقها الحالى فى الفصحى ، واللام والنـــون [1]

---

(١) أخرج تمام حسان واحمد مختار عمر من هذه المجموعة كلا من الراء واللام وأضافا اليها كلا من السين والزاى والصاد انظر للاول العربية معناها ومبناها ص ٧٩ — وللثانى دراسة الصوت اللغوى ص ٢٧٠ — هذا وقـد وزع القدماء من علماء العربية هذه المجموعة من الاصوات على مخارج ثلاث هـــى :

أ ـ طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهو مخـــرج الطاء والدال والتـــاء •

ب ـ طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايــــا وهو مخرج النـــــون •

===

٥ — أصوات لثوية

وهى الاصوات التى يعاق الهواء أثناء النطق بها نتيجة لاتصال طرف اللسان باللثة العليا وهذه الاصوات هى الزاى والسين والصاد والراء [١].

ويلاحظ أن هذا المخرج قريب جدا من المخرج السابق " لدرجة يصعب معها أحيانا التفريق بينهما ومما يفسر هذا التقارب ما سلكه بعض علماء الاصوات من ذكر السين والزاى

---

== ح — حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية مخرج اللام "
انظر فى ذلك سيبويه ، الكتاب ٢/٤٠٥ ، ابن جنى سر الصناعة ١/٥٣ .

(١) أختلفت وجهة المحدثين من علماء الاصوات حول مجموعة الاصوات التى توصف بأنها من اللثة فيرى تمام حسان أن الاصوات اللثوية هى الراء واللام والنون ويتفق معه فى هذه الوجهة أحمد مختار عمر الذى يضيف الى هذه الثلاثة صوتا رابعا هو اللام المفخمة التى يعتبرها وحدة صوتية قائمة بذاتها ، انظر دراسة الصوت اللغوى ص ٢٧١ وقارن بالعربية معناها ومبناها ص ٧٩ .
أما القدماء من علماء العربية فيجعلون السين والصاد ===

والصاد على انها أصوات لثوية أسنانية [1] واعتبارهم اللام والنون من الاصوات اللثوية فقط ، لا من الاصوات اللثوية الاسنانية .

٦ ـ اصوات لثوية حنكية

وهى تلك الاصوات التى يتم تضييق مجرى الهواء أثناء النطق بها فى المنطقة الواقعة بين مقدم اللسان وما يحاذيه من مقدم الحنك واللثة العليا ويسمى هذا الموضع بالغار ، ومن ثم يطلق على أصوات هذه المجموعة اسم " الاصوات الغارية " وهى الجيم الفصحى والشين

= والزاى من مخرج ( هو ما بين الثنايا وطرف اللسان ) والراء من مخرج ( وهو مخرج النون الا أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا ) . انظر سر الصناعة ١/٢ ٥

(٢) ببعض تصرف عن كمال بشر ،علم اللغة العام ، الاصوات ص ٨٩ ، والعلماء الذين يشير اليهم هم من ذكرناهم فى الملاحظة السابقة ويرى ابراهيم أنيس أن اللام والراء والنون تشكل مجموعة صوتية تتحد فى مخرجها الذى يتقارب الى حد كبير من مخرج ثلاث مجموعات أخرى هى مجموعة الدال والتاء والطاء والضاد ، مجموعة السين والزاى والصاد ، وأخيرا مجموعة الثاء والذال والظاء ، ويرى أن مخارج هذه المجموعات يكاد ينحصر فى مقدم اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا ( بما فيها أصولها )

ويضيف بعض العلماء الياء الصامته الى هـذه المجموعـة[1]

٧ ـ أصوات حنكية

وهى تلك التى يضيق مجرى الهواء أثناء النطق بـها نتيجة لاقتراب وسط اللسان بما يحاذيه من الحنـك الاعلى وهو مخرج الياء ، ونظرا لقربه من المخـرج السابـق فان القدماء وكثيرين من المحدثين يعتبرونها مخرجا واحدا ويرون الجيم والشين والياء جميعا من أصوات وسط الحنك

٨ ـ أصوات طبقيـة

وهى تلك الاصوات التى يتكون عائقها فى منطقـة الطبق أو الحنك اللين عندما يقترب منه مؤخر اللسـان وأصوات هذه المجموعة هى الكاف والغين والخاء والواو ، وقد سبق أن ذكـرنا أن هناك من يـرى أن مخـرج الواو هو من الشفتين [2] نظـرا لوضوح أثرهما فى تضيق

---

(١) انظر تمام حسان العربية معناها ومبناها ص ٧٩ ، وقارن باحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٢٧١ أما القدماء من علماء العربية فيرون أم مخرج كل من الجيم والشين والياء هو وسط اللسان ووسط الحنك الاعلى انظر سيبوية الكتاب ٢/٤٠٥ .

(٢) انظر ص ٩٩ ، ويرى القدماء من علماء العربية أن مخرج الخاء والغين هو أعلى الحلق أى أدناه من الفم انظر الكتاب لسيبوية ٢/٤٠٥ وسر الصناعة ١/٥٢ والمقتضـب للمبرد ١/٣٢٨ .

مجـــرى الهواء للمرة الثانيـــة أثنـــاء نطق الواو [١] .

٩ ــ أصـــوات لهويـــة

وهى التى تقوم اللهاة بدور بارز فى تضيق مجرى الهواء أثناء النطق بها وهى القاف [٢] ، ونظر للتقارب الشديد بين مخرج كل من الغين والخاء من ناحية ومخرج القاف من ناحيـــة ثانية فقـد أعتبر بعض الباحثين أن الاصوات الثلاثـــة ذات مخرج واحـــد هو اللهاة .

١٠ ــ أصوات حلقيـــة

وهى الاصوات التى يتكون عائقها من اقتراب أصل اللسان مع الجدار الخلفى للحلق ، وهذه الاصوات هـــى العين والحـــاء

١١ ــ أصوات حنجـــرية

وهى تلك التى تتشكل عقبتها فى الحنجـــرة وهـــى

---

(١) يضيف بعض الباحثين الجيم القاهـــرية الخاليـــة من التعطيش الى هذه المجموعة ( انظـــر عبدالله ربيع وعبد العزيز عـــلام علم الصوتيـــات ص ٢٣٨ ويرى تمام حسان أن مخرج الغين والخـــاء هو من اللهاة ( مثل القـــاف ) لا من الطـــبق .

(٢) يرى القدماء أن مخـــرج القاف هو أقصى اللسان (انظر المراجع المشار اليها فى الملاحظة قبل السابقـــــة )

وهـــى الـهمزة والـهــــاء(١) .

---

ثانيــــا : باعتبــــار اهتزاز الاوتـــار الصوتيــــة

تنقسم الاصوات الصامتة باعتبـــار اهتزاز الاوتار الصوتية وعدم اهتزازها الـــى :

١ ـ أصوات مهموسة

وهى تلك التى لاتهتز معها الاوتار الصوتيـــــة وتشمل هذه الاصوات كلا من السين والكاف والتاء والفـــاء والحـــاء والثاء والهاء والسين والخاء والصـــاد وقـــد جمعها القدماء من علماء العربية فى " سكت فحثه شخص" ويضاف اليها كلا من القاف والطاء بحسب نطقنا الحالـى لكليهمـــا .

---

(١) يرى علماؤنـــا القدامى أن الهمزة والهاء من أسفل الحلق وهـــو الجزء الذى يلـى الحنجـرة ، ويبـدو أن مفهـــوم الحلق عندهـــم كان يختلـف الى حد ما عما نفهمه نحـــن ، اذ كان يشمـــل فى نظرهم الجزء الاعلـــى من الحنجـــرة والجـــزء الاقصـى من الحنـك ، أما الان فيقصـد بالحلق ما كان يطلق عليـه وســـط الحلق عنـــدهم ، وقد أضاف القدماء الى أصــــوات أسفـــل الحلق صـوت الالـــف .

٢ ـ أصوات مجهورة

وهى التى تهتز الاوتار الصوتية أثناء نطقها
وتشمل الاصوات المجهورة كل الاصوات الصامتة ما عدا
الهمزة والاصوات المهموسة ( سكت فحثه شخص + قط)

٣ ـ أصوات لا يمكن وصفها بجهر أو همس وذلك لانها
تخرج من المزمار ذاته ولا ينطبق هذا الوصف الا على
صوت الهمزة التى كان القدماء يعتبرونها صوتا مجهورا (١)

ثالثا : باعتبار نوع ودرجة اعتراض الهواء

تنقسم الاصوات العربية باعتبار نوع ودرجة اعتراض
الهواء أثناء النطق الى :

١ ـ أصوات شديدة

وهى تلك التى يغلق معها طريق الهواء غلقا
محكما يعقبه انفجار ، ومن ثم تسمى أيضا بالاصوات
الانفجارية explosive وقد يسمى هذا النوع
من الصوامت ، بالصوامت الوقفية (٢) نظرا لتوقف

---

(١) انظر سيبويه ٢/ ٤٠٥
(٢) يفرق بعض العلماء بين نوعين من الصوامت الشديدة
يسمى الاول منها بالصامت الوقفى وهو الذى يستمر
توقف الهواء معها لمدة طويلة نسبيا ، ويسمى
الاخر بالصامت الخبطى وهو الذى يحدث معه التوقف
لمدة قصيرة ( انظر تغريد عنبر دراسات صوتية ص ٢٢٤

الهواء عن متابعة سيره الى خارج الفم نتيجة الالتصاق المحكم لعضوى النطق عند ارادة التلفظ بالصوت ، والاصوات العربية التى ينطبق عليها هذا الوصف هى :
الهمزة والدال والكاف والقاف والطاء والباء والتاء والضاد ( وفقا لنطقنا الحالى ) والجيم القاهرية الخالية من التعطيش وقد اطرح القدماء من هذه الثمانية الضاد وأضافوا الجيم وجمعوها فى قولهم " أجدت طبقك"(١)

٢ ـ أصوات رخوة

ويقصد بها تلك الاصوات التى يضيق معها مجرى الهواء نتيجة لاقتراب عضوى النطق من بعضهما دون أن يلتصقا مما يترتب عليه اضطراب الهواء واحتكاكه بعضوى النطق بحيث يسمع له نوع من الحفيف ، ومن ثم يسمى هذا النوع بالصوامت الاحتكاكية وينطبق هذا الوصف فى اللغة العربية على أصوات الهاء والحاء والغين والخاء والعين والسين والشين والصاد والزاى والظاء والذال والثاء والفاء (٢) .

---

(١) الكتاب لسيبوية ٤٠٦/٢ وقارن بسر الصناعة ٦٩/١ .
(٢) سبق وأن ذكرنا أن القدماء يعتبرون الضاد من الحروف الرخوة ، اذ لم يذكروها ضمن الاصوات الشديدة أو المتوسطة .

٣ ـ أصوات مركبـــة

وهى الاصوات التى تبدأ شديدة ( بغلق مجرى الهواء ) وتنتهى رخـــوة ( بتضييقه ) ولا يوجد فـــى العربية من هذا النوع سوى صوت الجيم ( الفصحى )

٤ ـ أصوات مكـــررة أو تكراريـــة

وهى التى يحدث أثناء النطق بها التصاق غـــير محكم لعضوى النطق لفترة قصـــيرة يعقبها فتح الممـــر لفترة قصيرة أخرى ، ثم تعودان للالتصـــاق فالانفـــراج وهكـــذا عدة مرات ، ولا يوجـد فى العربيـــة من هذا النـــوع من الصوامت سوى الراء

٥ ـ أصوات جانبيـــة

وهى تلك التى يغلق معها مجرى الهواء فى وسط الفم ولكن يسمح له بالمـــرور من جانبى اللسان وينطبـــق هذا الوصف فى اللغة العربية على اللام .

٦ ـ أصوات أنفيـــة

وهى التى يغلق معها طريق الهواء فى الفـــم ولكن يسمح له بالمرور من تجويف الانف وينطبق هـــــذا فى اللغة العربية على صوتى الميم والنـــون .

٧ - أصوات لينة

وهى التى يضيق فيها مجرى الهواء بدرجة أكثر من تضيقه مع أصوات الحركة ، ولكنه أوسع بالمقارنة مع الاصوات الصامته فاذا كان المجرى مع الحركات الضيقة هو ٤ مليمتر ومع الاصوات الصامته غير اللينة ٢ مليمتر فان أتساع المجرى مع الاصوات اللينة هو ثلاثة مليمترات ، ولان الاصوات اللينة تشبه أصوات الحركة من ناحية وتشبة الصوامت من ناحية أخرى فانه يطلق عليها أحيانا اسم انصاف الحركات وينطبق هذا الوصف فى اللغة العربية على صوتى الواو والياء المتحركتين أو الساكنتين بعد حركة غير مجانسة[1]

---

(١) يرى بعض الباحثين أن الواو والياء فى نحو حوض وبيت (أى اذا كانتا ساكنتين بعد حركة غير مجانسة ) هى من الحركات المزدوجة لا من الصوامت (انظر فى ذلك حسن ظاظا كلام العرب ص ٣٣ ، أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٣٠٤ ، وقارن بالسعران ، علم اللغة ص ٢٠٣ ) وهذا كما يقول كمال بشر (علم اللغة العام ، الاصوات ص ٨٥ ) وهم خاطىء ولا شك لان الحركة المركبة انما هى وحدة واحدة ، والموجود فى نحو حوض وبيت ليس وحدة واحدة وانما وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو فى حوض ، والفتحة + الياء فى بيت .

وذلك مثل الواو والياء في يوم ، حوض ولد ، يقوم (1)

لقد أضاف بعض الباحثين الى هذه الانواع السبعة من الصوامت نوعا ثامنا أسماه " الصوامت الواسعة وهى التى يكون الممر الصوتى بكامل سعته عند انتاجها دون أدنى تضييق ويحدث ذلك مع الصوامت التى تتشكل خارج منطقة الممر الصوتى ( فى الفم ) وهى الصوامت المزمارية ( أى الحنجرية ) وهى الهمزة والهاء والعين والواقع أن افراد هذه المجموعة قد يكون مهما على المستوى الصوتياتى ( الفوناتيكى ) الذى يهتم فيه بدراسة التفاصيل المتعلقة بعملية الانتاج ، أما على المستوى الوظيفى ( مستوى النظام ) فان افراده يعتبر سمة ثانوية ( غير جوهرية ) لان مجرد وصفه من حيث المخرج بأنه مزمارى ( حنجرى ) يفيد ضمنا يخلو الممر الصوتى من العقبات " (2)

---

(1) يعتبر القدماء أصوات المجموعات الرابعة والخامسة والسادسة ( الراء واللام والميم والنون ) من الاصوات المتوسطة ويقصدون بذلك أنها فى منزلة وسط بين الشدة والرخاوة وقد أضافوا اليها العين والالف والواو والياء وجمعوها فى قولهم " لم يروى عنا " انظر سر الصناعة ١/٧٠

(2) تغريد عنبر " دراسات صوتية " ص ٢٣١ .

رابعــا : باعتبــار شكل اللســان

تنقسم الاصوات باعتبار الشكل الذى يتخذه اللسان وما يترتب على ذلك من تكوين غرفــة رنين فى الفم ذات تأثير خاص فى العمليــة النطقيــة الى :

١ ــ أصوات مطبقة

وهى تلك الاصوات التى يرتفع فيها ظهر اللســان الى الحنك الاعلى بحيث يتخذ شكلا مقعرا وهذه الاصوات هى الصاد والضاد والطاء والظــاء .

٢ ــ أصوات منفتحــة

وهى التى لا يتخذ اللسان فيها هذا الشكــــل المقعر ، وهى كل ما عــدا الاصــوات السابقـــة .

ان هذه الاعتبارات التى روعيت فى تصنيف الاصوات العربية هى التى تقوم بدور أساسى فى التمييز بين هـــذه الاصوات ، ومن ثم يعتبر اتصاف الصوت بها مميزا لـــه عما عداه وهى التى يعتد بها كصفات فارقة Distinktiv Merkmale ، ويوجد الى جانبها تصنيفات أخرى تلعب دورا ثانويا فى التمييز بين هذه الاصوات باعتبارهـا صورا صوتيـــة Phones لاباعتبارهـــا وحدات صوتيـــة Phonems يتكون منها النظام الصوتى للغة العربيـــة[1]

(١) انظـــر ص ١٣١ .

الصفات الثانوية للصوامت :

للصوامت فى العربية تصنيفات أخرى ترجع الى صفات ثانوية أهمها :

أ — الاصوات المستعلية

وهى تلك التى يرتفع فيها اللسان نحو أقصى الحنك دون أن يتخذ شكلا مقعرا وهذه الاصوات هى الخاء والغين والقاف بالاضافة الى الاصوات المطبقة .

ب — الاصوات المستفلة

وهى التى لايرتفع معها اللسان وتشمل كل ماعدا الاصوات المستعلية .

جـ — الاصوات المفخمة

ويعنى التفخيم " ارتفاع موءخر اللسان الى أعلى قليلا فى اتجاه الحنك اللين وتحركه الى الخلف قليلا فى اتجاه الحائط الخلفى للحلق " (١) وينطبق هذا الوصف على الاصوات المطبقة والمستعلية مضافا اليها اللام والراء فى بعض المواضع ولاشك أن الاطباق هو أكثر درجات التفخيم ولذا يصنف كثير من الباحثين الاصوات المطبقة على أنها أصوات مفخمة ، أو أصوات كاملة التفخيم (٢)

---

(١) احمد مختار عمر ، الصوت اللغوى ص ٢٧٩ .

(٢) السابق ص ٢٧٨ وقارن بكمال بشر علم اللغة الاصوات ص ١٣٦ .

د — حروف الصفير ، وتسمى بالحروف الاسلية وهي التي يصاحبها اضطراب شديد للهواء ينتج عنه صوت يشبه الصفير وهي الصاد والزاي والسين

هـ — قد يراعى دور بعض الاصوات في النظام المورفيمي ( بناء الكلمات ) في اللغة العربية وتقسم الاصوات بالتالي الى ما يسمى بحروف الزلاقة وهي الراء واللام والنون والميم والباء والفاء ( مر بنفل ) وهي التي لا يخلو منها بناء رباعي أو خماسي وما عداها فهو حروف مصمتة ، أي صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية [1] .

و — الاصوات المقلقلة وهي تلك الاصوات الشديدة المجهورة التي يعقبها صويت ( حركة قصيرة جدا ) يحول دون تأثرها بما يليها من أصوات وهي أصوات ق ط ب ج د .

---

(١) ابن جنى ، سر الصناعة ١/٧٥ ، وقد ذكر ابن جنى وغيره من العلماء العرب تصنيفات أخرى للاصوات الصامتة كتقسيمه لها الى صحيحة ومعتلة وساكنة أو متحركة وأصلية أو زائدة وغير ذلك مما يتعلق بالنظام الصرفي — لا الصوتي — للغة ومن الصفات الثانوية لبعض الاصوات ما نلاحظه من وصف الشين بالتفشي والضاد بالاستطالة ( انظر النشر في القراءات العشر ١/٢٠٥ .

يقول صاحب نهاية القول المفيد :

" ان القلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف الخمسة لكنها فى الموقوف عليه أقوى منها فى الساكن الذى لا يوقف عليه " (١) وقد قسمها علماء الأداء الى ثلاث مراتب : عليا وهى فى الطاء ووسطى وهى فى الميم ودنيا وهى فى الثلاثة الباقية .

ز — الاستطالة : ويراد بها امتداد الصوت من أول حافة اللسان الى آخرها وهى صفة للضاد الفصحى .

ح — التفشى ويراد بها عند علماء الأداء : انتشار الريح فى الفم عند النطق بالشين (٢) .

ط — الغنة والخفاء ، وسنتحدث عن هاتين الصفتين عند حديثنا عن أحكام النون الساكنة ( انظر ص ٢٢٨ ) .

---

(١) نهاية القول المفيد ص ٥٥ وقد نقل عن بعضهم أن هناك قلقلة فى الحرف المتحرك وهذا غير صحيح لأن الحركة لا تعقب الحركة وصوت القلقلة حركة قصيرة جدا كما أوضحنا .

(٢) السابق ٥٨ .

## الفصل الثالث

## الوحدات الصوتية في العربية الفصحى

لقد شكلت الوحدات الصوتية العنصر الأساسي فيما يطلق عليه علم الفونولوجي حتى أطلق عليه بعضهم علم الوحدات الصوتية وسوف نتناول في ما يلي التعريف بهذه الوحدات وما ينطبق عليه ذلك في اللغة العربية الفصحى ، سواء تعلق ذلك بالصوامت أو الصوتات .

### الوحدة الصوتية Phoneme

لقد ظهر مصطلح Phoneme للمرة الأولى في الدراسات الغربية على يد أحد تلامذة بودوان دي كورتيني B. de courtenay وهو كروزيفسكي Kruszewski في مقدمة رسالته للدكتوراة سنة ١٨٨١ وكان دي كورتيني هو الذي مهد لذلك بالتفرقة الواضحة بين التحقق الحسي للصوت باعتباره ظاهرة فسيولوجية ( وهو الذي أصبح فيما بعد الموضوع الأساسي لعلم الأصوات النطقي physiophonetics ) وبين الصورة العقلية للصوت ( وهو موضوع علم الأصوات النفسي psychophonetics ) (٢) .

---

( ١ ) الوحدة الكلامية هنا أعم من أن تكون كلمة أو جملة أو جزء أي منهما كالمقطع أو العبارة ( جزء الجملة ) .

( ٢ ) انظر في نشأة هذا المصطلح وظهوره للمرة الأولى في :

يانسن Handb. der Ling. S. 311 f.

لوانوفسكي Ling. wörterb II 558 .

ثم كانت الخطوة التالية في استخدام هذا المصطلح « **فونيم** »[(١)] على يد رائد علم اللغة الحديث دي سوسير الذي ربط في تحديده لمفهوم هذا المصطلح بين كلتا الناحيتين العضوية والنفسية ( أو العقلية ) في تعريفه للفونيم أو الوحدة الصوتية عندما قال :

**الفونيم** : « هو الحصيلة النهائية للانطباعات السمعية ( أي الصورة الذهنية التي تنتقل عبر جهاز السمع ) وحركات النطق ، أو هو الأثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة » ثم خلص إلى القول بأنه « وحدة مركبة لها جذر في السلسلة المنطوقة وآخر في السلسلة السمعية » [(٢)] ، وهذا يشبه إلى حد كبير تعريفه للرمز اللغوي .

وقد عبر دي سوسير عن العلاقة بين الصورة الحسية للصوت والصورة الذهنية المجردة لهذا الصوت وأطلق على الثانية مصطلح « **الفصيلة الصوتية** » وهو ما أصبح يعرف فيما بعد بالعلاقة بين الفون أي الصورة المنطوقة بالفعل باعتبارها تحققا لهذه الصورة الذهنية أو الفصيلة الصوتية ( وفقا لاصطلاح دي سوسير ) وبين الفونيم أي الصورة المجردة ذات الطابع الذهني التي ينتمي إليها هذا الصوت ، وقد ذكر دي سوسير أن هذه الفصائل الصوتية محدودة في عددها وأنها أمر تجريدي عندما قال : « إن العناصر التي نحصل عليها أولا عند تقسيم السلسلة المنطوقة تشبه الحلقات في السلسلة ( المعدنية ) فهي لحظات لا يمكن اختصارها ، كما لا يمكن دراستها خارج الوقت الذي تشغله فالصوتان ta ـ مثلا ـ يتألفان من لحظة زمنية بعد أخرى ، من جزء من الطول بعد آخر ، أما الصوت t إذا أخذناه وحده ، فيمكن دراسته بصورته المجردة خارج الزمن ( أي باعتباره صورة

---

( ١ ) يرجع هذا المصطلح إلى الأصل الأغريقي phonéma بمعنى صوت أو حرف ، أنظر يانسن ، السابق ص ٣١١ .

( ٢ ) دي سوسير علم اللغة العام ( ت . يوئيل يوسف عزيز ) ص ٥٨ .

ذهنية دائمة عند الناطقين بلغة يشتمل نظامها الصوتي على هذه الوحدة ) لذا نستطيع أن نقول أن صوت « t » على العموم من فصيلة « T » ( استخدم دي سوسير الحرف الكبير capital للدلالة على الفصيلة أو الوحدة الصوتية المجردة ) وأن « i » على العموم هو من فصيلة « I » إلخ إذا أخذنا بنظر الاعتبار الصفة المميزة للصوت فقط وأهملنا كل شئ آخر يعتمد على التعاقب الزمني ... وبعد أن يقوم خبير الأصوات بتحليل عدد كاف من السلاسل المنطوقة لعدد من اللغات يستطيع إذ ذاك أن يشخص العناصر التي تستخدمها كل لغة من هذه اللغات ، ويقوم بتصنيف هذه العناصر ، وإذا أهمل بعض أمثلة التنويع الصوتية السمعية غير المهمة فإنه يجد أن الفصائل الصوتية محدودة في عددها (١) .

ونلاحظ هنا أن دي سوسير لم يشر مطلقا إلى العلاقة بين الوظيفة الدلالية والفونيمات ، ومن ثم فهو يفرق بين الصوت المنطوق وبين الفصيلة الصوتية أو الفونيم على أساس غير وظيفي ، وأنه قد استخدم مصطلح « فونيم » للتعبير عن العلاقة المتبادلة بين الصوت المنطوق والصورة السمعية أو الذهنية له وإذا صح فهمنا لكلام دي سوسير فإن مصطلح « **الفصيلة الصوتية** » يراد به الحرف المعين صامتا كان أو مصوتا وذلك مثل التاء أو الفتحة ، أما صوت التاء فهو ما ينطق به فعلا في أحد السياقات وهذا أشبه ما يكون بتفريق ابن جني بين الصوت والحرف (٢) .

أما البداية الحقيقية لما أصبح يعرف في الدراسات الغربية بنظرية « الفونيم » أو الوحدة الصوتية فقد تمثلت في جهود كل من هنري سويت H. Sweet الإنجليزي ( ١٩١٢ م ) ونورين Noreen السويدي ( ١٩٠٥ م ) وونتلر J. Winteler السويسري ( ١٩٢٩ م ) حيث نظر هؤلاء الثلاثة

---

( ١ ) السابق ، نفس الصفحة .

( ٢ ) انظر في هذا الفرق سر صناعة الاعراب ١ / ٦ .

وخاصة « ونتر » إلى الأصوات من جهتين مختلفتين هما : الجهة النطقية والجهة الوظيفية (١) ومن ثم تم التفريق بين نوعين من التقابلات الصوتية :

أحدهما : يستعمل في اللغة للتفريق بين المعاني والوظائف النحوية للكلمات .

وثانيهما : لا يفيد هذا الفرق الوظيفي (٢) .

لكن أيا من هؤلاء العلماء لم يستطع أن يضع منهجا واضحا لكلا جانبي الدرس الصوتي أي جانب الأصوات باعتبارها أحداثا نطقية تنتمي إلى الكلام الفعلي أو ما أسماه دي سوسير « parole » وجانبا باعتبارها وحدات تجريدية ذات وظائف معينة تنتمي إلى اللغة « langue » .

ولم تتضح معالم الدراسة الفنولوجية التي تتخذ من نظرية الفونيم (٣) موضوعها الأساسي إلا في أواخر الثلاثينات من هذا القرن بفضل جهود كل من تروبتسكي وياكوبسن وغيرهم من مشاهير مدرسة براج اللغوية .

---

( ١ ) يانسن Handb. der ling. S. 310 .

( ٢ ) كمال بشر ، علم اللغة العام ، الأصوات ص ٣٢ .

( ٣ ) يقصد بنظرية الفونيم Phoneme theory معان مختلفة أهمها وفقا لما ذكره لواندوفسكي :

١ ـ علم وظائف الوحدات الصوتية Phonology .

٢ ـ المناقشات النظرية حول الوحدات الصوتية أو الفونيمات وخاصة مسألة العلاقة بين الناحيتين النطقية والوظيفية لهذه الوحدات وبين الصور والوحدات الصوتية ، انظر في تفصيل ذلك : لواندوفسكي Ling. worterb. II S. 564 .

وقارن بـ « دراسة الصوت اللغوي » لأحمد مختار عمر ص ١٣٩ وما بعدها ، وبما كتبه كمال بشر عن الفونيم في علم اللغة العام ، الأصوات ص ١٥٥ وما بعدها .

لقد تعددت الاتجاهات واختلفت الآراء وتباينت المناهج في معالجة موضوع الوحدة الصوتية ( الفونيم ) وتعريفها لدى المدارس اللغوية المختلفة وقد لخص « لاينز » نقطة الخلاف الجوهرية بين هذه المدارس والاتجاهات خاصة بين المدرسة الأمريكية ومدرسة براج فيما يتعلق بالأساس النظري للمسألة عندما قال ( نقلا عن هوكت ) :

« يقول هوكيت Hockett ( ممثلا للمدرسة الأمريكية ) : ينبغي ألا ننسى مطلقا أن الفونيم في لغة ما يمكن تعريفه فقط بمساعدة القيم الخلافية ( أي الفروق ) مع غيره من الفونيمات في نفس اللغة » أما البراجيون فقد غيروا ذلك بإضافة تعديل مهم يتمثل في صياغة هذا المبدأ على النحو التالي :

« يتحدد الفونيم ومن ثم يكون تعريفه بمراعاة أوجه الاتفاق والاختلاف ( سويا ) مع الفونيمات الأخرى في نفس اللغة » (١) .

إننا هنا لا نستطيع ذكر كل هذه الآراء المختلفة حول تعريف « الفونيم » أو الوحدة الصوتية فلذلك مظانه في مؤلفات علم اللغة وعلم الصوتيات والمعاجم الخاصة بالمصطلحات اللغوية (٢) ، وسنكتفي لأغراض هذا البحث بالتعريفين السائدين في المراجع اللغوية الحديثة وهما : التعريف الذي يقوم على أساس وظيفي وذلك الذي يقوم على أساس صوتي أو نطقي .

---

( ١ ) لاينز Lyons , Einführung , S. 124 .

( ٢ ) للوقوف على التعاريف المختلفة للفونيم ينظر :

لواندوفسكي Lewandowiski , ling. worterb. II S. 559 .

يانسن Janssen , Handb. der ling. S. 311 .

لاينز Lyons , Einführung , S. 115 .

ومن المراجع العربية :

د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، الأصوات ، الفصل الثامن ص ١٥٥ – ١٦٢ .

د . أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، الفصل الأول من الباب الثالث ص ١٣٩ – ١٥٤ .

## التعريف الوظيفي للوحدة الصوتية

تعرف الوحدة الصوتية وفقا لهذا الاتجاه الوظيفي بأنها :

« أصغر وحدة ذات طابع صوتي متميز يؤدي استعمالها إلى التفريق في المعنى » ، وهذا تعريف بلومفيلد (١) وقد شرح لاينز ذلك التعريف المبني على مراعاة الفرق في المعنى بقوله :

« إن صوتين مختلفين في لغة ما يستعملان في نفس السياق ومن خلالهما يستطيع المرء أن يميز بين كلمتين مختلفتين يمكن أن يعدا وحدتين صوتيتين ويعرفا على هذا الأساس مثال ذلك الصوتين « L » و « R » اللذين يعتبران وحدتين صوتيتين في اللغة الإنجليزية لأنهما يفرقان في العديد من الحالات بين الكلمات المتشابهة كما في lot و rot وكما في light و right » يذكر أن وضع الرمز الكتابي بين خطين مائلين إشارة لكونه فونيما أو وحدة صوتية هكذا / L / ، / R / (٢) ، وهذا يذكرنا بصنيع دي سوسير الذي كان يرمز لما أسماه بالفصيلة الصوتية بالأحرف الكبيرة capital خلافا للأصوات المنطوقة التي كان يرمز لها بالرموز الكتابية الصغيرة small والمقصود بالسياق في عبارة « لاينز » السياق اللغوي أي ما يحيط بالوحدة الصوتية التي يجري تغييرها بحيث يتفق في الكلمتين سائر الأصوات الأخرى فيما عدا هذين الصوتين مثال ذلك في اللغة العربية اسمي العلم « جمال - كمال » حيث وقعت كل من الجيم والكاف في نفس السياق الصوتي بحيث شغلت كل منهما الموقع الأول من الكلمة وأتت بعدهما كل الميم والألف واللام

---

(١) بلومفيلد Bloomfield , Language ; P. 79 .

ونص تعريفه :

The phoneme is ; The smallest unit , which make a difference in meaning .

(٢) لاينز Lyons , Einführung , S. 115 .

وقد أدى هذا التبادل بين كل منهما أي من الكاف والجيم إلى تغيير في معنى الكلمتين وبناء على ذلك فإن كلا منهما يعد وحدة صوتية من وحدات اللغة العربية وينطبق نفس المعيار على كلا الصوتين الهاء والكاف في كل من « شاكر وشاهر » حيث شغلت الكاف والهاء الموقع الأوسط من الكلمة وسبق كل منهما بالشين والألف وجاءت الراء بعدهما وقد أدى إحلال أحدهما محل الآخر إلى تغيير معنى الكلمة مع توفر شرط الوقوع في سياق واحد وينطبق هذا المعيار على الأصوات المصوتة [١] كما ينطبق على الصوامت مثال ذلك : « ضَرَبَ » و « ضَارَبَ » حيث وقعت كل من الفتحة وألف المد في الموقع الثاني من الكلمة ( أي بعد الضاد ) ويعد كل منهما نفس العناصر الصوتية من الراء تليها الفتحة ثم الباء المفتوحة أيضا وقد أدى التقابل بينهما إلى اختلاف في المعنى ( الصرفي ) للكلمة فدل ذلك على أن كلا من الفتحة والألف وحدتان صوتيان من وحدات اللغة العربية .

ويشير هذا المثال الأخير إلى حقيقة هامة هي أن المعاني التي تختلف باختلاف الوحدات الصوتية أعم من أن تكون معاني معجمية أو صرفية أو نحوية ، مثال الأخير كلمات : « سعيدٌ ـ سعيداً » و « أبوه ـ أباه » في المثالين الذين أوردهما ابن جني لاختلاف المعاني ( النحوية ) باختلاف الألفاظ ( أي ألفاظ العلامات الإعرابية ) وهما : « أكرم سعيداً أبوه ، وشكر سعيدٌ أباه » [٢] حيث أشار الاختلاف في لفظ « سعيد » بين الضمة بعد الدال وكذلك الفتحة إلى الاختلاف في المعنى النحوي لنفس الكلمة فهي مع الضمة فاعل ومع الفتحة مفعول به . وينطبق نفس الشئ على لفظ « أباه »

---

( ١ ) نريد بالأصوات المصوتة ما يقابل الـ Woweles وهناك تسميات أخرى أشرنا إليها في بحثنا عن « المصوتات العربية » في حولية كلية اللغة العربية العدد ٩ ص ٤٦٠ وما بعدها وقد رجحنا في هذا البحث تلك التسمية لأسباب عديدة تنظر هناك .

( ٢ ) الخصائص ١ / ٣٧ .

حيث دل التقابل بين ألف المد وواوه إلى اختلاف المعنى النحوي من الفاعلية والمفعولية لنفس الكلمة .

إن التمييز بين الوحدات الصوتية للغة ما على أساس ما تقوم به هذه الوحدات من التفريق بين المعاني المختلفة لا يتعارض مع اكتساب هذه الوحدات الصوتية لتسميات أخرى تختلف باختلاف نوع المعنى الذي تؤديه فهي وحدة صوتية فقط إذا كانت تفرق بين المعاني المعجمية للألفاظ أو الكلمات ، وهي وحدات صوتية صرفية morphophonemes إذا كان المعنى الذي تشير إليه من معاني الصرف وذلك مثل تاء التأنيث في اللغة العربية ، وقد ميز العلماء العرب بين التاء التي تشارك غيرها من الحروف في أداء المعنى المعجمي وتلك التي تحمل معانٍ على سبيل الاستقلال فطلقوا على الأولى حرف مبني وعلى الثانية حرف معنى ، ومفهوم الحرف عندهم في هذا المجال أعم من أن يكون حرفا ( صوتا ) مفرداً أو سلسلة صوتية تتكون من أكثر من حرف [١] ، أما إذا دلت الوحدة الصوتية على معنى من معاني النحو فإنها تصبح حينئذ إحدى الملامح النحوية أو التاكسيمات Taxemes وسوف نتناول ذلك بتفصيل أكبر في الفصل الرابع .

إن التقابل الاستبدالي بين الأصوات لا يؤدي دائما إلى التفريق بين المعاني وذلك كما في التقابل النطقي بين الجيم ( الفصحى ) والجيم القاهرية غير المعطشة وكما في التقابل في اللهجات العربية القديمة بين ألف المد التي توصف بالفتح وألف المد التي توصف بالإمالة أو تلك التي توصف بالتفخيم في لغة أهل الحجاز كما في لفظ « صلوة » التي كتبت بالواو إشارة إلى ما

---

( ١ ) انظر في هذه التسمية وأنواع حروف المعاني مقدمة كتاب الجنى الداني للمرادي ، وقارن بالمغنى لابن هشام الذي أطلق على هذه الحروف وما في معناها من الأسماء والظروف المبنية مصطلح « المفردات » وسنتحدث عن ذلك بتفصيل أكثر عند حديثنا عن الوحدات النحوية .

فيها من تفخيم كما يقول سيبويه (١) .

كل تلك التقابلات ـ ولها نظائر عديدة في العربية وغيرها ـ لا تؤدي إلى اختلافات في أي نوع من أنواع المعنى ومن ثم فهي لا تشكل وحدات صوتية في اللغات التي توجد بها ويطلق عليها حينئذ مصطلح « **الصور الصوتية** » phones وتعد تبعا لذلك تنوعات variable مختلفة لوحدة صوتية واحدة ومن ثم فإنها تسمى أيضا بـ allophones أي البدائل النطقية للفونيم الواحد ، وإذا كانت الوحدات الصوتية وفقا لهذا التعريف تعد من وحدات اللغة فإن الصور الصوتية تعد من وحدات الكلام .

## الوحدات الصوتية وقضية الإبدال

لاحظ اللغويون أن هناك وحدات صوتية يترتب على اختلافها اختلاف المعاني في بعض الأحيان ولا يترتب عليها ذلك في أحيان أخرى مثال ذلك : التبادل بين التاء والهمزة في بعض الكلمات الإنجليزية حيث تحل الهمزة محل التاء إذا كانت التاء واقعة في نهاية المقطع وجاء بعدها حرف صامت كما في fortnight (٢) وقد يحدث هذا أيضا في بعض المصوتات كما في الصور النطقية العديدة لكلمة economics وكلمة either فالمصوت الأول في الكلمة الأولى ينطق أحيانا مثل المصوت الموجود في كلمة bet وفي بعض الأحيان مثل المصوت الموجودة في كلمة beat وفي المثال الثاني either ينطق المصوت الأول أحيانا كما في beat السابقة وأحيانا مثل المصوت الموجود في كلمة bite (٣) وهنا يثور التساؤل هل تعد مثل هذه الاختلافات النطقية صوراً

---

( ١ ) الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

( ٢ ) لاينز Lyons , Einführung , S. 117 f .

وقد ذكر لاينز أن هذا الإبدال قد يقع أيضا في بعض اللهجات قبل المصوتات كما في النطق العامي cockney speeth لكلمة city حيث تحل الهمزة محل التاء .

( ٣ ) السابق ص ١١٨ .

لفونيم واحد أو أنها فونيمات مستقلة حتى وإن لم تؤد في هذه الحالة إلى اختلاف في معنى الكلمة وإذا أردنا أن نقرب المسألة أكثر بضرب مثال من اللغة العربية فإننا نقول إن السين والصاد في اللغة العربية وحدتان صوتيتان لأنهما يؤديان إلى تغير المعنى في مثل سائر وصائر ، ولكنهما في أحيان أخرى لا يؤديان هذه الوظيفة كما في « السراط ـ الصراط » فهل نعدهما في الحالة الأخيرة وحدتين صوتيتين أم صورتين صوتيتين لفونيم واحد كما هو الحال في ألف التفخيم وألف الإمالة ، يقول لاينز مجيبا عن هذا التساؤل :

« طالما ثبت أن الوحدتين الصوتيتين المتميزتين قد أديا إلى اختلاف المعنى في بعض الحالات فإنهما يبقيان كذلك حتى ولو لم يؤديا هذه الوظيفة في حالات أخرى ويطلق عليهما في هذه الحالة الأخيرة مصطلح Freie variante (١) أي البدائل الحرة للوحدة الصوتية وهو ما أطلق عليه العلماء العرب مصطلح الإبدال وسنناقش هذه القضية مرة أخرى في ضوء وصف ابن جني للوحدات الصوتية في اللغة العربية (٢) .

إن الوظيفة التي تشير إليها الوحدة الصوتية فيما يتعلق بالدلالة المعجمية للكلمة قد تكون إيجابية تتمثل في حمل جرثومة المعنى متضافرة مع غيرها من الوحدات الصوتية التي تشكل معها جذر أو أصل الكلمة ، وقد تكون سلبية متمثلة في توضيح الفرق بين كلمة وأخرى فالضاد في « ضرب » على سبيل المثال تؤدي وظيفة المشاركة في تكوين أصل الكلمة مع كل من الراء والباء وهذه هي الوظيفة الإيجابية ، وتؤدي إلى جانب ذلك وظيفة التفريق بين الكلمتين ضرب ـ هرب وهذه هي الوظيفة السلبية يقول فاشك Vachek :

---

( ١ ) السابق نفس الصفحة وقارن بـ : Handb. der ling. S. 142 .

يانسن

وقد ذكرنا هذا المصطلح في صورته الألمانية .

( ٢ ) انظر ص ٩١ من هذا البحث .

« إن كل فونيم في أي كلمة يمكن أن يؤدي وظيفتين إحداهما إيجابية والأخرى سلبية ، أما الأولى فحيث يساعد في تحديد الكلمة التي تحتوي عليه ، وأما الثانية فحيث يحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى .. وتتضح الوظيفة الإيجابية أكثر إذا حذف الفونيم فتغير المعنى مثل call حيث تصير all ، والوظيفة السلبية أكثر إذا غير الفونيم فتغير المعنى مثل call - tall (١) .

ونستطيع أن نمثل لحذف الفونيم الذي يؤدي إلى تغيير المعنى بلفظ « حَمَلَ » بفتح بعد كل من الحاء والميم فإذا حذفنا الفتحة الثانية ( بعد الميم ) صارت الكلمة « حَمْلٌ » فتتغير بذلك معناها المعجمي .

## التعريف الصوتي للفونيم

نريد بالتعريف الصوتي هنا تعريف الفونيم أو الوحدة الصوتية وفقا لنظرية الصفات الفارقة وطبقا لهذه النظرية فإن المعايير الصوتية وليس الوظيفية هي التي تحدد مفهوم الفونيم الذي يعرف تبعا لذلك بأنه :

حزمة مترابطة من الصفات أو الملامح الفارقة Distinctive features وقد اقترح كل من ياكوبسن Jakobson وفانت Fant وهاله

---

( ١ ) عن « دراسة الصوت اللغوي » للدكتور أحمد مختار عمر ص ١٥٢ وقد ذكر تعريفات أخرى عديدة ترجع إلى مراعاة الجانب الوظيفي منها :

تعريف ونجفيلد Wingfield الذي يرى أن الفونيم ( الوحدة الصوتية ) هو مجموعة من أصوات الكلام متماثلة تقريبا وبشكل كاف لأن تعالج كوحدة لأغراض الألفبائية ( أي للنظام الكتابي )

ومنها تعريف ترانكا Tranka بأنه : « كل صوت قادر على تغيير دلالي » .

ومنها تعريف مدرسة لينيجراد اللغوية التي أشارت في تعريفها للفونيم إلى وظيفته في تركيب اللغة حيث ذكر أن الفونيم هو : « النماذج الصوتية التي لها قدرة على تمييز الكلمات وأشكالها »

Halle هذه النظرية في سنة ١٩٥١ وهي تنظر إلى الوحدة الصوتية باعتبارها مجموعة من الخواص الصوتية المميزة التي تحمل كل واحدة منها قيمتين متقابلتين (١) مثل كون الصوت صامتا أو مصوتا ، مجهوراً أو مهموساً شفويا أو حنكيا (٢) .

إن الوحدات الصوتية ـ وفقا لهذا التعريف ـ تتمايز فيما بينها بوجود صفة فارقة واحدة على الأقل ، وتختلف اللغات فيما بينها فيما يتعلق بهذه الصفات أو الملامح تبعا لمجموعة من المعطيات التى يمكن تلخيصها ومراعاتها فى تحديد الوحدات الصوتية فى اللغة العربية على النحو التالى:

١ ـ جملة الخواص الصوتية التي تحوزها هذه اللغة أو تلك بصفة عامة .

٢ ـ أي هذه الخواص يمكن اعتباره خواصاً فارقة أو أساسية وأيها لا ينطبق عليه هذا الوصف إذ الإطباق في اللغة العربية مثلا هو الفارق الأساسي بين السين والصاد وليس كذلك في الإنجليزية .

٣ ـ أي هذه الخواص أو الملامح يمكن النظر إليها باعتبارها حزمة مترابطة one Bundel وأيها ليس كذلك ؟ فالهمس والشفوية والشدة هي

---

( ١ ) تختلف هذه الصفات الفارقة من لغة لأخرى كما أن ثنائية الملمح أو الصفة الفارقة لا تلاحظ دائما في كل اللغات ففي العربية على سبيل المثال لا نجد تقابلا ثنائيا فيما يتعلق بكون الحرف شفويا أو غير شفوي وإنما نجد تقابلات تتعلق بالمخرج قد تصل إلى أحد عشر وجها من التقابلات فالصوت الشفوي قد يقابله الحنكي أو اللثوي أو الحلقي أو الحنجري إلخ من الصفات المتعلقة بمخارج الأصوات في اللغة العربية .

( ٢ ) يانسن Handb. der ling. S. 92 .

حزمة من الصفات الفارقة يتميز بها الصوت الإنجليزي « p » وليس الأمر كذلك في اللغة العربية .

٤ ـ الظروف السياقية ( الموقعية ) التي يخضع لها كل صوت من أصوات اللغة فالسين الألمانية إذا وقعت في أول الكلمة ووليتها التاء أو الباء نطقت شينا وليس الحال كذلك في اللغة العربية أو الانجليزية .

٥ ـ إلى أي حد يكثر أو يقل ورود صوت ما في موقع معين يحتم نطقه بصورة مختلفة (١) وذلك مثل ورود النون العربية متلوة بالباء حينا أو بأحد حروف الإدغام أو الإخفاء أو الإظهار في أحيان أخرى .

وبجانب الخواص الأساسية أو الصفات الفارقة توجد ملامح أخرى لا يعتد بها في التمييز بين الوحدات الصوتية وتسمى بالصفات غير الفارقة وينظر إليها باعتبارها صفات مساعدة يستعان بها عند أداء الخواص الأساسية أو الصفات الفارقة وذلك مثل إطالة زمن النطق بحروف المد في اللغة العربية قبل الهمزة أو الأحرف المشددة أو في حالة الوقف (٢) .

إن ما يعد في لغة ما صفة فارقة قد يكون في لغة أخرى صفة غير فارقة فالإطباق في اللغة العربية هو الصفة الفارقة الوحيدة بالنسبة للضاد وليس الأمر كذلك بالنسبة للألمانية أو الإنجليزية ، وكذلك فإن الهمس بالنسبة لحرف « p » في هاتين اللغتين يعتبر صفة فارقة لهذه الوحدة الصوتية يميزها عن الحرف « B » وليس كذلك هو الحال في اللغة العربية .

---

( ١ ) ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره لاينز في Einführung , S. 123 .
من أن النون الأنفية في نحو song لا تأتي في بداية الكلمة أبدا .

( ٢ ) ذكرنا الصفات الفارقة وغير الفارقة للمصوتات العربية في حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ، العدد التاسع ( ١٩٩١ ) ص ٤٧٢ – ٤٨٩ فأغنى ذلك هناك عن إعادته هنا ، وقد رجعنا في ذلك إلى :
جوتس / بورحشمت Gutz , Einführung . S. 29 .

إن التمييز بين الوحدات الصوتية لم يعد ـ وفقا لهذه النظرية ـ منوطا بالتقابل الاستبدالي الذي يترتب عليه اختلاف المعنى وإنما أصبح متوقفا على تميز هذه الوحدة عن تلك بصفة فارقة واحدة على الأقل ، ومن ميزات هذه النظرة إلى الوحدات الصوتية أنها تجمع شمل الدراسة الصوتية بشقيها الفوناتيكي phonatics والفونولوجي phonology في إطار واحد وهي وإن احتفظت بمصطلحي الفونيم والفون أي الوحدة الصوتية والصورة الصوتية إلا أنها فرقت بينهما على أساس نطقي لا وظيفي .

ولعل أهم الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية تتمثل في معرفة الفرق الدقيق بين ما هو صفة فارقة وصفة ثانوية أو غير فارقة ، ولكي نفعل ذلك فإن علينا ـ كما يقول لاينز ـ أن نرجع إلى وظيفة هذه الصفة فإن ميزت وحدها بين وحدتين كانت صفة فارقة وإلا فلا ، يقول لاينز :

« يجب علينا أن نتحدث عن القيم الصوتية التقابلية ( مثل الجهر في مقابل الهمس ) على أساس التفريق بين ما هو وظيفي منها وما هو غير وظيفي ، فالتقابل الفونولوجي بين / k / و / g / يوجد فقط على أساس وجود أو عدم وجود التقابل في الجهر والهمس وينطبق نفس الشئ على / p / و / B / و بين / t / و / d / ومن ثم يكون التقابل بين الجهر والهمس هو أصغر تقابل وظيفي في الأصوات الحنكية الشديدة في اللغة الإنجليزية » (١) .

إننا نستطيع أن نقرر هنا ـ مطمئنين ـ أن الفرق بين الوحدات الصوتية وفقا لنظرية الصفات الفارقة لا يعتمد فقط على أوجه الاتفاق والاختلاف كما يقول هوكيت وليس على الأساس النطقي فقط كما يقول ياكوبسون وأتباعه وإنما يرجع إلى الاختلاف النطقي والوظيفي معا كما قرر لاينز .

---

( ١ ) لاينز Einführung , S. 125 .

## مفهوم الوحدة الصوتية في التراث العربي

لم يتحدث اللغويون والصوتيون العرب عن « الوحدة الصوتية » كاصطلاح مستقل في الدرس الصوتي ولكن مفهوم هذا المصطلح كان ماثلا أمام أعينهم عندما فرقوا بين الصوت والحرف من ناحية وفرقوا بين الحروف الأصلية والحروف الفرعية من ناحية ثانية ، وعندما تحدثوا عن بعض الخواص الصوتية لبعض الأحرف على أنها الخاصة الوحيدة التي تفرق بين حرفين ( وحدتين صوتيتين ) متشابهين في المخرج وكل الصفات عدا هذه الصفة المميزة أو الفارقة من ناحية ثالثة .

إن الوظيفة التي كانت تؤديها حروف العربية خاصة فيما يتعلق ببناء الكلمات كانت محل النظر والاعتبار عندما قسم سيبويه حروف العربية إلى حروف أصول وحروف فروع لأن الحرف الأصلي وحده هو الذي يقوم بمهمة المشاركة في بناء الكلمات أما الحرف الفرعي فلا يعدو أن يكون صورة صوتية لذلك الحرف الأصلي يظهر فقط في بعض الأحيان أو في بعض السياقات أو اللهجات يقول سيبويه :

« أصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشين ، والياء ، واللام ، والراء ، والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والتاء ، والباء ، والميم ، والواو » فحصر بذلك الوحدات الصوتية في اللغة العربية ثم أشار إلى الصور الصوتية عندما قرر « أن هذه التسعة والعشرين » تكون خمسة وثلاثين « بحروف هي فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي : النون الخفيفة ( الخفية ) والهمزة التي بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة والشين التي

كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، وألف التفخيم ، يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة » وتكون اثنتين وأربعين بحروف ( فرعية ) غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء [١] .

لقد أشار سيبويه هنا بما لا يدع مجالا للشك إلى أن هذه الحروف الفرعية مستحسنة كانت أو مستقبحة لا تعدو أن تكون صوراً صوتية راجعة إلى الحروف الأصلية وذكر أنها لا تتبين إلا بالمشافهة [٢] وما كان ذلك كذلك إلا لأن هذه الحروف الفرعية لا تدخل في بناء الكلمات وليس لها رموز كتابية في نظام الإملاء العربي .

لقد أشار سيبويه أيضا في نص فريد إلى ما يعد أساس نظرية الصفات الفارقة التي يعدها الكثيرون من مبتكرات الدرس الصوتي الحديث وذلك عندما قال أثناء حديثه عن صفات الحروف وتقسيمها بحسب تلك الصفات : « ومنها المطبقة والمنفتحة : فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء » ... ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا [٣] ، والصاد سينا والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شئ من موضعها غيرها ... [٤] .

---

( ١ ) الكتاب ٤ / ٤٣٢ وما بعدها .

( ٢ ) السابق ٤ / ٣٣٤ .

( ٣ ) يلاحظ هنا أن سيبويه قد جعل الطاء النظير المطبق للدال مما يعنى أنها كانت مجهورة وذلك بخلاف نطقنا المعاصر لهذه الطاء التي تعد مهموسة ومن ثم تكون النظير المطبق للتاء في هذا النطق المعاصر .

( ٤ ) الكتاب ٤ / ٤٣٧ .

لقد أشار سيبويه هنا إلى أحدث ما توصل إليه الباحثون الغربيون من أن الإطباق هو الصفة الوحيدة الفارقة بين هذه الأحرف ونظائرها غير المطبقة ومن ثم يكون الإطباق ومقابله الانفتاح هو أصغر تقابل وظيفي فيما يتعلق بهذه الأحرف الأربع في اللغة العربية .

## ابن جني ووظائف الوحدات الصوتية

أفرد أبو الفتح عثمان بن جني كتابه المشهور « سر صناعة الإعراب » لدراسة الوحدات الصوتية التي تسمى في التراث العربي بـ « الحروف » بعد تجريدها وانتزاعها من أبنية الكلم وقد أوضح هدفه من هذه الدراسة بأنه « ذكر أحوال الحروف مفردة ، أو منتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها » وذكر أن أحوال الحرف في العربية تنحصر في ثلاثة أمور : الأول كونه أصلا ، الثاني كونه بدلا ، الثالث كونه زائداً (١) ، ولا شك أن لكل حرف في هذه الحالات الثلاث وظيفة مختلفة أي أن وظيفة الحرف عندما يكون أصلا تختلف عن وظيفته عندما يكون زائداً أما عندما يكون بدلا فإنه يؤدي - دلاليا - وظيفة الحرف الذي أبدل منه أي أنه يكون بديلا اختياريا له وهو ما أسماه المحدثون Freie variante وتكون العلة في إبداله تحقيق غرض صوتي يتعلق بانسجام الوحدات الصوتية من حيث النطق ويظل المعنى هو هو ، وكان مما أبدعته هذه العقلية الصوتية الفذة حديثه عن السياقات المختلفة التي يمكن أن ترد فيها الوحدة الصوتية ، فهناك وحدات تشغل الموقع الأول في الكلمة أحيانا والموقع الثاني أو الثالث في أحيان أخرى وهناك وحدات أخرى تشغل بعض هذه المواقع دون البعض الآخر (٢) ، ويفهم من كلامه أيضا أن الفروق الصوتية

---

( ١ ) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٠ .

( ٢ ) من ذلك على سبيل المثال أن الهمزة لا تشغل الموقع الثاني في الكلمة إذا كان الموقع الأول مشغولا بهمزة ، سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩ .

الناجمة عن تأثير موقع الحرف في الكلمة لا يعتد بها في انتماء هذا الصوت المنطوق إلى الحرف الذي يمثله فصوت النون مثلا في « نبر » يختلف عن صوت النون في « عنبر » وكلاهما يختلف عن صوت النون في « موقن » ولكن هذه الاختلافات الصوتية تعد ـ كما يقول المحدثون ـ اختلافا في الفون phone وليس اختلافا في الفونيم أي الوحدة الصوتية أو الحرف ، ونسوق فيما يلي نصا من هذا الكتاب الرائد لنتبين من خلاله وظيفة الحروف ( الوحدات الصوتية ) كما رآها ابن جني ، يقول رحمه الله :

« اعلم أن الهمزة حرف مجهور وهو في الكلام على ثلاثة أضرب : أصل وبدل وزائد .

ومعنى قولنا أصل : أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه ، ومعنى قولنا زائد : أن يكون الحرف لا فاء الفعل ولا عينه ولا لامه ، والبدل أن يقام حرف مقام آخر إما ضرورة وإما استحسانا وصنعة .

فإذا كانت ( الهمزة ) أصلا وقعت فاء وعينا ولاما فالفاء نحو : أنف ، وأذن ، وإبرة ، وأخذ ، وأمر ، والعين نحو : فأس ، ورأس ، وجؤنة ، وذئب ، وسأل ، وجأر ، واللام نحو : قرء ، وخطأ ، ونبأ ، وقرأ ، وهدأ ، واستبرأ ، واستدفأ » (١) .

« وأما البدل فقد أبدلت الهمزة من خمسة أحرف وهي : الألف ، والياء ، والواو ، والهاء ، والعين فأما إبدالها من الألف فنحو ما حكي عن أيوب السختياني أنه قرأ « ولا الضألّين » فهمز الألف وذلك أنه كره اجتماع الساكنين الألف واللام الأولى فحرك الألف لالتقائهما فانقلبت همزة ...» (٢)

---

( ١ ) سر صناعة الإعراب ١ / ٧١ .

( ٢ ) السابق ١ / ٧٢ وقد ذكر أمثلة أخرى عديدة لإبدال الهمزة من الألف .

وقد اطرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة وذلك نحو حمراء وصفراء وحمراء وما أشبه ذلك (١) .. وأما إبدال الهمزة عن الواو والياء فعلى ضربين : تبدل الهمزة منهما وهما أصلان وتبدل منهما وهما زائدتان : الأول نحو قولك في وجوه « أجوه » وفي وعد « أعد » .. وقالوا « في أسنانه ألل يريدون : يَلَل » فأبدلوا الياء همزة ... (٢) والآخر ( إبدالهما منهما وهما زائدتان ) فمثال إبدالها من الياء الزائدة قولهم علباء وحرباء ، « وأما الواو الزائدة التي قلبت عنها الهمزة فلم تأت مسموعة عنهم إلا أن النحويين قاسوا ذلك على الياء لأنها أختها .. » (٣) ، وأما إبدال الهمزة من الهاء فقولهم ماء وأصله موه لقولهم أمواه فقلبت الواو ألفا وقلبت الهاء همزة .. » (٤) .

وفيما يتعلق بإبدال الهمزة من العين فلم يذكر سوى مثال واحد يحتمل أن يكون بدلا ويحتمل أيضا أن تكون الهمزة فيه أصلا وذلك ما أنشده الأصمعي من قول الراجز :

أباب بحر ضاحك هزوق

يقول أبو الفتح : فليست الهمزة فيه بدلا من عين عباب ، وإن كان بمعناه وإنما هو فعال من « أبَّ » إذا تهيأ ، قال الأعشى :

---

( ١ ) السابق ١ / ٨٤ .

( ٢ ) السابق ١ / ٩٢ .

( ٣ ) لم يذكر ابن جني هنا سوى حالة افتراضية يوجبها القياس وهي حالة النسب إلى مثل صحراء إذ يقال صحراوي فإذا سميت بذلك رجلا ثم رخّمته بحذف أداة النسب وهي الياء المشددة فإن الواو حينئذ تصير ألفا ثم تقلب الألف همزة فتقول يا صحراء وهذه الهمزة ليست همزة التأنيث في هذه الحالة وإنما هي بدل من ألف منقلبة عن الواو التي هي في الأصل من همزة التأنيث المنقلبة عن الألف المقدرة بعد الألف الأولى .

انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٩٩ ، ١٠٠ .

( ٤ ) السابق ١ / ١٠٠ .

.... .... .... .... .... .... .... .... أخٍ قد طوى كشحا وأبَّ ليذهبا

وذلك أن البحر يتهيأ لما يزخر به ، فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين وإن قلت إنه بدل منها فهو وجه وليس بالقوي [١] .

## زيادة الهمزة

تحت هذا العنوان تحدث ابن جني عن مواضع زيادة الهمزة إذا كانت للقطع أو للوصل [٢] كما تحدث عن زيادتها في الأسماء والأفعال والحروف ، وكان مما قاله عن همزة الوصل التي تلحق الأفعال « واعلم أن هذه الهمزة إنما جئ بها توصلا إلى النطق بالساكن بعدها لما لم يكن الابتداء به ، وكان حكمها أن تكون ساكنة لأنها حرف جاء لمعنى ولاحظ لها من الإعراب » [٣] ثم ذكر زيادتها للاستفهام نحو « أزيد عندك » وفي التسوية نحو « ما أبالي أقام أم قعد » وفي النداء نحو : أزيدٌ أقبل ، إلا أنها ليست مصوغة مع الكلمة ، وإنما هي حرف جاء لمعنى [٤] .

وقبل أن نتحدث عن وظائف الحرف ( الوحدة الصوتية ) كما بينها ابن جني فلا بد من الإشارة إلى أن هذه الحروف ليست سواء فمنها ما يكون محققا للأحوال الثلاث ومنها ما يكون محققا لحالتين ومنها ما لا يحقق إلا حالة واحدة ونكتفي لبيان ذلك بإلقاء نظرة على الجدول الآتي الذي اخترنا فيه عشرة أحرف ، التسعة الأولى التي أوردها في البداية والحرف الأخير لما له

---

( ١ ) السابق ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

( ٢ ) استغرق ذلك حوالي اثنتي عشرة صفحة ( من ص ١٠٧ – ١١٨ ) فليرجع إلى ذلك من يريد الوقوف على تفصيل ما قال .

( ٣ ) سر صناعة الإعراب ١ / ١١٢ .

( ٤ ) السابق ١ / ١١٨ .

عن أهمية خاصة وهو « الألف » (١) .

| الحرف | وروده أصلا | وروده بدلا | وروده زائدا | الصفحة في سر الصناعة |
|---|---|---|---|---|
| الهمزة | + | + | + | ١ / ٦٩ |
| الباء | + | + | − | ١ / ١١٩ |
| التاء | + | + | + | ١ / ١٤٥ |
| الثاء | + | − | − | ١ / ١٧١ |
| الجيم | + | + | − | ١ / ١٧٥ |
| الحاء | + | − ( + ) [٢] | − | ١ / ١٧٩ |
| الخاء | + | − | − | ١ / ١٨٣ |
| الدال | + | + | − | ١ / ١٨٥ |
| الذال | + | − | − | ١ / ١٨٩ |
| الألف | − ( + ) [٣] | + | + | ٢ / ٦٥٣ |

---

( ١ ) تشير العلامة ( + ) إلى تحقق مجئ الحرف موصوفا بكونه أصلا أو بدلا أو زائدا والعلامة ( − ) إلى عدم وروده ، وتشير − ( + ) إلى ورود الحرف على هذه الصفة أو تلك في حالات معينة .

( ٢ ) ذكر ابن جني أن الحاء لا تكون بدلا ولا زائدة أبداً إلا فيما شذ عنهم وقد مثل لإبدالها على سبيل الشذوذ بما أنشده ابن الاعرابي :

ينفحن منه لهبا منفوحا      لمعا يرى لا ذاكيا مقدوحا

قال ( ابن الاعرابي ) يريد منفوخا فأبدل الخاء حاء ، انظر سر صناعة ١ / ١٧٩ .

( ٣ ) يقول أبو الفتح « إن هذه الألف أعني المدة الساكنة في نحو قام وباع ، وحمار وكتاب ، وغزا ورمى ، لا تكون أصلا في الأسماء المتمكنة ولا الأفعال أبداً ، وإنما تكون بدلاً أو زائدة =

إن تناول ابن جني للحروف العربية وتقسيمها على هذا النحو يدل على إدراك للوظائف المختلفة التي تنهض بها الوحدات الصوتية في اللغة العربية فالحرف عندما يكون أصليا تكون وظيفته المشاركة - مع غيره من الحروف الأصول - في تكوين المعنى المعجمي وهذا هو الجانب الإيجابي للوظيفة الصوتية ، فإذا تم استبدال هذا الحرف بحرف أصلي آخر أدى ذلك إلى تغير المعنى أي أنه يفرق بين كلمتين متشابهتين تماما إلا في هذا الحرف وهذا هو الجانب السلبي للوظيفة الصوتية كما ذكرنا آنفا ، ويطلق على الحرف في هذه الحالة حرف مبني لمشاركته في بناء المعنى المعجمي ويمكن أن نطلق على هذه الوظيفة الصوتية « الوظيفة البنائية للوحدة الصوتية » وتتحقق هذه الوظيفة البنائية في جميع الوحدات الصوتية الصامتة ، كما تتحقق أيضا في المصوتات كما سيتضح فيما بعد .

وعندما يكون الحرف زائدا تكون له وظيفة مختلفة تماما وهي أداؤه لمعنى زائد عن المعنى المعجمي قد يكون صرفيا كما في دلالة التاء على المطاوعة أو المضارعة أو التأنيث (١) أو غير ذلك من المعاني الصرفية ، وقد

---

= وأما الحروف المبنية التي جاءت لمعان فإن الألفات فيها أصول ، وكذلك الأسماء المبنية التي أوغلت في شبه الحروف .. » .

سر الصناعة ٢ / ٦٥٣ .

( ١ ) يقول ابو الفتح بن جني موضحا هذه المعاني الصرفية للتاء : « وقد زيدت في أوائل الأفعال الماضية للمطاوعة كقولك كسرته فتكسر وقطعته فتقطع ودحرجته فتدحرج ، ومن زيادتها في أوائل الأفعال الماضية قولهم : تغافل وتعاقل وتجاهل ( تفيد التاء هنا مع الألف معنى التكلف وهو من معاني الصرف أيضا ) وتزاد في أوائل ( الأفعال ) المضارعة لخطاب المذكر نحو : أنت تقوم وتقعد ، ولخطاب المؤنث نحو : أنت تقومين وتقعدين ، وللمؤنثة الغائبة نحو : هي تقوم وتقعد ، وقد أنث بها لفظ الفعل الماضي نحو : قامت وقعدت ، وتؤنث بها جماعة المؤنث نحو : قائمات وقاعدات .. » .

انظر سر صناعة الإعراب ١ / ١٥٧ وما بعدها .

تكون الوظائف التي تدل عليها هذه الوحدات الصوتية داخلة في إطار المعاني النحوية وذلك كدلالة الهمزة على الاستفهام أو التسوية أو النداء ودلالة الواو على حالة الرفع في الأسماء الستة والياء على حالة الجر والألف على حالة النصب وسوف نتناول هذين النوعين من الوظائف في الفصلين الثالث والرابع على هذا الترتيب .

أما عندما يكون الحرف بدلا فإنه يشغل نفس الوظيفة التي كان يشغلها الحرف الذي حل محله فإن كان المبدل منه حرفا أصليا كان البدل نائبا عنه في أداء هذه الوظيفة البنائية فإذا قلنا مثلا « أجوه » بدلا من وجوه كانت الهمزة هنا ( عند من ينطق بها من العرب ) تشكل عنصرا من عناصر بناء الكلمة بحيث إذا استبدلت بوحدة صوتية أخرى غير الواو التي أبدلت منها تغير معنى الكلمة أو أصبحت غير ذات معنى على الإطلاق كما لو قلنا « سجوه » مثلا ، أما إذا كان الحرف المبدل منه حرفا زائداً فإن البدل حينئذ يقوم بنفس الوظيفة التي كان يقوم بها المبدل منه مثال ذلك الدال التي تبدل من تاء الافتعال في مثل « ازدجر » حيث تؤدي الدال هنا نفس الوظيفة الصرفية التي كانت تقوم بها التاء لو وجدت ، وخلاصة القول أن الحرف إذا كان بدلا لا تكون له وظيفة على سبيل الاستقلال وإنما يتبع في ذلك المبدل منه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن استبداله بالحرف الأصلي ( المبدل منه ) لا يؤدي إلى تغيير في معنى الكلمة بخلاف ما لو استبدل بحرف آخر لا علاقة له به حيث يؤدي ذلك إلى فساد المعنى أو تغيره بحيث نصبح أمام كلمة جديدة لا معنى لها كما في « سجوه » أو لها معنى مختلف كما في « مشط » إذا استبدلنا الكاف بالميم في « كشط » وذلك على أساس القول بأن هذه الكاف بدل من القاف في قشط وينتج عن ذلك قاعدة مهمة يمكن صياغتها على الوجه التالي :

إذا أدى تغير الحرف بآخر إلى تغير في المعنى أو فساد فيه لم نكن

أمام حالة من حالات الإبدال Freie variante ولا يكون ذلك كذلك إلا إذا احتفظ الحرف الجديد بنفس وظيفة الحرف الذي أبدل منه ولا نود أن نخوض في موضوع الإبدال بأكثر من هذا هنا حيث خصصنا له دراسة مستقلة في موضع آخر (١) .

إن هذه الوظيفة البنائية للحروف في العربية ليست مقتصرة على الوحدات الصوتية الصامتة وإنما تشترك في أدائها أيضا الوحدات الصوتية المصوتة وهي الفتحة والكسرة والضمة وألف المد وواوه وياؤه وذلك على خلاف ما هو شائع عن اقتصار هذه المصوتات على أداء المعاني الصرفية والنحوية وهذا ما سنوضحه في الفقرة التالية .

## الوظيفة البنائية للمصوتات العربية

لا يكاد يختلف علماء العربية في أن الحركات القصار ( الفتحة والكسرة والضمة ) أو الطوال ( ألف المد / ياء المد / واو المد ) تؤدي وظائف عديدة صرفية ونحوية إذ تتميز صيغ الفعل الثلاثي المجرد من خلال الحركة التي تلي عين الفعل فيقال : فَعَل ـ فَعِل ـ فَعُل ، ولهذا الإختلاف دلالته الصرفية أو فلنقل وظيفته الصرفية التي تتحدد من خلال السياق الذي يرد فيه هذا الفعل أو ذاك ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإنه يترتب ـ في كثير من

---

( ١ ) درسنا موضوع الإبدال على نحو تفصيلي في رسالتنا للدكتوراة ( التي نأمل أن نترجمها إلى العربية قريبا ) وعنوانها : , Die arab. Ibdal - monographien .
وقد ذكرنا هناك أن الإبدال قد يكون إبدالا لغويا إذا كانت صورتا الكلمة مستعملتين معا ( في نفس البيئة أو في بيئتين مختلفتين ) وقد يكون هذا الإبدال صرفيا إذا كانت إحدى صورتي الكلمة هي المستعملة والأخرى افتراضية أو ذات أصل تاريخي كما في ( قال < قَوَل ) ، وهناك نوع ثالث من الإبدال عند علماء الاشتقاق يؤدي فيه إبدال الحرف إلى تغيير في جزء من المعنى أو خاصية من خواصه مع بقاء المعنى العام واحداً وذلك كما في غمر وغمس أو في قطع وقطف وفي وسم ، ووشم إلخ ، انظر الرسالة المذكورة ص ٤٥ .

الأحيان - على اختلاف هذه الحركات اختلاف الأبواب النحوية التي تشغلها الكلمات وذلك عندما تكون هذه الحركات واقعة في أواخر الكلمات المعربة إذ بها يتميز الفاعل عن المفعول به على سبيل المثال ، وقد تشارك الحركات الطوال أيضا في أداء هذه الوظيفة الصرفية أو النحوية مثال ذلك أن الفرق بين ضَرَب وضَارَب لا يتعدى من الناحية الصوتية البحتة أن تكون الحركة الطويلة في « ضارب » قد حلت محل الحركة القصيرة في ضَرَب ولهذا الإحلال وظيفته الصرفية وهي الدلالة على المشاركة أو الموالاة أو غير ذلك من المعاني التي تفيدها هذه الصيغة ، والأمر كذلك عندما يتعلق الأمر بالوظائف النحوية التي قد تؤديها هذه الحركات في أبواب « الأسماء الستة » و« جمع المذكر السالم » والمثنى ، إذ تختلف الوظيفة النحوية التي تؤديها الواو في جاء أبوك عن تلك التي تؤديها الياء أو الألف في « أبيك » و« أباك » .

والسؤال الآن هو : هل تؤدي الحركات نفس الوظيفة البنائية التي تؤديها الصوامت ؟ أو - بعبارة أخرى - هل تحمل الحركة أو الصائت جرثومة المعنى المعجمي وتشارك مع غيرها من الصوامت أو الحركات في أداء معنى التسمية أو المعنى الوضعي للكلمة في اللغة العربية ؟ هل تقوم بأداء الوظيفة البنائية ؟ .

وفي محاولة للإجابة عن هذا السؤال فإن أحداً من القدماء لم ينص صراحة على إمكانية قيام الحركات بهذه الوظيفة وقد ذهب كثير من المحدثين إلى أن هذه الحركات لا تؤدي دوراً في أداء المعنى المعجمي ويقتصر دورها على المساعدة في بناء الصيغ الاشتقاقية المأخوذة من هذا الجذر أو ذلك فمعنى الحدث يرتبط بالحروف الصحاح فقط يقول بروكلمان ما ترجمته :

« تتميز اللغات السامية - ومن بينها العربية بالطبع - عن سائر اللغات بتغليبها الصوامت على الحركات ، ويرتبط معنى الكلمة بالصوامت فقط ، أما الحركات فإنها تستخدم فقط للتعبير عن الصيغ الصرفية ( أو الاشتقاقية )

الراجعة إلى هذا المعنى »[(١)] .

ويذهب الدكتور تمام حسان إلى رأي قريب من هذا عندما قرّر « أنها أي الحروف الصحاح تكون أصولا للكلمات العربية من حيث الاشتقاق فتكون فاء الكلمة أو عينها أو لامها أي تكون حروف مادتها من وجهة نظر المعجم ولا تكون العلل ( المد والحركة أي الحركات قصاراً أو طوالاً ) كذلك ، أما الواو والياء من بين الصحاح فإنهما تكونان حرفي لين لهما هذه الوظيفة التي للصحاح وقد تكونان حرفي مد فتعتبران من العلل ولا تقومان بهذه الوظيفة »[(٢)] ، وعندما تحدث الدكتور تمام عن وظيفة الحركات أو العلل كما يسميها ذكر أنها تتمثل في اعتبارها « مناطا لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة فالفرق بين قتل وقُتِل وقَتِيل وقَتُول وهلم جرا من مشتقات ( ق ت ل ) فرق يأتي عن تنوع حروف العلة لا الحروف الصحيحة ، ومن هنا تتحمل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكلمة أخطر دور في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية »[(٣)] .

إن ما ذكره العالمان صحيح لا شك فيه فيما يتعلق بالعلاقة بين المادة اللغوية وما يشتق منها ، أما فيما يتعلق بمادتين أو مواد لغوية مختلفة فإن الأمر يحتاج إلى إعادة نظر فيما يتعلق بوظيفة الحركات إذ كثيرا ما نجد مادتين متفقتين في جميع الصوامت والحركات عدا حركة واحدة يترتب عليها

---

( ١ ) بروكلمان GVG , I , S. 5 f.

وقد ذهب إلى هذا كثير من الباحثين العرب ، انظر على سبيل المثال : رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية ص ٤٥ ، محمود حجازي علم اللغة العربية ص ١٣٩ وما بعدها .

( ٢ ) العربية معناها ومبناها ص ٦٨ .

( ٣ ) السابق ص ٧٢ ، وقد أضاف الدكتور تمام إلى هذه الوظيفة ( الصرفية ) للحركات وظيفة أخرى مهمة هي أنها تعتبر أساسا لقوة الأسماع ، انظر ص ٧١ من نفس الكتاب وهذه الوظيفة السمعية لا شك توجد في كل اللغات على السواء .

اختلاف المعنى المعجمي وقد عقد ابن السكيت في كتابه إصلاح المنطق أبوابا طوالا لهذا الصنف من الكلمات التي لا تختلف إلا في حركة واحدة ويترتب على هذا اختلاف المعنى المعجمي مما يدل على أن للحركة دوراً لا يقل عن دور الصوامت في حمل جرثومة المعنى المعجمي ونكتفي لإثبات ذلك بدراسة بعض الأبواب التي أوردها ابن السكيت في إصلاح المنطق .

لقد عقد مؤلف إصلاح المنطق الباب الأول لتلك الكلمات التي تتفق في سائر الحركات والصوامت عدا الحركة التي تلي الفاء حيث تكون مرة كسرة وأخرى فتحة ويترتب على ذلك اختلاف المعنى بين الكلمتين وقد عنون لهذا الصنف بقوله : باب فَعْل وفِعْل باختلاف معنى وقد ذكر ستة وأربعين ومائة مثال نكتفي منها بالمثالين الآتيين :

## ١ ـ الوَقْر ـ الوِقْر

يقول أبو يوسف : « والوَقر ( بالفتح ) الثقل في الأذن من قول الله تبارك وتعالى ﴿ وفي آذاننا وقر .. ﴾ ويقال منه قد وَقِرت أذنه فهي موقورة ويقال اللهم قِرْ أذنه ويقال أيضا : قد وقِرَت أذنه توقر وَقراً والوِقْر ( بالكسر ) الثقل يحمل على رأس أو على ظهر من قوله تبارك وتعالى : ( فالحاملات وِقراً ) ويقال جاء يحمل وِقْره . قال الفراء : « ويقال هذه امرأة موقَرة ( بفتح القاف ) وموقِرة ( بكسرها ) إذا حملت حملا ثقيلا ... » (١) .

## ٢ ـ الغَمْر ـ الغِمْر

ذكر ابن السكيت للغمر ( مفتوح الغين ) المعاني الآتية :

الغمر : الماء الكثير .

---

( ١ ) اصلاح المنطق ص ٤ .

: ويقال رجل غمر الخلق وهو غمر الرداء إذا كان واسع المعروف سخيا قال كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال

: وفرس غمر إذا كان شديد الجري .

أما الغِمر ( بكسر الغين ) فقد ذكر له معنى واحداً هو الحقد يقال : قد غَمِر عليَّ صدره ( في معنى حقد ) . أما الغُمر بالضم (١) فإن له معنى يختلف عن المعاني السابقة إذ المراد به : الذي لم تحنكه التجارب ، وأما الغُمَر ( بضم الغين وفتح الميم ) فهو القدح الصغير قال الشاعر ، أعشى باهلة :

تكفيه حزة فلذٍ إن ألم بهـا
من الشواء ويروى شربه الغُمَر (٢)

إن اختلاف المعاني المعجمية في المثالين السابقين لا يرجع بحال إلى اختلاف الصوامت وإنما إلى اختلاف الحركة مما يعني أن وظيفة الحركة هنا هي التمييز بين المعاني المختلفة وليس بين الصيغ الاشتقاقية المأخوذة من مادة واحدة مثل ( ض ر ب ) كما في ضارب - ضرّاب - ضرّيب إلخ .

ولا يعني هذا بالضرورة أنه كلما اختلفت الحركة أدى ذلك إلى اختلاف المعنى المعجمي إذ إن اختلاف الحركات قد لا يعدو - في بعض الحالات - أن

---

( ١ ) ذكر ابن السكيت صيغة الضم ( فُعْل ) استطراداً لانه لم يعقد بابا خاصا للكلمات التي تختلف معانيها وقد وردت مرة بالفتح وأخرى بالكسر وثالثة بالضم وقد تكفل بذلك مؤلفوا كتب المثلث قطرب وابن مالك وغيرهما .

( ٢ ) اصلاح المنطق ، بتصرف يسير ، ص ٤ .

يكون مظهرا لاختلاف اللهجات أو حالة من حالات الإبدال التي لها مسوغاتها الخاصة بها كما في إبدال الصوامت في نحو تهتان وتهتال ولازب ولازم ونحو ذلك .

## الوحدات الصوتية في اللغة العربية
## في ضوء نظارية الصفات الفارقة

أولا : الوحدات الصوتية المصوتة ( الحركات )

من المعروف أن عدد الصفات الفارقة يختلف من لغة لأخرى وفيما يتعلق بالعربية الفصحى فإن هذه الصفات يمكن تحديدها فى ضوء :

١ ـ الأوضاع المختلفة التى يكون عليها اللسان أفقيا أو رأسيا .

٢ ـ أوضاع الشفتين من حيث الاستدارة أو الانكسار أى الانفراج.

٣ ـ حزم الذبذبات فى الفراغات الرنانة أى من الناحية الأكستيكية .

٤ ـ الزمن الذى يستغرقه نطق المصوت .

وبمراعاة هذه العوامل يمكننا إجمال الصفات الفارقة لمصوتات العربية على النحو التالى :

أولا : الصفات الخاصة بالوضع الرأسى للسان وهى :

الاتساع ونظيره الضيق ويقصد بذلك أنه إذا ارتفع اللسان أثناء نطق المصوت إلى أقصى ما يمكن بحيث لو زاد الارتفاع عن ذلك لحدث نوع من الحفيف كان الصوت ضيقا أما إذا انخفض اللسان بحيث يستوي فى قاع الفم تقريبا مع ارتفاع طفيف فى وسطه كان الصوت متسعا .

ثانيا : الصفات الخاصة بالوضع الأفقى للسان وهى :

الأمامية والخلفية ونعنى بذلك أنه إذا كان الجزء الذى يرتفع أو ينخفض من اللسان هو الجزء الأمامى كان الصوت أماميا وإذا كان هو الجزء الخلفى كان المصوت خلفيا .

ثالثا : الصفات الخاصة بوضع الشفتين فى أثناء النطق وهى :

(أ) الاستدارة إذا كانت الشفتان فى وضع يشكل دائرة كاملة مفتوحة من الوسط .

(ب) الانفراج أو الانكسار إذا استطالت الشفتان وانفرجتا .

(جـ) الحياد إذا انفتحت الشفتان دون استدارة أو انفراج [1].

رابعا : الصفات الخاصة بالحزم المتكونة فى الفراغات الرنانة .

ووفقا لهذه الصفات فإن المصوتات قد تكون حادة acute أو غليظة grave من ناحية ومنتشرة dtffuse أو متضامة compact من ناحية ثانية وتخضع هذه الصفات لمجموعتين من الحزم المتكونة فى التجويف الحنجرى Formant 1 والتجويف الفموى Forman 2 [2] .

خامسا : الصفات الخاصة بالزمن الذى يستغرقه نطق المصوت فهذا الزمن قد يكون قصيرا وقد يكون طويلا .

ونخلص من ذلك إلى أن الصفات الفارقة للمصوتات العربية هى :

١ ـ الضيق والاتساع

٢ ـ الأمامية والخلفية

٣ ـ الاستدارة والانفراج والحياد

٤ ـ الحدة والغلظ

٥ ـ التضام والانتشار .

---

(١) اعتمدنا فى تحديد هذه الصفات على ما ذكره الصوتيون العرب المحدثون من صفات للمصوتات العربية نذكر منهم على سبيل المثال : الدكتور ابراهيم أنيس فى الأصوات اللغوية ص ٣٧ والدكتور كمال بشر فى علم اللغة العام ـ الاصوات ص ١٤٦ وما بعدها والدكتور عبد الغفار هلال فى أصوات اللغة العربية ص ١٣١ والدكتور رمضان عبد التواب فى « المدخل إلى علم اللغة ص ٩٢ والدكتورين عبد الله ربيع وعبد العزيز علام فى علم الصوتيات ص ٢٠٤ .

(٢) انظر فى التصنيف لاكستيكى للمصوتات :

M. Schubiger, E:mfuhrmg in die Phonetik, S. 51.

وقارن بما كتبه أحمد مختار عمر عن التصنيف الاكستيكى للعلل أى المصوتات فى دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦ .

٦ ـ الطول والقصر [1]

يضاف إليها أنها جميعا مجهورة ولا يحدث معها بمقارنتها بالصوامت حفيف نظرا لاتساع مجرى الهواء ( النسبي ) أثناء النطق بها ، وبغض النظر عن هاتين الصفتين الأخيرتين باعتبارهما من الخصائص العامة التي تميز بين الصوامت والمصوتات فإننا نستطيع على ضوء نظرية الصفات الفارقة أن نحدد الوحدات الصوتية المصوتة في اللغة العربية الفصحى باعتبارها حزما متضافرة من هذه الصفات على النحو التالي :

١ ـ مصوت ضيق أمامي منفرج حاد متضام قصير وهو الكسرة .

٢ ـ » » » » » » طويل وهو ياء المد

٣ ـ » » خلفي مستدير غليظ » قصير وهو الضمة

٤ ـ مصوت ضيق خلفي مستدير غليظ متضام طويل وهو واو المد

٥ ـ » متسع محايد منتشر قصير وهو الفتحة [2]

٦ ـ » » » » » طويل وهو ألف المد

---

(١) تميز اللغة العربية فيما يتعلق بزمن النطق بين نوعين فقط وهما طويل وقصير ويقاس هذا الطول أو القصر عادة بأجزاء من ألف من الثانية إذ بينما يستغرق المصوت القصير حوالى ٠٠٣ر من الثانية يستغرق المصوت الطويل ضعف هـــذا الزمن انظر في الزمن الذي يستغرقه نطق المصوتات العربيـــة

Al - Ani, Arabic Phonology p. 23.

(٢) يلاحظ هنا أن صفة الأمامية والخلفية وكذلك صفتي الحدة والغلظ ليست من الصفات الفارقة للفتحة العربية ( وإن كانت كذلك في لغات أخرى ) ولا يعني ذلك أن الفتحة وكذلك ألف المد لا تتصف بهذه الصفات إذ قد تتصف بذلك في ظروف سياقية معينة أي أن هذه الصفات الأربع من الصفات الثانوية أو غير الفارقة فالفتحة قد تكون خلفية إذا جاورت حرفا مطبقا ( ص ض ط ظ ) وقد تكون أمامية إذا جاورت حرفا مستفلا كالكاف أو الميم وقد تكون بين =

لقد عبر أصحاب نظرية الصفات الفارقة عن الوحدات الصوتية التى تحوزها لغة ما باعتبار أن هذه الوحدة الصوتية لا تعدو أن تكون حزمة من هذه الصفات المتضافرة بحيث تذكر الصفات فى خط رأسى والوحدات الصوتية فى خط أفقى فإذا كانت الصفة المعينة داخلة فى تكوين الوحدة عبروا عن ذلك بعلامة (+) وإذا لم تتصف بذلك عبروا عنها بعلامة (−) أما إذا كانت هذه الصفة ليست فارقة أو ليست مما يتصف بها الصوت مفرداً وإنما تأتى تبعا لظروف السياق فإنهم يعبرون عنها بالعلامة (±) فإذا كانت الصفة غير واردة أصلا فإنهم يعبرون عن ذلك بالعلامة ( O ) أى الصفر .

وسنحاول فى الجدول التالى بيان الوحدات الصوتية المصوتة فى اللغة العربية باتباع هذه الطريقة ويلاحظ فى هذه الصفات التى تضمنها أنها خلت تماما من الإشارة إلى وظيفة الوحدة الصوتية واعتمدت فى تحديدها على عناصر فسيولوجية وفيزيائية خالصة .

---

= بين إذا جاورت حرف استعلاء غير مطبق كالقاف والغين والخاء . انظر فى هذه الحالات الثلاث للفتحة وألف المد الدكتور كمال بشر علم اللغة العام الأصوات ص ١٤٩ .

## جدول الوحدات الصوتية للصوائت في العربية الفصحى وصفاتها الفارقة

| الصفة / المصوت | الكسرة | ياء المد | الضمة | واو المد | الفتحة | ألف المد |
|---|---|---|---|---|---|---|
| أمامية | + | + | − | − | ± | ± |
| خلفية | − | − | + | + | ± | ± |
| ضيقة | + | + | + | + | − | − |
| متسعة | − | − | − | − | + | + |
| مستديرة | − | − | + | + | − | + |
| منفرجة | + | + | − | − | − | − |
| محايدة | O | O | O | O | + | + |
| حادة | + | + | − | − | ± | ± |
| غليظة | − | − | + | + | ± | ± |
| متضامنة | + | + | + | + | − | − |
| منتشرة | − | − | − | − | + | + |
| قصيرة | + | − | + | − | + | − |
| طويلة | − | + | − | + | − | + |

## الصفات الثانوية ( غير الفارقة ) للصوتات العربية

إذا كانت الوحدات الصوتية Phonemes للصوتات العربية تمايز فيما بينها تبعا لأهم الخلافية المتمثلة فى صفة فارقة واحدة على الأقل فإن الصور الصوتية العديدة Phones لهذه الوحدات تمايز هى الأخرى تبعا للاختلاف فى صفة ثانوية واحدة على الأقل ومما تجدر ملاحظته هنا أن ما يعتبر فى لغة ما صفة فارقة قد يعتبر فى لغة أخرى صفة ثانوية مثال ذلك فى الصوامت صفة الإطباق فى الصاد حيث تعتبر صفة فارقة فى العربية ولكنها ليست كذلك فى اللغة الإنجليزية ومثاله فى المصوتات صفة « نصف ضيقة » التى تعتبر صفة فارقة فى الحركة العبرية المسماة سيجول فى مثل Sefer كتابة فإن هذه الصفة غير فارقة فى اللغة العربية وسنوجز فيما يلى أهم الصفات غير الفارقة للصوتات العربية[١] :

أولا : فيما يتعلق بالوضع الرأسى للسان :

فيما بين وضع المصوتين المعياريين الأول (i) وتقابله الكسرة وياء المد والرابع ( a ) ويقابله الفتحة وألف المد المرققين يوجد وضعان آخران للسان :

الأول : أن ترتفع إلى ثلث المسافة التى يرتفع إليها وهو فى أقصى حالات ارتفاعه بحيث لا ينتج حفيف (وهو وضع الصوت المعيارى الأول) وفى هذه الحالة يتصف المصوت بأنه نصف متسع .

الآخر : أن يرتفع إلى ثلثى المسافة السابقة وفى هذه الحالة فإنه يتصف بأنه نصف ضيق .

والصورة الصوتية الأولى نجدها فى حركة الإمالة الخفيفة[٢] والثانية

---

(١) سنقصر تناولنا هنا على المصوتات فى العربية الفصحى .

(٢) وقد تسمى بالإمالة الصغرى أو إمالة بين بين .

في حركة الإمالة الشديدة[١] وربما أضيف إلى هاتين الصورتين لإمالة الفتحة أو ألف المد صور أخرى أوصلها بعضهم إلى خمس صور[٢] تختلف فيما بينها باختلاف درجة ارتفاع اللسان .

وترجع هاتان الصورتان الصوتيتان إلى ظروف السياق[٣] من ناحية وإلى اختلاف القراء ولهجات القبائل من ناحية ثانية ، والسبب العام الذى ذكره النحاة هو تقريب صوت من آخر[٤] وهو ما يعرف في الاصطلاح الحديث بالمماثلة Assimilain . تحقيقا للانسجام الصوتي في نطق المصوتات .

هذا إذا كان ارتفاع اللسان في جزئه الأمامي أما إذا كان الجزء الذى يرتفع أو ينخفض هو الجزء الخلفي فقد أشار ابن جني إلى ما أسماه الفتحة الممالة نحو الضمة وذكر أن هذه الفتحة تكون قبل ألف التفخيم مما يعني أن هذه الفتحة مفخمة أى أنها تقابل للصوت المعياري الخامس (a) وإذا كان الأمر كذلك نتج عندنا صفتان ثانويتان للفتحة المفخمة وكذلك ألف المد المفخمة وهما « نصف متسع إذا كانت هذه الإمالة خفيفة ونصف ضيق إذا كانت هذه الإمالة شديدة ولكن ابن جني لم يتحدث عن هاتين الدرجتين مكتفيا بالقول « وأما الفتحة الممالة نحو الضمة فالتي تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو الصلاة والزكاة ،

---

(١) وقد تسمى بالإمالة المحضة أو الكبرى ، انظر في درجات الإمالة وأنواعها عند القراء الدكتور عبد الفتاح شلبي . الإمالة في اللهجات والقراءات ص ٣٢ .

(٢) انظر في هذه الصور المرجع السابق ص ٢٥ وما بعدها .

(٣) حدد النحاة والقراء ظروف السياق التي ترد فيها الإمالة كأن تكون بعد الفتحة أو ألف المد مكسرة . أو أن تكون الفتحة قبل تاء التأنيث في مثل رحمة . انظر في ذلك سيبويه ، الكتاب ٤ / ١١٧ ، ابن الباذش كتاب الاقناع في القراءات السبع ١ / ٢٦٧ .

(٤) انظر في ذلك على سبيل المثال ابن الجزري ، النشر ٢ / ٣٥ .

ودعا، وغزا ، وقام ، وصاغ وكما أن الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة بل هي مشوبة بشيء من الضمة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها فجرى عليها حكمها »[1] .

ويلاحظ هنا أن أبا الفتح يعتقد أن في الأمثلة السابقة إمالتان إحداهما إمالة الفتحة والثانية إمالة ألف المد المفخمة ، وليس الأمر كذلك إذ لا يوجد سوى مصوت واحد طويل هو ألف المد ، ويؤخذ من كلامه أيضا أن هناك درجة واحدة من درجات الامالة حيث الفتحة مشوبة بشيء من الضمة أى أنها إلى الفتحة أقرب أى أنها نصف متسعة .

ونخلص من ذلك إلى أنه توجد ثلاث صفات ثانوية للمصوتات العربية تتعلق بدرجة ارتفاع اللسان اثنتان منها يختص بهما الجزء الأمامى وهى « نصف ضيق » فى الامالة المحضة أو الشديدة ونصف متسعة فى الإمالة الخفيفة ، أما الثالثة فتختص بدرجة ارتفاع الجزء الخلفى من اللسان وهى إمالة الفتحة أو ألف المد المفخمتين نحو الضمة .

ثانيا : الصفات الثانوية المتعلقة بالوضع الأفقى للسان :

تحدثنا فى الصفات الفارقة عن صفتى « الأمامى والخلفى باعتبارهما صفتين فارقتين وقد ذكر ابن جنى أيضا أن هناك صورتين صوتيتين لكل من الكسرة الأمامية والضمة الخلفية فهناك « الضمة المشوبة بالكسرة نحو قولك فى الإمالة مررت بمذعور وهذا ابن بور نحوت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة »[2] وهذه الصفة يمكن التعبير عنها بأنها نصف خلفية ، أما الصفة الثانية الأخرى فنجدها فى الكسرة المشوبة بالضمة نحو

---

(١) سر الصناعة ١ / ٥٢ وقد صرح فى الخصائص بأنه ليس فى كلامهم ضمة مشربة فتحة ولا كسرة مشربة فتحة ، انظر جـ ٣ ص ١٢١ .

(٢) السابق ١ / ٥٣ .

قيل وبيع وغيض . . . »[1] وهذه يمكن التعبير عنها بأنها نصف أمامية[2] .

إنه إذا كانت هاتان الصفتان الثانويتان تتعلقان بالوضع الأفقى للسان وهو فى حالة ارتفاعه فإن هناك صفة ثانوية أخرى تتعلق بهذا الوضع فى حالة انخفاض اللسان الذى ينتج عنه الصوت المعيارى الخامس وهو الصوت الخلفى المتسع (a) وصفة الخلفية هنا ليست صفة فارقة فى اللغة العربية وإن كانت كذلك فى الانجليزية وغيرها يقول ابن الجزرى « وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه تفخيما وترقيقا»[3] وقد عدّ سيبويه وابن جنى[4] وغيرهما هذه الألف المفخمة من الحروف الفروع أى أنها صورة صوتية للألف ناجمة عن السياق الذى راعاه الحجازيون أكثر من غيرهم يقول سيبويه « وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز فى قولهم الصلاة والزكاة والحياة »[4] .

ونخلص من ذلك إلى أنه بمراعاة الوضع الأفقى للسان علوا وانخفاضا ينتج لنا ثلاث صفات ثانوية غير فارقة فى المصوتات العربية هى : نصف أمامى ونصف خلفى فى المصوتات الضيقة ( الكسرة والضمة وكذلك ياء المد وواوه ) وصفة الخلفية فى الصوت المتسع ويعبر عن هذه الصفة بالتفخيم وإذا كانوا قد تحدثوا عن الألف فقط فإن الفتحة كذلك لأنها بعض الألف مرققا كان أم مفخما .

---

(١) السابق ١ / ٥٢ وقارن بالخصائص ٣ / ١٢١ .

(٢) التعبير بـ « نصف خلفية ونصف أمامية » من اصطلاحنا الخاص فى هذه الدراسة .

(٣) النشر ١ / ٢١٥ .

(٤) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٢ وسر الصناعة ١ / ٤٦ .

## ثالثا : الصفات الثانوية المتعلقة بطول الصوت

ذكرنا فى الصفات الفارقة صفتى الطول والقصر باعتبارهما المميز الوحيد بين الحركات وحروف المد ونضيف أن حروف المد قد يعتريها فى السياق ما يحتم زيادة طولها وهو ما يسميه الصوتيون العرب بالمطل ويكون ذلك إذا وقع بعد الصوت الطويل همزة أو سكون سواء أكان هذا السكون بسبب الوقف أم بسبب التضعيف. وقد عقد ابن جنى فى الخصائص بابا أسماه « باب فى مطل الحروف وذكر أن الحروف المطولة هى الحروف الثلاثة اللينة المصوتة وهى الألف والواو والياء »[1] وكما تزداد المصوتات الطويلة طولا فإن المصوتات القصيرة قد يعتريها أيضا ما يحتم جعلها طويلة[2] وغالبا ما يكون ذلك استجابة لمقتضيات الوزن الشعرى أو القافية أو بغرض زيادة المبنى لزيادة المعنى[3] وفى هذه الحالة فإن الصوت القصير يتحول إلى طويل وقد يحدث العكس فى سياقات أخرى كقول عبد المطلب .

عذت بما عاذ به إبراهم[4]

وفيما يتعلق بصفة القصر فإن هناك صفة ثانوية يقصر معها الصوت القصير فيصبح قصيرا جدا وهو حينئذ يشبه الحركة المركزية التى يرمز لها بالرمز 6 وهذا الصوت يتبع حروفا معينة فى العربية أطلق عليها حروف القلقلة وهى

---

(١) الخصائص ٣ / ١٢٤ .

(٢) عقد ابن جنى أيضا لهذا النوع من تطويل الصوت القصير بابا أسماه مطل الحركات . انظر الخصائص ٣ / ١٢٠ .

(٣) انظر الأمثلة التى ذكرها ابن جنى فى باب مطل الحركات ،

(٤) انظر أمثلة أخرى فى القافية وأصوات اللغة ص ١٥٢ الدكتور / عونى عبد الرؤوف .

القاف والطاء والباء والجيم والدال[1] وقد تسمى أيضا حروفا مشربة يقول سيبويه : واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت عن مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه وهى حروف القلقلة »[2] وقد عبر سيبويه عن قصر هذا الصوت باستخدام صيغة التصغير « صويت » أما « نبو » اللسان عن موضعه فإنه يعنى انخفاضه وضع نطق المصوت وعلى ذلك فإن « المقصود بالقلقلة هو الإتيان بصوت أشبه ما يكون بالحركة أو المصوت المركزى[3] الذى لا يوصف بكونه أماميا أو خلفيا كما أنه يمثل حالة وسطى فيما يتعلق بالضيق أو الاتساع[3] ونخلص من ذلك إلى أن الصفات الثانوية المصوتات العربية وجميعها مما يعرض فى السياق أى أن الصوت الذى يتصف بها لا يعتد به وحدة صوتية من الوحدات المصوتة وإنما هو فقط صورة صوتية تعرض لهذه الوحدة أو تلك فى اللغة العربية وهذه الصفات هى :

١ ــ نصف ضيقة فى حركة الإمالة الشديدة

٢ ــ « متسعة ا ــ فى حركة الإمالة الخفيفة

ب ــ فى الفتحة المفخمة المائلة نحو الضمة وكذلك ألف المد المفخمة .

٣ ــ خلفية وهى خاصة بالفتحة وألف المد بعد حرف مفخم أو مستعل .

(١) تشترك هذه الحروف فى أنها جميعا شديدة مجهورة وتسمى حروف القلقلة ( سيبويه . الكتاب ٤ / ١٧٤ ، وقد قصرها المبرد ( فى المقتضب ١ / ١٩٦ ) على القاف والكاف وأضاف إليها ابن الجزرى الهمزة والتاء ( النشر ١ / ٢٠٣ ) .

(٢) النصوص المتصلة بسيدنا يوسف فى القرآن الكريم والتوراة الدكتور/ حامد الشقيرى ج ١ ص ٥٩ .

(٣) نظر فى المصوتات المركزية Zentralvoels ، وكنوعاتها المكسة Abercrombie, Elents of general phonetics, p. 159.

٤ ـ نصف خلفية في الضمة وواو المد المشوبين بالكسرة .

٥ ـ نصف أمامية في الكسرة المشوبة بالضمة

٦ ـ طويلة جداً في حروف المد المطولة قبل الهمزة أو الحرف المشدد

٧ ـ قصيرة جداً في الصوت الذي يعقب حروف القلقلة

المصوتات العربية في التركيب : ( السياق )

ينظر إلى الوحدات الصوتية ( الفونيمات ) المصوتة حالة الإفراد باعتبار كل منها مجموعة من الخواص أو الصفات الفارقة ولكنها حالة التركيب قد تفقد إحدى هذه الصفات فإذا حلت محل هذه الصفة الفارقة صفة فارقة أخرى أصبحنا أمام فونيم آخر من الفونيمات ( الوحدات الصوتية ) المصوتة مثال ذلك أن تفقد الضمة صفة القصر لتحل محلها صفة الطول ( مع بقية الصفات الأخرى ) وهنا نجدنا أمام وحدة أخرى هي المسماة واو المد ، وربما فقدت الوحدة الصوتية أكثر من صفة فارقة كأن تفقد الكسرة صفة الضيق والانفراج والانضمام لتحل محلها صفات الاتساع والحياد ( بالنسبة للشفتين ) والانتشار وهنا نجد وحدة مصوتة أخرى هي الفتحة وهكذا .

أما إذا فقدت الوحدة الصوتية صفة فارقة لتحل محلها صفة ثانوية أو غير فارقة فإننا نجد حينئذ صورة صوتية أخرى لنفس الوحدة allophone وذلك كأن تفقد الفتحة صفة الاتساع لتحل محلها صفة أخرى غير فارقة هي نصف متسع وهنا نجد إحدى الصور الصوتية للفتحة وهي الصورة المسماة بالإمالة الخفيفة وإذا كانت الصفة الثانوية الجديدة التي أملتها ظروف السياق هي نصف ضيقة فإن لدينا حينئذ صورة ثانية للفتحة هي المسماة بالإمالة المحضة أو الشديدة وهكذا .

أما لماذا تفقد الوحدة الصوتية إحدى صفاتها فإن لذلك أسباباً عديدة

أهمها الإنسجام الصوتى فى نطق المصوتات Vowel Harmony ويتحقق هذا الإنسجام بوسائل عديدة أهمها : الإتباع والإمالة والتخالف وسنعرض لهذه الأنواع فى إيجاز .

الإتباع : نوع من المماثلة فى المصوتات وهو نظير الإبدال فى الصوامت ويقصد به :

أن تتحول الوحدة الصوتية المصوتة ( بفقد صفة أو أكثر من صفاتها الفارقة ) إلى وحدة صوتية أخرى بسبب مجاورتها لوحدة صوتية مماثلة لها وهذا نوع من Assimilation وهى المماثلة الخاصة بتحول الوحدة الصوتية المصوتة إلى وحدة أخرى أو بعبارة أخرى ـ تحول الحركة أو حرف المد إلى حركة أخرى أو حرف مد آخر مماثلين لما جاورهما مثال ذلك أن تتحول ضمة الدال فى قوله تعالى « الحمد لله » إلى كسرة إتباعا لكسرة اللام فى قراءة بعضهم الحمد لله » وجاء فى قراءة أخرى الحمد لله بضم اللام فى لفظ الجلالة إتباعا لضمة الدال[1] .

وهذا الإتباع قد يكون خاصا ببعض اللهجات العربية وقد يكون سمة من سمات العربية المشتركة ومن أمثلة النوع الأول كسر كاف الخطاب فى بكم وعليكم فى لهجة بكر بن وائل وربيعة وكلب[2] .

ومثاله فى العربية المشتركة كسر هاء الضمير فى مثل به وعليه .

يقول سيبويه :

« اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو ، لأنها فى الكلام كالهاء هكذا إلا أن

(١) انظر فى عانين القراءتين ومن قرأ بهما المحتسب لابن جنى جـ ١ ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) انظر أمثلة عديدة للاتباع فى لهجات القبائل فى ظاهرة الاتباع فى اللغة العربية ( رسالة دكتوراه ) للدكتور / فوزية الإدريسى ص ٥٧٠ - ٥٧٣ .

(٣) سيبويه الكتاب ٤ / ١٩٤ .

تحركها هذه العلة التي أذكرها لك . . . فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء فالكسرة هنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو كلاب وعابد . . . » ثم ذكر أن أهل الحجاز لا يعبأون بهذا الانسجام الصوتي فلا يتبعون وإنما يخرجون هذه الهاء على الأصل فيقولون مررت بهو وبدار هو ويقرأون « فخسفنا بهو وبدارهو الأرض »[1] وقد ذكر السيوطي في الأشباه والنظائر من هذا الإتباع أنواعاً عديدة منها : إتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول كلمة بعدها ، وإتباع حركة أول الكلمة لحركة آخر كلمة قبلها كما في القراءتين ( الحمدِ لِله ، والحمدُ لُله ) ومنها إتباع حركة ما قبل الآخر لحركة الإعراب كما في امرئ وامرؤ ، وامرأ . .[2]

والذي يهمنا أن نقرره هنا أن الاتباع نوع من المماثلة خاص بالمصوتات ولا يكون في الصوامت ، كما أنه خاص بتغيير الوحدة الصوتية المصوتة إلى وحدة أخرى فإذا ما تغيرت الوحدة الصوتية إلى صورة صوتية فهذه إمالة وليست إتباعاً[3] ، كما أن الإتباع ليس مرادفاً للتوافق الحركي[4] لأن هذا التوافق كما يحدث بالاتباع يحدث أيضاً بالإمالة .

الإمالة : يقصد بالإمالة هنا تحول الوحدة الصوتية المصوتة إلى صورة صوتية بأن تحل إحدى الصفات الثانوية التي ذكرناها محل صفة فارقة ويفهم من كلام ابن جني أن الإمالة ليست قاطرة على الفتحة التي تشرب شيئاً

---

(١) السابق ، نفس الصفحة .

(٢) انظر هذه الأنواع وغيرها في الأشباه والنظائر ١ / ٩ وما بعدها .

(٣) جعلت الدكتورة فوزية الإدريسي في رسالتها عن « الاتباع ، الإبدال والمضارعة والإمالة من الإتباع وهذا مخالف لصنيع العلماء العرب .

(٤) انظر علم اللغة العربية ص ٢٢٨ .

من الكسر وإنما تشمل أيضا الفتحة المشوبة بشيء من الضم والكسرة المشوبة بشيء من الضم والضمة المشوبة بشيء من الكسر وهذا وإن كان مخالفا لاصطلاح القراء في تعريفهم الإمالة بأنها « الانتحاء بالفتحة نحو الكسرة انتحاء خفيفا كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة »[1] إلا أنه موافق تماما لطبيعة التغير الصوتي الذي يصيب الوحدة الصوتية فتتحول إلى صورة صوتية بعد أن تفقد صفة فارقة لتحل محلها صفة غير فارقة ونظير الإمالة في الصوتات ما يطلقون عليه مصطلح المضارعة في الصوامت وذلك مثل الصاد الساكنة إذا جاءت بعدها الزاي إذ تتحول الصاد إلى زاي مطبقة ( كالظاء المصرية ) والإطباق ليس من الصفات الفارقة في الزاي[2] .

أما السبب الصوتي للإمالة فهو في الغالب المماثلة كما في الاتباع بيد أن التماثل في الإتباع تماثل كلي وهنا تماثل جزئي حيث تصير الوحدة الصوتية قريبة من مجاورتها وليست مماثلة لها تماما[3] .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أمثلة للإمالة ليست ناجمة عن ظاهرة التماثل وإنما عن المخالفة Dissimilation وذلك كما في إمالة الألف في مثل طلبنا زيد ورأيت عبدا كما جاء في الكتاب ( ٤ / ١٤٧ ) .

يقول سيبويه : وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة مما ذكرنا وذلك قليل سمعنا بعضهم يقول : طَلَبَنَا زيد كأنه شبه هذه الألف

---

(١) ابن الباذش الإقناع ١ / ٢٦٨ .

(٢) انظر في معنى المضارعة الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٧٧ .

(٣) انظر في التماثل الجزئي ، برجشتراسر ، التطور النحوي ص ١٨ .
وهو يطلق على ذلك مصطلح التشابه وليس التماثل ، والدكتور رمضان عبد التواب التطور اللغوي ص ٢٤ .

بألف حبلى . . . » وهذا التعليل الذى ساقه سيبويه غير صحيح والصواب أنه حدثت الإمالة فى الموضعين تحقيقاً للمخالفة فى الصوتات حيث سبقت الألف بثلاث فتحات فى طلبنا وبفتحة واحدة فى عبدا والألف من جنس الفتحة وهنا خالف بعض العرب بالإمالة .

التخالف فى الصوتات :

ذكرنا أن الإمالة فى بعض صورها قد تنشأ عن التخالف ومعناه التخلص من مصوتين متماثلين أو متقاربين بجعل أحدهما : إما صورة صوتية قريبة من المصوت المجاور كما فى الإمالة فى « طلبنا حيث تحولت الألف الأخيرة إلى حركة ممالة قريبة من الفتحة .

وإما بتحول الوحدة الصوتية المصوتة إلى وحدة أخرى كما فى تحول الفتحة فى سكارى وكسالى إلى ضمة فنقول سُكارى حيث وردت الكلمتان بالضم على لغة أهل الحجاز وقد وردت القراءة بالفتح على الأصل فى قوله تعالى « وأنتم سَكَارى »[١] وربما تمت المخالفة بالكسر وليس بالضم وذلك فى جمع فَعلان على فعال فى مثل عَجْلان وعِجَال وعطشان وعِطَاش إلخ[٢] .

وهذا التخالف هو السبب أيضا فى بناء مثل هيهات على الكسر فى لهجة تميم وأسد[٣] وبها قرأ شيبة وأبو جعفر[٤] فى قوله تعالى « هيهاتِ هيهات

---

(١) انظر فى هذه القراءة البحر المحيط ٣ / ٢٥٥ .

(٢) يقول سيبويه « وأما فعلان إذا كان صفة وكانت له فعلى فإنه يكسر على فِعَال » إلخ ... الكتاب ٣ / ٦٤٥ .

(٣) شرح المفصل ٤ / ٦٥ .

(٤) البحر المحيط ٦ / ٤٠٤ .

لما توعدون » وربما تمت المخالفة عند غير أهل الحجاز بالضم كما ورد فى قراءة أبو حيوه والأحمر[١] وبسبب هذه المخالفة أيضا نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة حتى يكون هناك تخالف مع الألف قبلها ولهذا السبب أيضا فتحت النون فى جمع المذكر السالم لتتخالف مع ياء المد قبلها .

---

(١) أى فى الآية السابقة ، انظر البحر المحيط ٦ / ٤٠٤ .

ثانيا : الوحدات الصوتية الصامتة :

أما الوحدات الصوتية الصامتة فى اللغة العربية فيمكن استخلاصها من الجدول التالى : ص ١٢٧
ونتلخص أهم ملاحظاتنا حول هذا الجدول فى النقاط التالية :

١ ـ يتضح من جدول الصفات الفارقة أن اللغة العربية تضم ثمان وعشرين وحدة صوتية صامتة [1] ، وعندما يضاف اليها الوحدات الصوتية الخاصة بالحركات ( ست وحدات ) أصبح لدينا فى العربية الفصحى ٣٤ وحدة صوتية

٢ ـ الصفات الفارقة للوحدات الصوتية الصوامت فى اللغة العربية الفصحى هى :

أ ـ الصفات الجنية للمخرج

ب ـ الجهر ونظيره الهمس

جـ ـ الشدة ونظائرها من الرخاوة واللين والتركيب والجانبية والانفية والتكرار

---

(١) اضاف أحمد مختار الى هذه الثمان والعشرين وحدة صوتية أخرى هى اللام المفخمة وذلك أعتمادا على ماكتبه فرجسون فى مقالته المشهورة عن اللام المفخمة فى العربية فى مجلة Language جـ ٣٢ عدد ٣ ( ١٩٥٦ ) ٤٤٦ ـ ٤٥٢ ، ولايعدو تفخيم اللام فى نظرنا أن يكون ظاهرة مرتبطة بالسياق ، لا بالنظام الفنولوجى للغة ، اذ تأتي اللام مفخمة بعد الفتحة أو الضمة في لفظ الجلالة أو عندما تجاور صوتا مفخما ( انظر أحمد مختار عمر الصوت اللغوى، ص ٢٨٥

| الصفة ← / المخرج ↓ | شفوي | شفوي أسناني | بين أسناني | أسناني لثوي | لثوي | لثوي حنكي | حنكي | طبقي | لهوي | حلقي | حنجري |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| شديد مجهور مرقق | ب | | | د | | | | | | | |
| شديد مجهور مفخم | | | | ض | | | | | | | |
| شديد مهموس مرقق | | | | ت | | | | ك | ق | | همزة |
| شديد مهموس مفخم | | | | ط | | | | | | | |
| رخو مجهور مرقق | | | ذ | | ز | | | غ | | ع | |
| رخو مجهور مفخم | | | ظ | | | | | | | | |
| رخو مهموس مرقق | | ف | ث | | س | ش | | خ | | ح | هـ |
| رخو مهموس مفخم | | | | | ص | | | | | | |
| لين مجهور | (و) | | | | | | ي | و | | | |
| مركب مجهور | | | | | | ج | | | | | |
| أنفي مجهور | م | | | ن | | | | | | | |
| تكراري مجهور | | | | | ر | | | | | | |
| جانبي مجهور | | | | ل | | | | | | | |

د ـ الاطباق ونظيره الانفتاح .

٣ ـ يمكن تحديد فونيم الباء مثلا بأنه ذلك الصوت الذى يتضمن الصفات الفارقة التالية ، الشفوية والشدة والجهر ، ويمكن وصفه بالتالى بأنه يتكون بمصاحبة هواء الرئتين الذى يمر بالحنجرة فيؤثر على الاوتار الصوتية بالاهتزاز ثم يتابع الهواء سيره حتى يصل الى الشفتين فتنطبقان على بعضهما أنطباقا تاما لا يسمح للهواء بالمرور ثم ينفرجان فجأة فنسمع حينئذ صوتا هو الذى نسميه الباء .

٤ ـ قد يفقد الفونيم احدى صفاته الفارقة في بعض السياقات المختلفة كفقد الباء للجهر عند الوقف عليها فى نحو رَكْبْ .

٥ ـ يلاحظ فى الجدول أن الضاد هى النظير المطبق للدال وأن الطاء هى النظير المطبق للتاء ولم يكن الامر كذلك قديما بالنسبة لهاتين الوحدتين الصوتيين مما يعنى أن تطورا ما قد لحق بهما .

٦ ـ ان الصفات المذكورة فى هذا الجدول خاصة بالصوات العربية مفردة أما فى حالة التركيب فقد يعرض لها ما يجعلها تفقد صفة أو أكثر من هذه الصفات .

## الصوامت العربية فى التركيب ( السياق )

ما سبق أن ذكرناه من الصفات الفارقة للاصوات العربية صامتة كانت أم حركات انما يتحقق عندما ننظر الى كل منها بمفرده [1] بعيدا عن السياق أى عما يجاورها من أصوات أخرى ، وتختلف الاصوات العربية من حيث قابليتها للتأثر فى المواقع المختلفة كما تختلف درجة هذا التأثر ونوعه ، وسنتناول هنا بعض الظواهر السياقية التى تخضع لها الاصوات العربية ونعنى بذلك ظاهرتى المماثلة [2] والمخالفة

---

(١) يعنى النظر الى الصوت بمفرده بعيدا عن السياق أن هذا الصوت يتحقق وفقا لمقتضيات النظام الصوتى للغة العربية أى باعتباره وحدة صوتية قائمة بذاتها ولها صفاتها الفارقة التى تميزها عما عداها وذلك كأن تتصف الباء بالشفوية والشدة والجهر ، فاذا حدث وأن فقدت الباء احدى هذه الصفات كان هذا استجابة لمقتضيات السياق وذلك كما فى ركب حيث اقتضى الوقف وهو ظاهرة من ظواهر السياق أن تفقد الباء صفة الجهر .

(٢) من ظواهر السياق الاخرى ظاهرة المخالفة وظاهرة الوقف انظر فى ذلك تمام حسان ، العربية معناها ومبناها ص ٢٦٢ وما بعدها .

## معنى المماثلة

Assimilation .

يقصد بالمماثلة ، أن يتقارب صوت من صوت آخر بحيث يفقد احدى صفاته الفارقة تحقيقا للانسجام الصوتى بينهما مثال ذلك أن تفقد التاء صفة الانفتاح فتتحول الى صوت مطبق ( أى طاء ) تحقيقا للانسجام الصوتى مع الصاد المطبقة فى مثل اصطبر ، أو تفقد صفة الهمس لتتحول الى صوت مجهور ( أى دال ) لتحقق الانسجام الصوتى مع الزاى المجهورة فى ازدجر .

لقد عرف علماؤها العرب القدامى هذه الظاهرة وعالجوها تحت مسميات مختلفة فسموها أحيانا بالابدال وأحيانا بالادغام كما سموها أيضا بالمضارعة (١) .

وتنقسم المماثلة الى مماثلة كلية وذلك اذا تحول صوت من الاصوات الى نفس الصوت الذى يجاوره بحيث يدغم فيه مثال ذلك ادعى حيث تحولت تاء الافتعال الى دال ثم أدغمت الدال فى الدال وفى هذا المثال وأشباهه يتحد معنى الادغام والمماثلة (٢)

(١) انظر الكتاب لسيبوية ج٢ ص ٤٢٦ ، وكذلك باب الادغام ص ٤٠٤ وما بعدها وقارن بابراهيم انيس ، الاصوات اللغوية ص ٢٠٤ .

(٢) انظر برجشتراسر التطور النحوى ص ١٩ وقارن بكتابنا
Die arab.Ibdal-monographien.
S.2I6

٢ ــ مماثلة جزئيـــة وذلك اذا تحول الصوت الى صوت آخر قريب من الصوت الذى يجاوره وذلك كما فـــى ازدان حيث تحولت تاء الافتعال الى دال مجهورة لتتناسب مع الزاى المجهورة ، وهذا النوع مـــن المماثلة يسميه العلماء العرب ابدالا طالما كان للصوت الناشىء عن المماثلة رمز كتابى يدل عليه فاذا لـم يكن لهذا الصوت الجديد رمز كتابى أسموا ذلـك بالمضارعة مثال ذلك أن تتحول الصـاد المهموسـة الى صوت آخـــر مجهور مطبق قبل الدال فى نحو صدر وهذا الصوت يشبه الظاء فى العاميـــــة المصـرية (١)

وتنقسم المماثلة من جهة ثانيـــة الى :

مماثلة مقبلة (٢) وهى التى يوثر فيها الصـــوت الاول

---

(١) انظر فى معنى المضارعة عند سيبويه كتابنا السابق ص ٤٦ ، وقد عرفها ابن يعيش بقوله " المضارعة أن تنحوا بالصاد نحو الزاى فتصير حرفا مخرجه بين مخرج الصاد ومخـرج الزاى وهذا التعريف فى نظرنا محل نظر لان التغير الذى حدث لاعلاقة له بالمخرج وانما بصفتى الجهر والاطبـاق

(٢) آثرنا هنا استخدام المماثلة المقبلة والمدبرة وهما مـن المصطلحات التى ارتآها المستشرق الالمانى برجشتراسر ( انظر التطور النحوى ص ١٩ ) ويستعمل بعض الباحثين بدلا من المقبلة مصطلح التقدمى ومن المدبرة مصطلـح الرجعى ( انظر ابراهيم انيس الاصوات اللغوية ص ١٨١ )

في الصوت الثاني مثال ذلك اصطبر حيث أثرت الصـــاد في تاء الافتعال فحولتها الى طـــاء .

**مماثلة مدبـــرة**

وهى التى يوءثر فيها أحد الاصوات في الصوت الذى يسبقه مثال ذلك اتعد حيث أثرت تاء الافتعال في الواو التى هى لام الفعل فحولتها الى تاء ثم أدغمت التاء في التاء ومن أمثلتها كلمة حنب حيث أثرت الباء في النون الـــتى سبقتها فحولتها الى ميم .

**مماثلة متبادلة**

وهى التى يتأثر فيها كلا الصوتين بالاخر مثـــال ذلك كلمة ادكر حيث تأثرت الذال التى هى فاء الفعـــل بتاء الافتعال فتحولت الى دال وتأثرت تاء الافتعال بالذال فتحولت هى الاخرى الى دال ثم أدغمت الدال في الدال .

وقد تنقسم المماثلة من جهة ثالثة الى مماثلة مطـــردة ويمكن تسميتها بالمماثلة الصرفية وذلك كالامثلة التى ذكرناها لمماثلة تاء الافتعال وهناك مماثلة غير مطردة ويمكن تسميتها بالمماثلة اللغوية وهذه قد يراعيها بعض القبائل العربيـــة دون البعض الاخر ، أى أنها تكون من خواص بعــــض اللهجات العربيـــة ومن أمثلتها الفـزد في لهجة طـــيء

بدلا من القصد حيث تحولت الصاد المهموسة الى زاى مجهورة لتناسب الدال ، ومنها الصويق بدلا من السويق حيث تحولت السين غير المفخمة الى صاد مفخمة لتناسب القاف (1)

لقد عالج اللغويون وعلماء التجويد ظاهرة المماثلة خاصة اذا كانت مماثلة كلية (٢) تحت باب الادغام ورأوا أنه لكى تتحقق هذه المماثلة فلا بد من أن يلتقى الصوتان دون فاصل بينهما حتى ولو كان هذا الفاصل حركة قصيرة ومن ثم فقد اشترطوا فى الادغام أن يلتقى صوتان متماثلان أو متقاربان أو متجانسان الاول منهما ساكن (٣)

(١) انظر أمثلة أخرى لما أسميناه المماثلة اللغوية ( غير المطردة ) فى كتاب الابدال لابى الطيب اللغوى حـ٢ص١٧٤ـ ١٩١ وقارن بكتابنا Die arab. Ibdal-monographien. S.237

(٢) يقصد بالمماثلة الكلية أن يتحول الصوت الى نفس الصوت الذى يجاوره وهنا نجد أنفسنا أمام صوتين متماثلين يدغم أحدهما فى الاخر كما فى أدعى .

(٣) معنى المتماثلان أن يكون الصوتان من جنس واحد مثل البائين والنونين ، أما المتجانسان فيقصد بهما صوتان اتحدا فى المخرج واختلفا فى الصفات مثل الدال والتاء ( انظر جدول الصفات ص ١٢٧ )
أما المتقاربان فيعنيان صوتين تقاربا فى المخرج والصفة أو فى أحدهما مثل الذال والزاى انظر التجويد والاصوات لاستاذنا ابراهيم نجا ص ٩٥ .

## المخالفة Dissimilation

المخالفة كالمماثلة مظهر من مظاهر تحقيق الانسجام الصوتي بين العناصر أو الوحدات الصوتية التي تتكون منها كلمة ما ، ويقصد بهذه الظاهرة أن يتحول صوت ما الى صوت آخر نظرا لالتقائه (١) بصوت مماثل أو قريب منه في كلمة صوتية واحدة (٢) ويتم ذلك تحقيقا للانسجام الصوتي في نطق هذه الكلمة مثال ذلك تحول النون الاخيرة في تظنن الى ياء فيقال تظنيت بدلا من تظننت وتنقسم المخالفة الى قسمين :

١ ـ مخالفة منفصلة وذلك اذا فصل بين الصوتين المتماثلين أو المتقاربين فاصل ومن أمثلته باسك حيث تحولت الميم الاولى في ( ماسك ) الى باء تحقيقا لظاهرة المخالفة ، ومنها اخضرضر حيث تحولت الراء الاولى في ( اخضرضر ) الى

---

(١) قد يكون هذا الالتقاء مباشرا عندما يتجاور الصوتان كما في تحول الميم الثانية الى ياء في مثل أما وأيما ، وقد يكون هذا الالتقاء غير مباشر عندما يفصل بين الصوتين المتماثلين صوت أو أكثر مثال ذلك تحول الراء الاولى في اخضرضر الى واو في اخضوضر .

(٢) المراد بالكلمة الصوتية تلك الوحدة التي يمكن أن يقسم اليها الكلام وفي داخلها يحدث التفاعل الصوتي " وهي تشكل مجموعة نفسية واحدة ، و قد تتكون من كلمة معجمية واحدة كـ " اخضوضر " وربما تتكون من أكثر من ذلك كما في " ماسك " اذ نجد هنا كلمة صوتية واحدة ولكنها من الناحيتين الصرفية والمعجمية ثلاث هي ما ، اسم ، كاف الخطاب ، انظر في معنى الكلمة الصوتية ، علم الصوتيات لعبد الله ربيع وعبد العزيز علام ص ٢٦٠ وما بعدها .

واو وقد فصل بين الميمين بالالف والسين ، وبين الراءين بالضاد
ويرى برجشتراسر أن علة هذا النوع من المخالفة انما هو علة
نفسية محضة " لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات
الحركات اللازمة على ترتيبها ويصحب عليها اعادة تصور بعينه بعد
حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ اذا أسرع الانسان في
نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة (١)

٢ ــ مخالفة متصلة ، وهذ النوع من المخالفة قليل بالمقارنة بالنوع الاول ،ويراد به التقاء صوتين متماثلين التقاء مباشرا ( دون فاصل ) ، مثال ذلك أن يلتقي حرفان متماثلان في صيغة تفعل من المضعف في نحو تظنن وتقضض ، وتسرر وتقصص ، وهنا نجد تحول الحرف الاخير الى ياء فيقال تظنيت ، تقضيت ، وتسريت وتقصيت ، تحقيقا لظاهرة المخالفة وقد أطلق العلماء العرب على هذا النوع من المخالفة اسم الابدال ولما رأوه غير متحقق في كل الامثلة
التي هي من هذا النوع فقد وسموه بالشذوذ وقد عقد لذلك سيبويه
بابا في " الكتاب " أسماه " هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام
( أي لام الكلمة ) ياء كراهية التضعيف وليس بمطرد ... الخ (٢)
ان من الواضح هنا أن علة التخالف في رأي سيبويه هي كراهية

---

(١) التطور النحوى ( مطبعة السماح ) ص ٢١
(٢) الكتاب ٤٠١/١١

التضعيف أى كراهية توالى الامثال فى بناء الكلمة الواحدة وذلك تجنبا للثقل الذى يحدث عند تماثل هذه الاصوات نظرا للجهد العضلى الذى يبذله اللسان فى حالة النطق بالاصوات المتماثلة أو المتشابهة [1] ، وقد نلمس فى ذلك علة أخرى أشار اليها برجشتراسر وهى " ان المتكلم يرجو أن يوثر فى نفس السامع تأثيرا زائدا فلا يكتفى بالحرف وتشديده بل يضيف اليه حرفا آخر لزيادة ذلك التأثير " [2] .

ان التخالف لايحدث فقط نتيجة التقاء صوتين متماثلين وذلك كما فى الامثلة التى أوردناها ، وانما قد يحدث أيضا فى الاصوات المتقاربة فى مخارجها ، فاذا ما حدث والتقى صوتان متحدان فى المخرج أو متقاربان فيه فان أحد هذين الصوتين قد يتحول الى صوت آخر ( بعيد فى مخرجه من الصوت الثانى ) تحقيقا لظاهرة المخالفة وأمثلة هذا النوع كثيرة جدا فى اللغات السامية شقيقات العربية ومنه فى العربية أيضا قدر غير يسير ، من ذلك مثلا تحول اللام الى نون نظرا لالتقائها بالراء فى نحو رَفَلّ > رِفَنّ ، اسماعيل > اسماعين ، جبرائيل > جبرائين [3]

ولعل السبب فى هذا النوع من المخالفة هو كراهية تأليف الكلمة من حروف متقاربة فى مخرجها لما فى ذلك من الثقل على اللسان

---

(١) انظر ابراهيم انيس ، الاصوات اللغوية ص ٢١٤

(٢) التطور النحوى ( مطبعة السماح ) ص ٢٣

(٣) انظر فى هذه الامثلة وغيرها : Grundriss der vergliechenen Grammatik der sem. Sprachen,I .220

وقد اعتبر البلاغيون العرب هذا الضرب من التأليف مخلا بفصاحة الكلمة واسموه بالتنافر ، وقد نقل السيوطى عن ابن دريد قوله " اعلم أن الحروف اذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها اذا تباعدت "(١)

ان تحول الصوت الى صوت آخر تحقيقا لهذه المخالفة قد يصيب ثانى الحرفين المتماثلين ، اى ان الصوت الثانى يتأثر بالصوت الاول وحينئذ تسمى مخالفة مقبلة مثال ذلك لَعَلَّ التى تصير فى بعض اللهجات الى لَعَنّ ، وقد يكون الصوت المتأثر هو الاول وحينئذ تسمى مخالفة مدبرة مثال ذلك تحول الميم الاولى الى ياء فى مثل أيما بدلا من أما ، أو تحول الميم الاولى فى ما اسمك الى باء فى باسمك ( فى لهجة مازن ) (٢) وتسمى هذه المخالفة بالمخالفة المدبرة .

---

(١) المزهر ١٩١/١ ، وقارن ذلك بما كتبه تمام حسان عن ظاهرة التأليف فى " العربية ، معناها ومبناها " ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢) انظر فى هذه اللهجة كتابنا Die arabischen Ibdal-Monographien; S,219

# الفصل الرابع

## الوحدات الصوتية الأدائية

- المقاطع الصوتية
- النبر
- المفصل
- التنغم

* * *

# المقاطع الصوتية فى اللغة العربية

## المقطع الصوتى :

عندما ننطق بكلمة " كَتَبَ " نطقا فيه نوع من التمهل والتأنى ، ونلاحظ ما يحدث للرئتين أثناء هذا النطق ، فسنجد أنهما تعرضتا لثلاث ضغطات من القفص الصدرى والحجاب الحاجز ، الاولى عند نطق كَ ، والثانية عند نطق تَ ، والثالثة عند نطق بَ ، أما عندما ننطق نفس الكلمة ساكنة الاخر كَتَبْ فاننا سنلاحظ وجود ضغطتين اثنتين ، أولاهما عند نطق كَ والثانية عند نطق تَبْ ، ويسمى الاثر السمعى الناتج عن كل ضغطة من هذه الضغطات الصدرية بالمقطع ، وعلى ذلك فان المقطع الصوتى من الوجهة النطقية أو الفسيولوجية البحتة هو عبارة عن دفعة هوائية واحدة [1] يتم تشكيلها فى الجهاز الصوتى لدى الانسان

(١) انظر فى هذا التعريف الفسيولوجي للمقطع تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ص ١٣٨ ، عبدالله ربيع وعبد العزيز علام علم الصوتيات ص ٢٤٨ ، وقد روعيت هنا أيضا الناحية الفيزيائية لان صوت الحركة انما يمثل قمة الوضوح السمعى ..

وينجم عنها صوت واحد ، أو سلسلة متتابعة من الاصوات لاتحوى سوى واحد فقط من أصوات الحركة [(١)]

إن هذا التصور الصوتى للمقطع وهو تصور ( فوناتيكى ) بحت ، انما هو تصور عام يمكن أن ينطبق على جميع اللغات ، وقد رأى فريق من اللغويين أن هذا المقطع لا ينبغى أن ينظر اليه على أنه سلسلة متتابعة من الاصوات فقط ، بل سلسلة متتابعة من الاصوات تؤدى وظيفة معينة فى النظام العام للغة من اللغات ومن ثم فقد رأوا فى المقطع وحدة فنولوجية يمكن تعريفها بأنها :
الوحدة التى يمكن أن تحمل نغمة واحدة أو درجة واحدة من النبر [(٢)] أو بأنها وحدة تحتوى على صوت واحد من أصوات الحركة إما وحده أو مع أصوات صامتة بأعداد معينة وبنظام معين [(٣)] .

(١) هناك من عرف المقطع فسيولوجيا بأنه تتابع من الاصوات الكلامية له حد أعلى (صوت حركة غالبا) بين حدين أدنيين من الاسماع ، انظر فى هذا التعريف وغيره ، أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٢٤١

(٢) إنظر احمد مختار عمر ، السابق ٢٤٣ ويلاحظ أن هذا التعريف قد روعى فيه الناحية الادائية

(٣) السابق ، نفس الصفحة وقارن بتمام حسان ، مناهج البحث فى اللغة ص ١٤٠ وعبدالله ربيع ، علم الصوتيات ص ٢٤٩ .

وقد جمع كثير من الباحثين بين هاتين الوجهتين فرأوا في المقطع الصوتي سلسلة متتابعة من الاصوات تتكون منها أصغر وحدة صوتية أدائية ممكنة" (١)

ويعتقد بعض الباحثين أنه من الضروري الفصل بين المقطع الصوتي باعتباره أحداثا صوتية منطوقة وبين المقطع باعتباره وحدة تجريدية تشكل عنصرا من عناصر اللغة ، يقول تمام حسان :

" ومن الضروري أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع أولهما هو المقطع التشكيلي ( الفونولوجي ) والاخر هو المقطع الاصواتي ( الفونيتيكي ) ، أما أول هذين فهو تجريدي مكون من حروف ، وأما الثاني فهو أصواتي محسوس مسموع مكون من أصوات وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة : أن كل ما هو تقعيدي ، لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة " (٢)

وسنتناول المقطع الصوتي في دراستنا التالية باعتباره سلسلة متتابعة من الاصوات المنطوقة ( أي من

(١) Handbuch der Linguistik ;S.387

(٢) مناهج البحث في اللغة ص ١٤١ ، ويلاحظ هنا تمام حسان يقصد بالتشكيل الصوتي ما يقابل Phonology وبالاصوات ما يقابل Phonetics ويقصد بالحروف ما يطلق عليه Phonems وبالاصوات ما يطلق عليه Phones

( أى من الناحية الصوتية ) كما سنتناوله باعتباره نمطا تركيبيا يدخل فى بناء الكلمات العربية ( أى من الناحية الفونولوجية ) .

## المقاطع الصوتية فى اللغة العربية

### انواع المقاطع الصوتية

سبق أن ذكرنا أن أصوات الحركة فى اللغة العربية لا يمكن أن تقع فى بداية المقطع الصوتى ، وذلك على عكس الاصوات الصامتة التى تبدأ بها المقاطع ويمكن أن تنتهى بها ايضا ، واذا نظرنا الى الامكانيات التعبيرية فيما يتعلق بالتكوين المقطعى للغة العربية فاننا سنجد الاشكال التالية من المقاطع [1] :

١ ــ ص + ح مثل المقاطع التى تتكون منها كلمة كَتَبَ

٢ ــ ص + ح ح مثل المقطع الاول من كلمة كَا تِبْ

٣ ــ ص + ح + ص مثل المقطعين الذين تتكون منهما كلمة فَهْمْ

٤ ــ ص + ح ح + ص مثل المقطع الذى تتكون منه كلمة قَالْ فى حالة الوقف .

---

(١) ص = صوت صامت ، ح = حركة قصيرة
ح ح = حركة طويلة ، ص ص = صوتين صامتين

٥ ــ ص + ح + ص ص مثل المقطع الذى تتكون منه كلمة فَـوّ فى حالة الوقف .

٦ ــ ص + ح ح + ص ص مثل المقطع الذى تتكون منه كلمة ضَالّ فى حالة الوقف

لقد أضاف تمام حسان الى هذه المقاطع لونا آخر يتكون من ح + ص ومثل له بهمزه الوصل أو بأداة التعريف ويرى أن هذا المقطع تشكيلى ( فنولوجى ) غير أصواتى ، لان الاصوات لا تعترف بأن تبتدأ المجموعة الكلامية بحركة ولذا تعمد الى همزة تنشئها قبل هذه الحركة ، وتتخذها قنطرة للنطق بها ، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع" (١)

ان الحجة التى ساقها تمام حسان لاعتبار همزة الوصل أو أداة التعريف مقطعا يتكون من حركة يعقبها صوت صامت هى حجة واهية لانه اذا كان نظام اللغة يقتضى سكون فاء الفعل واطراح همزة الوصل فمن باب أولى الا يعتد بكسرة هذه الهمزة لانها تابعة لها ، والاولى أن يقال هنا ان النظام المقطعى للغة العربية

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ١٤٥ وقد أسقط أيضا المقطع الاخير فلم يعتبره من مقاطع العربية .

يأبى أن تبتدأ الكلمة بمقطع يتكون من ص +ص + ح (١) كالمقطع الاول في ضْربْ ومن هنا توسلت العربية بهمزة الوصل المكسورة ليصبح لدينا مقطعان هما ص + ح + ص (إِضْ ) ، ص + ح +ص (رِبْ) ثم تأتى بقية المقاطع بعد ذلك ، أى أن النظام الفنولوجى لا يقتضى وجود مقطع يتكون من ح + ص وانما وجود مقطع يتكون من ص + ص + ح وقد تخلصت العربية من هذا اللون المقطعى لان الذوق العربي يأبى التقاء ساكنين خاصة فى أول الكلمة (٢) .

---

(١) مثل هذا اللون المقطعى الذى تأباه العربية موجود بكثرة فى اللغة السريانية ( مثل تْلَاثْ ) وهى من شقيقات العربية ، كما يوجد أيضا فى كل اللغات الاوربية تقريبا مثل Schmidt , Sport

(٢) يبدو أن تمام حسان قد رجع عن رأيه هذا فاعتبر أن المقطع الاول الذى تسبقه همزة الوصل هو مقطع مكون من حرف صامت فقط ومثل له بسين الاستفعال وهذا أيضا غير مسلم به لان السين وحدها لاتدل على شىء وانما السين والتاء معا هما اللذان يدلان على الطلب وهما يشكلان من الوجهة الفنولوجية مقطعا يتكون من ص + ص + ح وقد تخلصت العربية من هذا اللون بأضافة همزة الوصل ( انظر العربية ، معناها ومبناها ص ٦٩ )

## تصنيف المقاطــع الصوتيــة

تنقسم المقاطع الصوتية من حيث طبيعتها النطقيــة الــى :

١ ـ مقاطع مفتوحة وهى التى تختم بصوت من أصــوات الحركة وذلك مثل النوعين الاول والثانـــى .
٢ ـ مقاطع مغلقة وهى التى تختم بصوت صامت مثل بقيــة المقاطع ويمكن تقسيم هذه المقاطع من حيث الكــم الــى :
١ ـ مقاطع قصيرة ويمثلها النوع الاول فقط
٢ ـ مقاطع متوسطــة ويمثلها النوعان الثانى والثالث
٣ ـ مقاطع طويلة ويمثلها الانواع من الرابع الــى الســادس

## النظام المقطعى للغة العربية

هناك امكانيات كثيرة لتكوين العديد من المقاطــع فى اللغات المختلفة [1] ، الا أن المقاطع المستخدمــة بالفعل تختلف من لغة الى أخرى لان لكل لغة من هــذه اللغات نظامها الخاص فيما يتعلق بالتركيب المقطعى الخاص

(١) انظر الامكانيات المختلفة للتشكيل المقطعى فى اللغــات المختلفة ، احمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى ص ٢٥٥

بالعربية الفصحى فان التركيب المقطعى فى حالة الوصل
يخضع للقواعد التالية :

١ — يبدأ المقطع دائما بصوت صامت واحد ، ويسمى هذا الصوت بداية المقطع
٢ — يلى أحد أصوات الحركة ( القصيرة أو الطويلة ) بداية المقطع أى أن صوت الحركة يشكل دائما العنصر الثانى فى المقاطع العربية (١)
٣ — يغلق المقطع بصوت صامت واحد أو يظل مفتوحا

ويمكننا أن نعبر عن هذه القواعد الثلاث بطريقة الرموز على النحو التالى :

المقطع الصوتى فى العربية الفصحى فى حالة الوصل = ص+ح (ص)
وتقرأ هذه الرموز هكذا : يتكون المقطع فى اللغة العربية فى حالة الوصل إما من صوت صامت تعقبه حركة ( طويلة كانت أم قصيرة ) ، وإما من صوت صامت تليه حركة يعقبها صوت صامت، أما فى حالة الوقف فان اللغة العربية تسمح بان يختم المقطع بصوتين صامتين ويمكن التعبير

---

(١) انظر فى قواعد التركيب المقطعى للعربية الفصحى ف • فيشر فى مقالته Probleme der Silbenstruktur im Arabischen (I965) S.Iff

وفى قواعد التركيب المقطعى للعربية المعاصرة فى مصر T. F. Mitchel ;Colloqial Arabic ;the living arabic in Egypt P.26

عن ذلك بالطريقة الرمزية التاليــــة :

المقطع الصوتى العربى فى حالة الوقف = ص + ح

( ص أو ص ص ) ، ومعنى هذا أن المقطع الموقـوف

عليه اما أن يختم بحركة ( قصيرة كانت أم طويلـــة )

واما بصوت صامت واحـــد ، أو صوتين صامتين ،

ونستخلص من ذلك أن المقاطع الصوتية من النوعين الخامس

والسادس لا يمكن وفقا للنظام المقطعى للغة العربية أن

يردا إلا فى حالة الوقف أما بقية المقاطع فانها تأتى فـــى

الوصل كما تأتى فى الوقف .

ان المقاطع الثلاث الاولى هى أكثر المقاطع شيوعــا

فى اللغة العربية وقد سبق أن ذكرنا أن العربية لاتستخدم

المقطعين الخامس والسادس الى فى حالة الوقف كما لجأت

فى حالات كثيرة الى التخلص من المقطع الرابع اذا اقتضته

ضرورة صرفية أى استلزمت وجوده القواعد الخاصة ببنـــاء

الكلمات ويمكننا أن نفسر على ضوء هذا لمــاذا نقول قم

فى فعل الامر بدلا من قُومْ كما يقتضى نظام اللغــــــة

كما أننا نقول أَقَمْتَ بدلا من أَقَامْتَ إن السبب فى ذلــك

هو أنفة الذوق العربى من وجود مقطع مغلق طويل فـــى

حالة الوصل ومن ثم قصرت الحركة الطويلة ليتحول بذلــك

الى مقطع متوسط مغلق ، أما فى الحالات التى لايمكــــن

فيها تقصير الحركة وذلك حيث يكون الطول هو الفارق بين

حالتى الافراد والجمع كما فى نحو محمد ومحمدين فان العربية لجأت فى هذه الحالة الى اضافة فتحة بعد النون فى جمع المذكر السالم ليتحول المقطع الطويل المغلق ( ص + ح ح + ص ) الى مقطعين مفتوحين أحدهما متوسط والاخر قصير ص + ح ح ( = دُو )
و ص + ح ( = نَ ) (١)

## توالــى المقاطــع فى اللغــة العربيــة

تتكون الكلمات العربية عادة من عدد من المقاطع قد يصل الى خمسة فى نحو يَتَحَدَّثُ ، مُتَفَاهِمٌ (٢) وما ذلك وهذا يعنى أن الكلمة العربية قد تتكون من مقطع

(١) اذا كان النظام المقطعى فى اللغة العربية يمكن أن يفسر لنا فتحة نون جمع المذكر السالم أو حذف حروف المد فى نحو قمت وأقمت فانه لا ينبغى بحال أن نبالغ فى تأثير هذا النظام حتى نجعله مسئولا عن ظاهرة الاعراب فى اللغة العربية كما يزعم ابراهيم أنيس ( انظر من أسرار اللغة ص ٢٥٦ )

(٢) هذا بغض النظر عما يلحق الكلمة من الوحدات الصرفية الاخرى كتاء التأنيث أو ألوان الضمائر المختلفة أو همزة الاستفهام اذ قد يزيد العدد بها الى سبعة مقاطع كما فى نحو قوله تعالى فسيكفيكهم الله وقوله تعالى أنلزمكموها .

واحد مثل مِنْ وعَنْ وقُلْ ، أو من مقطعين مثل قَالَ ، ضَـرَبَ ، أو من ثلاثة مقاطع مثل ضَارِبٌ ، عَلِيمٌ ، أو من أربعة مقاطع مثل يُسَاهِـمُ ، مُقَـدَّمٌ ، أو مـن خمسة مقاطع كالمثالين اللذين ذكرناهما آنفا ( يَتَحَدَّثُ مُتَفَاهِـمٌ ) .

لقد أدرك اللغويون العرب أن للغة العربية نظـاما خاصا فيم يتعلق بتوالى حروفها وحركاتها وهو ما يمكـن تسميته بنظام توالى المقاطع حين قرروا أن العرب قـد أسكنت لام الفعل الماضى عند اتصاله بضمائر الرفع لانهـم كرهوا توالى الامثال فيما يشبه الكلمة الواحدة ويعنى هذا بعبارة أخرى أن اللغة العربية تأنف من توالى أربـع مقاطع من النوع الاول ومن ثم لجأت الى تسكين لام الفعل الماضى الذى كان حقها البناء على الفتح فقالوا ضَرَبْتُ بدلا من ضَرَبَتُ وأقصى ما يمكن أن تسمح به العربية هـو توالى ثلاثة مقاطع من هذا النوع فى نحو بِنَيَّةٌ ، يَقَظَةٌ (١)

ان نظام توالى المقاطع فى اللغة العربية مازال بحاجة الى مزيد من البحوث والدراسات ، ولقد ثبت من الدراسات القليلة التى تمت حول هذا الموضوع أن اللغـة

---

(١) يتكون هذان المثالان من ثلاثة مقاطع من النـوع الاول + مقطع من النـوع الثالث .

العربية لا تسمح بتوالى مقطع من النوع الثالث ( ص + ح + ص ) يليه مقطعان من النوع الثانى ( ص + ح ح ) [1] فى كلمة واحـــدة فاذا تصادف ووجدنا كلمة تتوالى مقاطعها على هذا النحو أدركنا أنها غير عربيـــة وذلك مثل بِرْنَابَا [2] ، كما لا توجد كلمات تتوالـــى مقاطعها على النحو التالى مقطع من النوع الثانى + مقطعان من النوع الثالث [3] فاذا وجدنا كلمة هذا نسجها حكمنا بأنها غير عربية وذلك مثل كَالِنْدَر ، وقد سبق أن ذكرنا أن أى مقطع يبدأ بصوتين صامتين لاينتمى الى المقاطـــع العربية ومن ثم فان وجوده دليل على أن الكلمة التى ـــ تشتمل عليه هى كلمة غير عربية .

## المقاطـع الصوتيـــة والنـــبر

ان أهمية دراسة المقاطع الصوتية فى اللغة العربية لاتقتصر على معرفة التكوين المقطعى للغة ومن ثم معرفـــة

---

(١) انظر ابراهيم انيس الاصوات اللغوية ص ١٦٩ وقارن بابراهيم نجا ، التجويـــد والاصوات ص ٢٦

(٢) قد يوجد مثل هذا النسج فى الكلمات العربيـــة اذا اتصلت بها بعض الضمائر مثل قلناها وعيناهـــا

(٣) أنيس السابق ص ١٦٩ .

الاصيل والدخيل فيها ، وانما تتجاوز ذلك الى معرفة مواطن النبر في الكلمات العربية ، وسنعرض فيما يلي بايجاز لمعنى النبر والمقاطع الصوتية التي يقع عليها من الملامح الادائية في العربية الفصحى :

١ ـ النبر :

يعني النبر ابراز مقطع من المقاطع في الكلمة أو الجملة عن طريق قوة ضغط الهواء المصاحب للعملية الصوتية واستمراره وارتفاعه [1] ، ويلاحظ أن أعضاء النطق تكون أكثر نشاطا [2] عند النطق بهذا المقطع المنبور

النبر في اللغة العربية

لانستطيع الان تحديد المقاطع الصوتية التي يقع النبر عليها في العربية الفصحى القديمة لان قدماءنا لم يسجلوا ذلك ولكننا نستطيع على ضوء ملاحظة النطق في الفصحى المعاصرة أن نحدد مواطن النبر وذلك على النحو التالي :

١ ـ يقع النبر على المقاطع الطويلة في الكلمات التي تشتمل عليها أي أن الكلمات التي تحوي أي مقطع

---

(١) Heubel ; Taschenwörterbuch der Linguistik S.I8

(٢) قارن بانيس ، الاصوات اللغوية ص ١٧٠

من الانواع الرابع والخامس والسادس فان النبر فيهـــا يكون على هذه المقاطع فكلمة حَاجّ ، وَدَابَّة يكون النبر فيها على المقطع الاول أما الكلمات مُسْتَقِرّ ، نَسْتَعِين ضَالّ فان النبر فيها يكون على المقطع الاخيـــر

٢ ـ يقع النبر على المقطع الذى قبل الاخير اذا لــم يسبق بمقطعين متوالين من النوع الاول ولم يكـن الاخير طويلا مغلقا وذلك مثل المقطع الثانى فـى يُعَادِى أو شَارَكَ

٣ ـ اذا سبق المقطع الذى قبل الاخير بمقطعين أو بثلاثة مقاطع متوالية من النوع الاول فان النبر حينئذ يكون على المقطع الاول وذلك مثل نبر المقاطع الاولى فى الكلمات كَتَبَ ، فَرِحَ ، عَرَبَة (١)

ان هناك أنواع مختلفة من النبر منها : النبر الاساسى وهو الذى أشرنا الى مواضعه فيما سبق ، وهناك النبر الثانوى وهو الذى لا يبلغ معه نشاط أعضاء النطـق مبلغ نشاطها مع النبر الاساسى وذلك أنه حين تتعـدد

---

(١) انظر فى مواطن النبر وانواعه ووظائفه وأهمية دراسته ابراهيم أنيس ، الاصوات اللغوية ص ١٧٢ وما بعدها احمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى ص ٣٠٨ عبد الله ربيع وعبد العزيز علام ، علم الصوتيات ص٢٨٥ وما بعدها ، وقارن بـ Handbuch der Linguistik; S.I8

مقاطع الكلمة فان المتكلم قد يحتاج الى ابراز أكثر من مقطع وهنا نجد مقطعين منبورين ، أى أنهما يبرزان بصورة أكثر من غيرهما من المقاطع وهنا يسمى المقطع الذى هو اكثر نبرا بأنه موطن النبر الاساسى والثانى بأنه موطن النبر الثانوى وذلك كما فى عاشروهن بالمعروف حيث وقع النبر الاساسى على المقطع الذى قبل الاخير والثانوى على المقطع الاول ( الرابع قبل الاخير ) [1]

ان النبر هو من أهم الوحدات الصوتية الادائية Suprasegmental Phonems التى تقوم بوظائف مختلفة اذ يترتب على أختلافه فى كثير من اللغات اختلاف معانى الكلمات كمثال ذلك فى الالمانية أختلاف معنى damit عند نبر المقطع الاول عن معناها عند نبر المقطع الثانى [2] ، أما فى اللغة العربية فان للنبر وظائفه الصرفية والنحوية مثال ذلك أنك عندما تقول " ماعندى " فان الكلام يحتمل النفى والاثبات وفقا لاختلاف موضع النبر [3]

---

( ١ ) قارن بـ أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٣١٠
ويلاحظ هنا أننا قد اعتبرنا ضمير النسوة الغائبين ضمن مكونات الكلمة .

( ٢ ) انظر Handbuch der Linguistik S.I8

( ٣ ) انظر تفصيلا أكثر عن وظائف النبر فى العربية عند كل من أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى ص ٣١٠ وعبد الله ربيع وعبد العزيز علام ، علم الصوتيات ص ٢٩٢ .

٢ ـ المفصل

يعد المفصل أو الوقيفة الملمح الأدائي الوحيد الذي يميز بين الفاعل والمفعول به وذلك في قوله سبحانه ﴿ ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ حيث يصلح الضمير « هم » في كالوهم ، ووزنوهم لأن يكون مفعولاً به ولأن يكون فاعلاً ( بدل من واو الجماعة ) في المعنى ، وهذا الملمح هو ما يسمى بالـ « مفصل » Jancture « وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية مقطع آخر » (١) .

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ « والضمير في كالوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان : أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال :

ولقد جنيتك أكمؤاد عساقلا ... ولقد نهيتك عن بنات الأوبـر

والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ، ويصيد لك » وأن يكون على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون (٢) ، ولا يصح أن يكون ضميرا للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى

---

( ١ ) أسس علم اللغة ص ٩٥ ، وقارن بـ دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر ص ١٩٦ وقد ذكر ماريوباي أن بعض الكتاب قد ادعى أن اختلاف الدلالة لا يتكون من الوقفة بقدر ما يتكون من إعطاء قيم مختلفة للصوتات والصوامت ( في الأصل السواكن والطل ) وكذلك مخالفة التنغيم ، قلت وهذا الادعاء لا يقلل من قيمة هذا الملمح الأدائي في بيان المعنى النحوي إذ لا مشاحة في اجتماع أكثر من ملمح واحد لأداء نفس الوظيفة وقد ذكر الدكتور أحمد مختار أن هناك في ( بعض ) اللغات ثنائيات صغرى لا يميز الواحد عن الآخر إلا موضع المفصل ولذلك أسماه اللغويون « فونيم المفصل » .

( ٢ ) يفهم من كلام الزمخشري هنا أن الفعل « كال » ( وكذلك وزن ) لا يتعدى إلى المفعول ==

نظم فاسد ، وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك : إذا أخذوا من الناس استوفوا وإن تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا ، وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر ( للفعل ) [١] .

ثم ذكر الزمخشري أن هذا الوجه الأخير قد جاءت به القراءة إذ روي « عن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك ( أي الوجه الخطأ من وجهة نظره ) أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادوا » [٢] .

إن العبارة الأخيرة تبين بوضوح أن المفصل أو الوقيفة - بعبارة الزمخشري - يتغير بها المعنى النحوي للضمير « هم » وأن عيسى بن عمر وحمزة كانا يعرفان ذلك ويقصدان إليه ، وإذا كان الزمخشري قد اعترض على هذه القراءة ووصف القارئين بأنهما قد ارتكباها فإن علماء آخرين قد

---

= الثاني إلا بواسطة حرف الجر الذي قد يحذف فينصب المفعول على نزع الخافض وقد جاء في كتاب العين ( جـ ٥ ص ٤٠٦ ) أنه يتعدى إلى مفعولين من دون واسطة أو بواسطة اللام فيقال كلته طعاما بمعنى كلت له طعاما ، وجاء في الصحاح ( جـ ٥ ص ١٨١٤ ) أن هذا الفعل قد يتعدى إلى مفعول واحد فيقال : كلت الطعام كيلا ... وقد يتعدى إلى مفعولين فيقال : كلته ( الطعام ) بمعنى كلت له واستشهد بالآية الكريمة التي معنا ، وعبارة اللسان صريحة في جواز التعدي إلى المفعول الثاني بواسطة وبدون واسطة إذ جاء فيه ( ص ٣٩٦٨ ط . دار المعارف ) .. وكاله طعاما وكاله له ، ويبدو أن الاختلاف هنا يعود إلى اختلاف لهجي فكانت بعض اللهجات تعديها إلى المفعول الثاني من دون واسطة وهي لغة أهل الحجاز ويعدى بالواسطة في لغة غيرهم وقد نص على ذلك الإمام أبو الحسن الأخفش الذي قال عند تفسير هذه الآية « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » أي إذا كالوا الناس أو وزنوهم لأن أهل الحجاز يقولون : كلت زيداً ووزنته أي كلت له ووزنت له . انظر معاني القرآن للأخفش ٢ / ٥٣٣ .

( ١ ) الكشاف للزمخشري جـ ٤ ص ٢٣٠ .

( ٢ ) السابق ٤ / ٢٣١ .

نظروا إليها نظرة مغايرة ، وقد رد صاحب الإنصاف على الزمخشري قوله وذكر أن هذه القراءة « لا منافرة فيها ولا يجعل هذا القائل ( القارئ ) الضمير ( إذا كان مرفوعا ) إلا على عباشرة ولا إشعار أيضا فيه بذلك وإنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه : إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم كلام وأحسنه » [١] ، وقد أجاز علماء الإعراب القرآني الوجهين معا ، واقتصر علماء المعاني على الوجه الأول [٢] .

ولهذا السبب فقد حكم العلماء بالخطأ والفساد على من يجعل المفصل في غير موضعه لأن ذلك مما يتغير به المعنى النحوي مثال ذلك أنه « إذا

---

( ١ ) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٤ / ٢٣٠ ( مطبوع بهامش الكشاف ) .

( ٢ ) يقول العكبري ( إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٨٣ ) قوله تعالى كالوهم في « هم » وجهان أحدهما : هو ضمير مفعول متصل والتقدير كالوا لهم ، وقيل هذا الفعل يتعدى بنفسه تارة وبالحرف أخرى والمفعول هنا محذوف والتقدير كالوهم الطعام وعلى هذا لا يكتب كالوا ولا وزنوا بالألف ، والوجه الثاني أنه ضمير منفصل مؤكد لضمير الفاعل فعلى هذا يكتبان بالألف ، ويقول مكي بن أبي طالب ( مشكل إعراب القرآن ٢ / ٨٠٥ ) : يجوز أن يكون « هم » ضميرا مرفوعا مؤكدا للواو في كالوا ووزنوا فيكتب بالألف ، ويجوز أن يكون ضمير مفعول في موضع نصب بكالوا أو وزنوا فيكتب بغير الألف بعد الواو وهو في المصحف بغير ألف ، وقد ذكر ابن الأنباري نفس عبارة مكي إلا أنه قدم وجه النصب على وجه الرفع كما فعل العكبري ، انظر البيان في غريب اعراب القرآن ٢ / ٥٠٠ ، إن عبارة المؤلفين الثلاثة وهي في المصحف بغير ألف قد توحي بأن وجه الرفع مرجوح لعدم وجود هذه الألف في رسم المصحف الشريف ، بيد أن هذه الحجة ( وهي رسم المصحف ) لا يمكن الركون إليها « لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط » كما جاء في الكشاف ٤ / ٢٣١ ، أما أصحاب « معاني القرآن » مثل الأخفش والفراء وأبي عبيدة فلم يذكروا سوى قراءة الجماعة التي تتفق على المعنى الأول الذي ذكره الزمخشري ، انظر : معاني القرآن للأخفش ( الأوسط ) ٢ / ٥٣٢ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٨٩ ، معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ٣ / ٢٤٥ .

وصل القارئ آخر حرف في كلمة ما بعدها مثل الكاف في إنا أعطيناك « بـ « الكوثر » بما تحس معه أنه قطع الكاف من « أعطيناك » وصار نطقه « إنا أعطينا كالكوثر » فهذا خطأ تفسد به صلاته ، واستظهر بعضهم أنه إذا سكت على « أعطينا » فهذا خطأ على كل حال في النغمة أو النبر أو التزمين » (١) .

إن الوقيفة الممنوعة هنا تجعل الكاف حرف تشبيه وجر بدلا من معناها الأصلي وهو كونها ضميراً مفعولا به وتصريح العلماء بعدم جواز ذلك هنا دليل على إدراك القيمة النحوية لهذا الملمح الأدائي الذي يصحبه في الغالب تغيير في موضع النبر فعندما تقرأ « كالوهم » بقراءة الجمهور يكون النبر على المقطع « لو » ، أما في قراءة عيسى بن عمر وحمزة فإن النبر يكون على مقطع « كا » وهنا يجوز لنا أن نفترض وجود ملمحين أدائيين تضافرا لإبراز المعنى النحوي هما : النبر والمفصل ( أو الوقيفة ) (٢) .

لقد ذهب بعض الباحثين إلى وجود هذا الملمح الأدائي في العربية الفصحى باطراد فيما أسماه النحاة بالنعت المقطوع وقد مثل لذلك « بقراءة « الحمد لله ربٌّ العالمين » برفع لفظ الرب » (٣) ، الذي وجهه ابن الأنباري على

---

( ١ ) المدخل إلى فن الأداء للدكتور عبد الغفور جعفر ص ١٤٠ .

( ٢ ) انظر في وظيفة النبر على المستوى النحوي ، علم الصوتيات للدكتور عبد الله ربيع محمود ص ٢٧٨ ، وانظر نظام النبر وموقعه في نفس المرجع ص ٢٨٠ .

( ٣ ) يقول الدكتور أحمد مختار عمر ممثلا لفونيم المفصل من اللغة الفصحى « ( ومن ذلك ) قراءة الحمد لله ربٌّ العالمين ـ برفع ربّ ـ تدعي أنها كانت تقرأ : الحمد لله + ( وقفة قصيرة ) + رب العالمين وأن قراءة الجر كانت تقرأ : الحمد لله رب العالمين (بدون وقيفة ) ، ولم يتعرض الدكتور أحمد مختار لورود اللفظ منصوبا مع أنه أيضا من النعت المقطوع أو المنادى الذي حذفت فيه أداة النداء وكلاهما ينطبق عليه نفس الوصف .

أما المثال الآخر الذي ذكره فهو قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه      ليت ما بنا به      =

أنه خبر لمبتدأ محذوف وتقديره هو رب العالمين ، وينطبق هذا أيضا على حالة نصب للفظ « ربَّ » وتوجيهه أنه منصوب على المدح أو النداء (١) ، ومن الواضح هنا أن الوقيفة أو المفصل لم يشاركه النبر كما في « كالوهم أو وزنوهم » وإنما شاركته العلامة الإعرابية فأصبح المعنى النحوي مرتبطا بملمحين هما : العلامة الإعرابية والوقيفة بعد لفظ الجلالة .

إنه مما تنبغي الإشارة إليه هنا أن هذا الملمح الأدائي « المفصل أو الوقيفة » قد يؤدي وظيفة أخرى لا علاقة لها بالمجال النحوي ألا وهي الوظيفة الصوتية المتمثلة في منع تسهيل الهمزة نظراً لأن الوقيفة قبلها تجعلها في حكم الهمزة المبدوء بها وقد جاء ذلك في قراءة حمزة في قوله تعالى : ﴿ .. على كل شئ قدير ﴾ « حيث كان حمزة يسكت على الياء من شئ قبل الهمزة سكتة خفيفة ثم يهمز فيقول : « شي + ( وقيفة أو سكتة خفيفة )

---

= حيث نطق لفظ بنابه في الشطر الأول بدون وقيفة وفي الشطر الثاني بوقيفة بعد « نا » انظر في ذلك : دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٤ ، وقارن بـ « من وظائف الصوت اللغوي » للدكتور أحمد كشك ص ١٢٧ وقد عالج الدكتور كشك عدد من الأبواب النحوية في أطار ملمح التنغيم وذلك مثل النعت والتنغيم والنداء والتنغيم والاختصاص والتنغيم انظر ص ١٠٢ – ١١١ . وقد ربط الدكتور ابراهيم نجا بين التنغيم والمقام الخارجي وعرفه بأنه تنويع أداء المتكلم أو هو أرتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظرف المؤدى فيه الكلام ، انظر التجويد والأصوات ص ٧١ .

( ١ ) البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٣٤ ولم يشر ابن الأنباري إلى أن النصب أو الرفع قراءة . أما العكبري فقد نص على أن الأوجه الثلاثة الجر والرفع والنصب قد قرئ بها فقال : وجره على الصفة أو البدل وقرئ بالنصب على إضمار أعني وقيل على النداء وقرئ بالرفع على إضمار هو ، انظر إملاء ما من به الرحمن ١ / ٥ وقد أشار مكي أيضا إلى القراءة بالأوجه الثلاثة في مشكل إعراب القرآن ١ / ٦٨ ، أما في كلام العرب فقد أجاز سيبويه في هذا المثال ونحوه النصب على التعظيم والمدح « وإن شئت جعلته صفة ، وإن شئت قطعته فابتدأته وعلى ذلك فالأوجه الثلاثة جائزة في نحو قولهم الحمد لله الحميدُ هو ، والملك لله أهلِ الملك ، يقول سيبويه : إن شئت جردت ، وإن شئت نصبت ، وإن شئت ابتدأت » الكتاب ٢ / ٦٢ وربما كانتعبير سيبويه بالقطع في هذا الباب مرادفا للوقيفة في عبارة الزمخشري أو « المفصل » في الدرس اللغوي الحديث .

+ ءٍ قدير » ، وكذلك يسكت على اللام من الآخره والأرض والأسماء وما شابه ذلك وغيره من القراء يصل الياء من شئ بالهمزة واللام من الأرض وأخواتها بالهمزة بلا سكتة » [1] وقد احتج أبو علي الفارسي لهذه القراءة فقال : « الحجة لحمزة في ذلك أنه أراد بهذه الوقيفة التي وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها ، فجعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق ، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها ، ألا ترى أن أهل التخفيف لا يخففونها مبتدأة ، فكذلك هذه الوقيفة أذنت بتخفيفها لموافقتها بها صورة ما لا يخفف من الهمزات » [2] .

ونخلص من ذلك كله إلى أن اللغة العربية الفصحى قد استخدمت الملمح الأدائي المسمى بـ « المفصل » [3] واعتدت به ملمحا نحويا في بعض الأحيان وذا وظيفة صوتية في أحيان أخرى ، وأن العلماء العرب قد عرفوا هذه الحقيقة وفسروا بها بعض القراءات خاصة ما روي عن حمزة ، وقد اتضح أيضا أن هذا الملمح الأدائي قد يقترن ببعض الملامح الأخرى المهمة مثل العلامة الإعرابية أو النبر [4] .

---

( ١ ) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ١ / ٢٩٥ .

( ٢ ) السابق ١ / ٢٩٦ .

( ٣ ) قد يعبر أحيانا عن هذا الملمح الأدائي بالسكت وهو خلاف الوصل والوقف يقول صاحب « المدخل إلى فن الأداء » ( ص ١٣٨ ) : يجب السكت لحفص من الشاطبية - بدون تنفس - إذا لم تقف على ألف « عوجا » في « الكهف » ، و « مرقدنا » في « يس » ونون « من راق » في « القيامة » ، ولام « بل ران » في « المطففين » وزمنه بمقدار حركتين ، وقد سمي هذا أيضا بالقطع وأورد له ابن الجزري أمثلة عديدة انظرها مفصلة في « النشر » ١ / ١٤٧ وما بعدها ، وقد أطلق عليه الدكتور عبد الله ربيع مصطلح « الصفقات » التي تختلف عن الوقفات بأنها أقصر زمنا وأنها غير مصحوبة بتنفس . انظر علم الصوتيات ص ٢٩٢ .

( ٤ ) انظر في وظيفة النبر واختلاف اللغات في استعماله ملمحا نحويا أو ( فونيما يغير الصيغ أو المعاني ) الدكتور عبد الغفار هلال ، أصوات اللغة العربية ص ٦٢ .

٣ ـ التنغيم :

التنغيم من الوحدات الصوتية الأدائية ، وهو لغة مصدر نغّمت الكلام أى جعلت له نغمة والنغمة " جرس الكلمة وحسن الصوت فى القراءة ونحوها " (١) .

والمراد بالتنغيم اصطلاحا : تنويع أداء النغمات من حيث الحدة والغلظ ، وكما ذكرنا قبلا فان الحدة والغلظ يتوقفان على عدد الذبذبات الصوتية اذ كلما كان عدد الذبذبات كبيرا كانت النغمة حادة وكلما قل وصفت النغمة بأنها غليظة ومن هنا يكون تنويع النغمات فى الأداء امتثالا فى اتجاه المتكلم نحو الصعود أو الهبوط بأن يبدأ بنغمة حادة تعقبها غليظة أو العكس وربما قصد المتكلم الى أن يسوى بين هذه النغمات صعودا وهبوطا ، وينتج عن ذلك صور عديدة للتنغيم أهمها :

١ ـ التنغيم الصاعد : ويكون بأن يبدأ الكلام ( الكلمة ) بنغمة هابطة تتلوها أخرى صاعدة .

٢ ـ التنغيم الهابط : وذلك حين يبدأ المتكلم بنغمة صاعدة تعقبها نغمة هابطة .

٣ ـ التنغيم المستوى : وذلك يكون باستواء النغمتين صعودا أو هبوطا

٤ ـ التنغيم الصاعد الهابط : وذلك بأن تكون البداية هابطة يعقبها صعود يليه هبوط فى النغمة .

٥ ـ التنغيم الهابط الصاعد : ويتمثل ذلك فى أن يبدأ الكلام بنغمة صاعدة تليها نغمة هابطة ثم نغمة هابطة وهكذا .

---

(١) لسان العرب " نغم " ٩٠ ط دار المعارف .

وظائف التنغيم :

للتنغيم وظائف عديدة تختلف باختلاف اللغات ، فهناك لغات عديدة تعتمد على درجة النغمة الواحدة فى تحديد المعانى المعجمية فعندما تكون الدرجة حادة يكون معنى الكلمة مختلفا عنه عندما تكون غليظة أو متوسطة وتعرف اللغات التى تعتمد على ذلك بـ " اللغات النغمية " ومن ذلك على سبيل المثال اللغة الصينية الذى يعنى فيها المقطع "ما" بدرجة مستوية الصحيح : والدة ويعنى : حصان عندما ينطق بنغمة هابطة صاعدة [1] ، وينتمى كثير من لغات غرب افريقيا [2] وجنوب شرق آسيا إلى هذه المجموعة ، وهناك إلى جانب ذلك لغات أخرى عديدة لا تعتمد على درجة النغمة فى تحديد المعانى المعجمية وإنما يقتصر دور التنويع النغمى فيها على أداء الوظائف النحوية وخاصة ما يعرف من ذلك بالوظائف التركيبية للجملة من نحو كونها خبرا أو استفهاما أو تعجبا الى غير ذلك [3] . وقد يؤدى التنغيم بالاضافة

---

(١) انظر تفصيلا أكثر فى K. Kohler, Einführung in die Phonetik des Deutschen, 1 ...

(٢) انظر المثال الذى أورده الدكتور سعد مصلوح من لغة اليوربا وهى من لغات غرب افريقيا وهو كلمة " OKO " .

(٣) اطلق ابن فارس على هذه الوظائف مصطلح "معانى الكلام" . انظر الصاحبى ص ٢٨٩ وقارن بكتابنا دلالة السياق ص ٢٢٩ .

الى ذلك وظيفة التعبير عن المعانى الانفعالية من نحو الرضا والغضب والدهشة أو التحير الخ ، وتعرف هذه المجموعة من اللغـــات بـ "اللغات التنغيمية ، ومن أمثلتها العربية والانجليزية والألمانية .

ومن أمثلة ذلك فى اللغة العربية قولنا "العميد موجود "التى قد تكون تقريرا أو استفهاما أو تعجبا بحسب الاختلاف فى التنويع النغمى للجملة ، فاذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة تكون استفهامية واذا انطقت مستوية كانت تقريرية أو اخبارية ، واذا نطقت بنغمة هابطة صاعـــدة كانت دالة على الدهشة والتعجب .

---

(١) انظر أمثلة أخرى فى علم الصوتيات للدكتور عبد الله ربيع ص ٢٦٩ وأصوات اللغة العربية للدكتور عبد الغفار هلال ص ٢٧٥ .

## الفصــل الخامس
## علم الاصوات والأداء القرآنــي

### تمهيـد

لقــد كان الأداء القرآني على وجهه الصحيح من أهــم العوامل التى ساعدت على تقدم البحث الصوتى عند العرب ، وقــد اختصت البحوث التى قام بها أهل هذا الاداء باسم خاص هو علم التجويد، ولما كان الأداء القرآني يختلف أحيانا باختلاف القراءات القرآنية فانــه كثيرا ما نجد كتب القراءات تحوى أيضا بحوث علم التجويد ، ولعل كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى خير مثال لذلك ، بيد أننــا لانعدم فى كثير من الأحيان مؤلفات خاصة بعلم التجويد ، ومن أمثلــة ذلك كتاب " نهاية القول المفيد فى علم التجويد لمحمد مكى نصر [1] ، وقد اختص بعض الناظمين هذا العلم بمنظوماتهم التى تساعد الناشئين علــى الإلمام بمسائله وقضاياه ، ومن أمثلة ذلك تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجمزورى ، ومتن الجزرية للعلامة الجزرى الشافعى ، واغاثـــــة الملهوف فى عدد صفات الحروف للشيخ ابراهيم سعد [2] .

لعله من الخير قبل أن نعرض لبعض مسائل علم التجويد محاوليـــن

---

(١) طبع هذا الكتاب للمرة الاولى فى بولاق سنة ١٣٠٦ هـ ويتولى اعادة طبعه الان مكتبة الحلبى فى القاهــــرة .

(٢) طبعت هذه المنظومات الثلاثة فى القاهــرة سنة ١٣٧٣ هـ ( دار القاهــرة للطباعــة ) .

تفسيرها فى ضوء علم الأصوات الحديث أن نوضح مفهوم هذا العلم كما كان يراه أسلافنا من أهل الاداء القرآنى .

## علم التجويد

التجويد فى اللغة مصدر جوّد الشئ اى صيره جيّدا ، والجيّد ضد الردئ[1] واذا أضفنا التجويد الى القرآن الكريم كان معنى ذلك (لغويا) الاتيان بالقراءة مجودة الالفاظ ، بريئة من الرداة فى النطق[2] .

أما فى الاصطلاح فيعنى " تلاوة القرآن الكريم باعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفته[3] اللازمة له من جهر وهمس ، شدة ورخاوة ونحوها واعطاء كل حرف مستحقه مما يشاء من الصفات المذكورة كترقيق المستفل

---

(١) جاء فى اللسان ( ط . دار المعارف ) ص ٧٢٠ " الجيّد نقيض الردئ ، وجاد الشئ جودة وجودة أى صار جيدا ، وأجدت الشئ فجاد ، والتجويد مثله " وقد جاء فى المعجم الوسيط (١٤٥/١) جوَّدَ الشئ بمعنى أجَادَه "

(٢) النشر ٢١٠/١

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢٧٩/١ ، ويبدو أن التهانوى يشير بهذا الجزء من التعريف الى الخواص الرئيسية أو ما أسميناه بالصفات الفارقة التى تميز وحدة صوتية من وحدة صوتية أخرى ، ولعل مراده بالجزء التالى من التعريف وهو اعطاء كل حرف مستحقه مما يشاء من الصفات الخ .... تلك الصفات الثانوية التى تخضع غالبا لظروف السياق وهو ما أسميناه بالصفات الثانوية أو غير الفارقة .

وتفخيم المستعلى ونحوها ، ورد كل حرف الى أصله من غير تكلف .

وقد عرفه ابن الجزرى فى النشر بأنه " إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ورد الحرف الى مخرجه وأصله والحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا افراط ولا تكلف(١) ، وهذا التعريف أقرب الى الدقة فى نظرنا لانه يتضمن اشارة صريحة الى ما يعرض للصوت فى سياق الكلام اذ إن تلطيف النطق بالصوت على حال صيغته أى الصيغة الكلامية التى ورد فيها يعنى مراعاة الانسجام النطقى بين هذا الصوت وما يكتنفه من أصوات أخرى وقد أكد السيوطى فى الاتقان ( ١/١١١ ) هذا المعنى بقوله : " انه اذا أحكم القارىء النطق بكل حرف على حدته مُوَفّىٍ حقه فليُعْمِلْ نفسه بإحْكَامِهِ حالة التركيب لانه نشأ حالة التركيب ما لم يكن حالة الافراد بحسب ما يجاور الحروف من مجانس أو مقارب ... ثم ذكر أن من أحكم صحة التلفظ هنا ( أى فى حالة التركيب ) فقد حصل حقيقة التجويد .

إنه ليس من غرضنا فى هذه العجالة أن نأتى على جميع الأحكام الصوتية التى توصل إليها أهل الاداء القرآنى فلذلك مظانه المختلفة فى كتب القراءات والتجويد وسنكتفى فقط بذكر بعض هذه الاحكام محاولين تفسيرها فى ضوء معطيات علم الأصوات الحديث (٢) .

---

(١) النشر ١/٢١٢ وقد نقل السيوطى فى الاتقان هذا التعريف ونسبه الى القراء ، انظر الاتقان فى علوم القرآن ١/١٠٠ .

(٢) لقد سبقنا الى هذه المحاولة الدكتور ابراهيم انيس فى كتابه " الاصوات اللغوية " عندما تحدث عن المبررات الصوتية لنوعي =

# احكام النون الساكنه (١)

لقد جرت عادة المؤلفين أن يقرنوا النون الساكنه بالتنوين عند ما يذكرون الاحكام الادائية الخاصة بالنون الساكنة ولعل الذى دفعهم الى اعتبارهما شيئين لاشيئا واحدا هو مراعاة الفرق الوظيفى بين النون باعتبارها وحدة صوتية (Phoneme) تدخل فى بناء الكلمة مثلها فى ذلك مثل الباء أو الميم أو أى حرف آخر ، والنون الساكنة باعتبارها وحدة صرفية Morpheme ، أو بالاحرى وحدة صوتية وصرفية فى آن واحد Morphophonem (٢) وربما كان لطريقة الكتابة العربية دخل فى هذا الاعتبار اذ جعلت للنون عند ما تكون حرف مبنى أى عند ما تكون داخلة فى بناء الكلمة رمزا معينا ولم تجعل لنفس النون عند ما تكون حرف معنى أى عند ما تلحق أواخر الكلمات المعربة

---

== الادغام أى الادغام الصغير (اذا التقى الصوتان دون حركة تفصل بينهما) والادغام الكبير (اذا كان ثمت حركة بينهما) واستعرض الأمثلة القرآنية التى يجوز فيها هذا النوع أو ذاك من الإدغام (الأصوات اللغوية ١٨٨ ــ ٢٠٤ ط رابعة) وسنعرض هنا لبعض الاحكام التى لم يعرض لها الدكتور أنيس هناك

(١) نقصد بالنون الساكنة هنا ما يشمل نون التنوين واذا كان الفصل بينهما جائزا فى مجال الصرف أو النحو فليس الأمر كذلك فى مجال الأصوات .

(٢) المراد بالوحدة الصرفية ما يدل على معنى مستقل فى الكلمة مثل نون التنوين هذه اذ تدل عادة على التنكير ومثل أل الدالة على التعريف ، انظر فى هذه المصطلحات وغيرها كتابنا مدخل الى علم اللغة الحديث ص ١٢٠ وما بعدها .

للدلالة على التنكير أو غيره من الوظائف [1] أى رمز مستقل الا بأخر وعندما حدث ذلك كان رمز التنوين مختلفا كل الاختلاف عن الرمز الكتابى للنون [2] ، وربما كان السبب فى عدم تسجيل رمز كتابى لنون التنوين منذ البداية هو أن الكتابة العربية كانت تسجل الكلمات فى حالة الوقف لا فى حالة الوصل [3] ، ولما كانت نون التنوين هذه تسقط فى الوصل لم يخصوها برمز معين •

أما فيما يتعلق بالدرس الصوتى الحديث فانه لا يوجد فرق على الاطلاق فى الخصائص الصوتية لكلا نوعى النون أى النون الساكنه ونون التنوين ولهذا آثرنا أن نعالجهما معا كشىء واحد لا كشيئين مختلفين •

انه لحرى بنا قبل آن نعرض لاحكام النون الساكنه وهى فى السياق ان نعرض لصفاتها الفارقة distinctive fuetures وهى مجردة عنه مدى احتفاظها او فقدها لهذه الصفات أو بعضها، والسبب الصوتى الذى يدعو الى ذلك •

النون المفردة صوت أسنانى لثوى انفي مجهور وهذا يعنى ان لها صفات فارقة ثلاث هى :ــ

١ ــ كونها أسنانية لثوية وهذه صفه المخرج وتعنى آن عائق الهواء أو

---

(١) من وظائف التنوين فى العربية عدا التنكير وظائف التمكين والعوض والمقابلة

(٢) وقد حدث ذلك عندما وضعت رموز للضمة والفتحة والكسرة وكان رمز التنوين هو الفتحتان او الكسرتان بمعنى ان الفتحتين تعنيان ــ الفتحة + التنوين ، والكسرتين الكسرة + التنوين وهكذا أما فى الضمة فقد رمز للمضموم المنون برمز واو فوقها نون مقلوبة

(٣) انظر فى هذا Fischer; Handbuch der arabischen Dialekte. S.17

أو العقبة التى تعترض طريقه تتكون نتيجة اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا العليا .

٢ ـ كونها صوتا أنفيا ، وذلك أن الهواء عندما يعاق طريقه فى الفم فانه يجد متسربا له من الانف

٣ ـ كونها صوتا مجهورا لاهتزاز الاوتار الصوتية حين النطق بها .

## النون فى السياق

طلع النحاة وعلماء التجويد أحكام النون الساكنة أى أحوالها المختلفة وهى فى السياق أو فى التركيب[1] ، اشتراط سكون النون يعنى اتصالها مباشرا بما بعدها حيث لا يفصل بين هذه النون والصوت الذى يليها فاصل من حركة أو وقف وقد ذكر العلماء لهذه النون الساكنة غير الموقوف عليها أربعة أحوال أو أحكام هى :

## الحكم الاول ـ الاظهار[2] :

يعنى الاظهار احتفاظ النون بكل صفاتها الفارقة دون أدنى تأثر بالصوت الذى يليها ويكون ذلك بالاجماع اذا وليها صوت الهمزة أو الهاء

---

(١) سنذكر فيما يلى أحكام الميم الساكنة من خلال النص الذى اقتبسناه من كتاب النشر (انظر ص٢٦٣١) ، ولعل السبب فى اختصاص كل من الميم والنون بأحكام معينة فى السياق هو ما تنفردان به من صفة الانفية أو لما فيهما من الغنة

(٢) الاظهار هو اصطلاح أهل الاداء أما النحاة فيطلقون عليه اصطلاح " البيان " انظر سيبويه ، الكتاب ٤١٥/٢

أو العين أو الحاء ومن أمثلة ذلك الآيات الكريمة :

" وهم ينهون عنه وينأون عنه " ( الانعام ٢٦ )

" أولئك الذين أنعم الله عليهم " ( مريم ٥٨ )

" فصل لربك وانحر ( الكوثر ٢ )

" كل آمن بالله وملائكته .. " ( البقرة ٢٨٥ )

" على شفا جرف هار " ( التوبة ١٠٩ )

" والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم " ( النور ١١ )

" تنزيل من حكيم حميد " ( فصلت ٤٢ ) [1]

والسبب الصوتى الذى يدعو الى هذا الإظهار هو بعد ما بين المخرجين اذ الحروف الأربعة المذكورة مخرجها من الحنجرة ( الهمزة والهاء ) — ومن الحلق ( العين والحاء ) [2] وهما أبعد المخارج من النون ، وهناك سبب آخر هو أنه لا يترتب على إظهار النون ( وهو الاصل ) أدنى مشقة عند ما يليها أحد هذه الحروف اذ إن الهواء عند ما يعاق عند طرف اللسان وما يحاذيه من الحنك الاعلى فانه يرتد ليتسرب من التجويف الانفى فاذا أردنا بعد ذلك النطق بحرف حنجرى أو حلقى فان المنطقة التى يعاق فيها الهواء تكون خلف تجويف الانف فلا يحدث

---

( ١ ) تشير الارقام بعد أسماء السور الى ارقام الآى التى وردت فيها الامثلة ، وانظر أمثلة أخرى فى سراج القارئ المبتدئ ١٠١ ، والنشر ص ٢٢/٢

( ٢ ) وقد رأى القدماء أن الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء كلها حروف حلقية وهذا مبنى على التوسع فى مفهوم الحلق عندهم وقد كانوا مع ذلك يحسون بأن هناك فارقا من حيث المخرج بين هذه الحروف الستة فالهمزة والهاء من أقصى الحلق والعين والحاء من وسطه والغين والخاء من أدناه .

حينئذ أى نوع من التداخل بين الصوتين .

أما اذا ولى النون غين أو خاء وهما أيضا من حروف الحلق في اصطلاح القدماء [1] فقد أختلف فى حكم هذه النون اذ إن اكثر العرب يظهرونها على الاصل وبعضهم يخفيها [2] يقول سيبويه ( الكتاب ٢/٤١٥ ) :

" وتكون ( النون ) مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بَيِّنَةً ( اى مظهرة ) موضعها من الفم وذلك أن هذه الستة تباعدت من مخرج النون وليست من قبيلها فلم تخف ههنا ، كما لم تدغم فى هذا الموضع " ، وبعد أن ذكر أمثلة ذلك عقب بقوله :

" هذا الأجود الأكثر وبعض العرب يجرى الغين والخاء مجرى القاف " أى أنهم يخفون النون مع الغين والخاء كما يخفونها اذا وليتها القاف .

لقد كان ما سبق هو ما سجله النحاة عن الفصحاء من العرب ، أما موقف أهل الاداء والمقرئين فقد كان انعكاسا صادقا لذلك اذا اتفق جميع القراء على إظهار النون اذا وليتها همزة أو هاء أو عين أو حاء ، فاذا وليتها غين فى نحو قوله تعالى :

" ونزعنا ما فى صدورهم من غل " ( الحجر ٤٧ )

---

١ ـ أما المحدثون فيرون ـ بحق ـ أنهما من حروف أقصى الحنك وهى المنطقة المسماة بالطبق ( انظر جدول المخارج ص ١٢٧ .

(٢) انظر فى معنى الاخفاء ص ٢٠٩ وما بعدها .

أو خاء في نحو قوله عز وجل :

" وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ( البقرة ٢٧٢ )

فان جمهور القراء يظهرونها ولم يقرأ بالادغام سوى أبي جعفر [١]
كما نقل الإخفاء أيضا عن قالون راوية نافع قارئ أهل المدينة ، فاذا
عرفنا أن أبا جعفر كان أيضا من قراء المدينة استطعنا ونحن مطمئنون
أن نقرر أن أهل المدينة هم الذين أشار اليهم سيبويه بقوله :
وبعض العرب كانوا يجرون الخاء والغين مجرى القاف ( في الاخفاء )

لقد أوضح النحاة وأهل الاداء السبب الصوتي الذي يدعو الى
اخفاء النون عند بعض العرب وبعض القراء اذا وليتها غين أو خاء
وهو قرب مخرجها من اللسان [٢] وتشير الدراسات الصوتية الحديثة
الى أن مخرج هذين الصوتين هو الحنك الاقصى أو ما يسمى بالطبق
ومن ثم فهما من حروف الفم كالقاف ، بل هما أدخل في الفم من القاف
التي قيسا عليها عند القدماء [٣]

## الحكم الثاني ــ الإدْغَام :

الادغام مصدر أَدْغَمَ وقد يقال الادّغام مصدر ادَّغَمَ [٤] ، ويعني

---

( ١ ) أبو جعفر ونافع هم من الائمة العشرة أصحاب القراءات المشهورة والباقون هم ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف .

( ٢ ) انظر الكتاب سيبويه ( السطر الاخير وقارن بالنشر ٢ / ٢٣

( ٣ ) انظر الجدول ص ١٢٧ ، وقارن بكمال بشر علم اللغة العام ــ الاصوات ص ١٠٩ .

( ٤ ) الإدغام هو اصطلاح الكوفيين أما الادّغام بتشديد اللام =

لغـــة ادخال شيء في شيء [١] ، أما في اصطلاح النحويين والقراء فيعني " الباث الحرف في مخرجه مقدار الباث الحرفين في مخرجهما [٢]

ويرى ابن القاصح [٣] أن حقيقة الإدغام هي " أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك فتصيرهما حرفا واحدا مشددا يرتفع عنه اللسان ارتفاعةً واحدةً وهو بوزن حرفين " ويستنبط من جملة هذين التعريفين عدة أمور منها :

١ ـ أن الزمن الذي يستغرقه النطق بالحرف المدغم يساوي ضعف الزمن الذي يستغرقه النطق بالحرف غير المدغم

---

= فهو اصطلاح البصريين ـ انظر في ذلك : كشاف اصطلاحات الفنون ٢/٣٠٣ وشرح المفصل ١٠/١٢١

(١) انظر اللسان مادة دغم

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٢/٣٠٣ ، وقد نقل التهانوي هذا التعريف عن جارالله ( الزمخشري ) وينبغي أن يقيد هذا ـ الالباث بالحروف الصامتة حتى يندفع الاعتراض الذي ذكره التهانوي بأن حروف المد قد يطول زمن النطق بها في حالات معينة كما في لفظ السماء ، والحاقة ، أما الاعتراض بأن زمن النطق بالمشدد أقصر من زمان الحرف الواحد فليس بشيء حيث أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن الزمن يستغرقه النطق بالحرف المشدد يساوي أن لم يزد عن ضعف ما يستغرقه النطق بالحرف المفرد مثال ذلك أن النون المفردة في وسط الكلمة تستغرق من ٧٠ ـ ١٠٠ جزء من ألف من الثانية أما النون المضعفة ( المدغمة ) فانها تستغرق ما بين ٢٧٥ ـ ٣٣٠ ، انظر في ذلك S. Al-Ani; Arabic phonology . P.76

(٣) انظر سراج القارئ المبتدي لابن القاصح ص٣٣ ، وقارن بابن يعيش شرح المفصل ١٠/١٢١

٢ ـ اتحاد المخرج بين الحرفيين المدغم والمدغم فيـــه
٣ ـ عدم الفصل بالحركة ( او الوقف ) بين الحرفين
٤ ـ آن يعقب الحرف الثانى ( وهو المدغم فيه ) حركة ، اللهــم الا فى الوقف حيث لا يعقبة شئ لانه يمثل نهاية المقطع وذلـك كما فى الوقف على كلمة حاج ، وهذا لا يتنافى مع ما ذكروه من ضرورة الحركة فى المدغم فيه الاصل هنا هو الحركة والتسكين انما عرض للوقف .

## انواع الادغـــــام :

ينقسم الادغام الى ادغام كلى أو تام وإدغام جزئى أُو ناقـــص وفقا لقوة اندماج الصوت الاول فى الثانى بحيث إذا فقـد الصوت الاول كل خواصــه ليندمج فى الثانى كان هذا ادغاما كليـا ، آما اذا ـ احتفظ ببعض هذه الخواص وفقـد بعضها الاخر كان ذلك ادغاما جزئيا ويمكن على ضوء هذه الحقيقة أن نبين نوعى الادغام على النحو التـالى :

### الادغـــام الكلـــى

هو ما فقـد فيه الصوت الاول كل صفاته الفارقـــة

### الادغـــام الجزئـــى (١)

هو ما فقـد فيه الصوت الاول بعض صفاته الفارقة واحتـــفظ

(١) انظر فى مغنى المماثل والمقارب والمجانس ص ١٥٠ هامش ٣ ، وانظر فى معنى الادغام الكبير ، ابن الجزرى ، النشر ١/٢٧٤ وابن القاصح ، سراج القـارئ المبتدى ص ٣٣ .

ببعضها يندرج تحت هذا النوع الاخير ما يسمى بالإدغام مع الغنة (١) كما يشمل أيضا ما يسميه القراء والنحاة بالإخفاء وسنزيد هذا الامر ايضاحا فيما بعد .

أما يطلق عليه جمهور أهل الاداء اسم " الادغام الكبير " ويعنون به ادغام حرف متحرك فى مثله أو مقاربه أو مجانسه (٢) فليس نوعا خاصا لان حركة الحرف لابد من حذفها قبل عملية الادغام وذلك كقراءة أبى عمرو مناسكم ( مناسككم ) .

## ادغام النون

ذكر أهل الاداء أن النون تدغم اذا وليها أحد حروف كلمة " يرملون " أما ادغامها فى نون مثلها فهذا أمر طبيعى لا تختلف فيه النون عن أى صوت آخر اذ الشأن فى أى صوتين متماثلين أن يدغم الاول فى الثانى اذا التقيا بدون فاصل ، أما ادغامها مع الاصوات الخمسة الاخرى وهى الميم واللام والراء والياء والواو فبسبب التقارب

---

(١) استعمل بعض أهل الاداء مصطلح الادغام الكامل والادغام الناقص لما أسميناه بالادغام الكلى والادغام الجزئى ، وقد اعتبر بعضهم الادغام الناقص اخفاء وليس العكس انظر النشر ١/٢٨

(٢) وذلك كما فى ادغام النون فى حرف غير أَغَنّ كاللام والراء والواو والياء ، أما ادغامها مع حرف أغن اى مع نون مثلها أو ميم فان الادغام يكون بغنة وهو ادغام كامل حيث الغنة للحرف الثانى وليس للاول .

الشديد في النطق الناجم عن تقارب المخارج والاتحاد في معظم الصفات ويكون الادغام حينئذ نوط من المماثلة التي تحقق الانسجام الصوتي وتوفر المجهود العضلي الذي يبذله اللسان وينقسم ادغام النون في هذه الاصوات الى :

ادغام كامل

وذلك اذا تلتها نون مثلها أو ميم مثال ذلك قوله تعالى : " وان من شيء الا يسبح بحمده " ( الاسراء ٤٤ )

" خلقكم من نفس واحدة " ( الزمر ٦ )

" وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم " ( البقرة ٥٨ )

ويصحب هذا الادغام غنّة لان الحرف المدغم فيه وهو النون الثانية أو الميم من حروف الغنة ( أي من الاصوات الانفية ) وهذا موضع اتفاق بين جميع القراء وأهل العربية ويكون ادغام النون كاملا أيضا اذا تلاها أحد الحروف المتبقية وهي اللام والراء والياء والواو عند بعض القراء ، ويسمى ادغامها حينئذ ادغاما بغير غنة لزوال صفة الانفية عنها بعد الادغام وقد ذهب إلى هذا جمهور أهل الأداء والجلّة من أئمة التجويد [1] اذا اعقبتها اللام أو الراء في نحو قوله تعالى : " هدى للمتقين " ( البقرة ٢ )

وقوله عز من قائل : " فان لم تفعلوا " ( البقرة ٢٤ )

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٣ ، وقد نسبه الشاطبي في حرز الاماني الى القراء السبعة فقال :
وكلهم التنوين والنون ادغموا بلاغنة في اللام والرا ليجملا
( انظر سراج القارئ المبتدي ص ١٠١ )

وقوله سبحانه :
" كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا " ( البقرة ٢٥ )
وقد روى خلف عن حمزة [1] هذا الادغام الكامل أيضا
اذا تلتها الواو أو الياء وذلك فى نحو قوله تعالى :
" من يهدى الله فهو المهتد " ( الاسراء ٩٧ )
وقوله :
" فما لهم من دونه من وال " ( الرعد ١١ )

## الادغام الجزئى :

يقصد بالادغام الجزئى فى النون أن تحتفظ بأحدى صفاتها الفارقة وهى صفة الأنفية أو الغنة ويكون ذلك اذا تلتها واو أو ياء أو لام أو راء عند بعض القراء فمن حُكِيَ عنهم الادغام بغنة فى اللام والراء كثيرٌ من أئمة القراءة كنافع وابن كثير وسواهم [2]
أما الادغام بغنة فى الواو والياء فقد روى عن جميع القراء فيما عدا رواية خلف عن حمزة التى سبقت الاشارة اليها [3]
ان ادغام النون الساكنة فى الواو والياء لا يتأتى الا اذا كانا فى كلمتين كما فى الأمثلة السابقة أما اذا تعاقبا فى كلمة واحدة فيجب اظهار النون حتى لا يلتبسا بالمضعف ، وذلك كما فى دنيا ، صنوان

---

(١) النشر ٢٤/٢ ، وسراج القارئ ١٠١ (٢) النشر ٢٣/٢
(٣) اختلف النقل عن الكسائى فيما يتعلق بالغنة فروى ابو عثمان الضرير عن الدورى عن الكسائى الادغام بغير غنة فى الياء ، أما جعفر بن محمد فروى عنه تبقية الغنة كباقى القراء ، انظر النشر ٢٥/٢

وقد أجمع على هذا أهل الاداء والنحاة [1] ولم يرد في القران الكريم نون ساكنة تلتها ميم أو راء أو لام في كلمة واحدة ، أما في كلام العرب فقد وردت النون تلتها الميم في نحو شاة زنماء وقد ذكر النحاة وجوب اظهارها هنا ، أما النون الساكنة تليها الراء أو اللام فلم ترد في كلمة عربية أصيلة كما ذكر سيبويه ( انظر الكتاب ٤١٦/٢ )

## الحكم الثالث : الإخفاء

الإخفاء في اصطلاح القراء " حال بين الاظهار والادغام [2] ". واذا كنا قد عرفنا قبلا أن الاظهار يعني احتفاظ النون بكل خواصها وصفاتها الفارقة ، وان الادغام ( الكلي ) يعني اندماج النون فيما يليها وتخليها عن جملة هذه الصفات، فإن الاخفاء حينئذ يمكن تفسيره على أنه احتفاظ النون ببعض الصفات الفارقة وتخليها عن البعض الاخر ، واذا ذهبنا نلتمس ما تفقده من الصفات وما تحتفظ به منها في ضوء كتب التراث صادفنا على الفور ما ذكره شيخ النحاة اذ يقول في الكتاب : " وتكون ( النون ) مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم [3] " ويفهم من هذا احتفاظها بصفة الانفية أو بالغنة ولكنها تتخلى عن صفة المخرج الخاص بكونها صوتا أسنانيا

(٣) الكتاب ٤١٥/٢ ، وقارن بالمقتضب للمبرد ٣٥٣/١ .

(١) السابق ، نفس الصفحة ، وقارن بسراج القارى ص ١٠١ ، والكتاب لسيبويه ٤١٥/٢

(٢) النشر ٢٧٢/٢ ، سراج القارئ ١٠٢ ، شرح من الجزرية للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٢٧ وقد عرفه صاحب نهاية القول ص ٢٤ في علم التجويد بانه " النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الاظهار والادغام مع بقاء الغنة في الحرف الاول .

لثويا (١) ، أما فيما يتعلق بصفة الجهر وهى الصفة الأساسية الثالثة للنون فلم يعرض لها القدماء بصورة واضحة ، لكنه اذا كان يجوز لنـــا ان نفترض أن الإخفاء الذى تحدث عنه سيبويه كمعيار للفرق بين المجهور والمهموس (٢) هو نفس الإخفاء الذى يحدث مع النون فاننا نستطيع على ضوء ذلك أن نقرر أن النون الخفية تفقد كذلك صفة الجهر ولا يتبقــى منها سوى الغنة ، وقد اكدت الدراسات الحديثة صحة هذا الافتراض

---

(١) وقد صرح بذلك ابن يعيش اذ ذكر انها (أى النون) تخرج من الخيشوم لاعلاج على الفم فى اخراجها ، انظر شرح المفصل ١٢٦/١٠ ، وقارن بالنشــر ٢٠١/٢

(٢) ورد ذلك فى الرواية المنسوبة لابى الحسن الاخفش من أنـــه قال : سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال المهموس اذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك ، أما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه واخفى فقال : الا ترى كيف يمكن ذلك ، وكرر التاء والطاء وهما من مخرج التاء فلم يمكن " وقد عقب ابراهيم أنيس على هذه الرواية التى نقلها عن شرح السيرافى لكتاب سيبويه بقوله : ان الذى لم يكن يعرفه سيبويه هو أن الإخفاء معناه إسكات الذبذبات الصوتية الـــتى تحدث مع كل مجهور فى الوترين الصوتيين بالحنجرة ، ومـــتى سكتت أو انقطعت الذبذبات انقلب المجهور الى نظيره المهموس وذكر ايضا أن الإخفاء يمكن مع المهموسات دون أن تفقد معالمها ، اما الاخفاء مع المجهورات فيترتب علـــيه أن الحرف تضيع صفته المميزة ــ انظر الاصوات اللغويـــة ص ١٢٢ وما بعــــدها .

خاصة اذا تلا النون حرف مهموس من حروف الفم كالكاف أو التاء "اذا يلحق التهميس هنا الصامت الانفى (النون أو الميم) على هيئة احتكاك أنفى ، وذلك حسب نوعية الصامت اللاحق وخاصة فى الأداء القرآنى" (1) .

حروف الاخفاء

ذكر القدماء أن اخفاء النون الساكنة يتم اذا أعقبها حرف من حروف الفم ولم يذكر سيبويه تمثيلا لذلك الا ثلاثة أحرف هى الكاف والقاف والجيم فى نحو من كان ، من قال ، من جاء (2) كما مثل أيضا بالكلمتين منخل ، ومنغل لاخفاء النون عند بعض العرب وقد سبق أن أشرنا الى ذلك ( انظر ص ١٦٥ ) .

وقد تابع سيبويه جل النحاة العرب فى تقرير حكم الاخفاء للنون اذا وليها حرف من حروف الفم (3) كما أجمع على ذلك أهل الاداء

(١) باختصار وبعض تصرف عن سعد مصلوح " دراسة السمع والكلام ص ٢٠٧ ( نشر عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٠ ) ، وتجدر الاشارة هنا الى اننا مازلنا فى حاجة الى اجراء مزيد من البحوث ـ المعملية حتى يتضح لنا بصورة أكيدة ما اذا كانت النون تفقد أيضا صفة الجهر اذا سكنت ووليها حرف من حروف الفم .

(٢) الكتاب ٤١٥/٢ سطر ٧ ( ط. بولاق ) ، وانظر ايضا السطر الاخير فى نفس الصفحة .

(٣) انظر المقتضب ٣٥٠/١ ولم يمثل المبرد سوى للجيم والقاف والسين ، وقد ذهب الى عدم جواز الاخفاء مع الغين والخاء اما صاحب المفصل فقد ذكر أن النون تخفى مع خمسة عشر حرفا ولم يقيدها بكونها من الفم حيث ذكر أن الاظهار ==

القرآنـــى (١) والمقصود بحروف الفم هنا خمسة عشر حرفا ، ثمان مجهورات وهى القاف ( الفصحى ) ، والجيم والزاى والطـاء ( الفصحى ) (٢) ، والضاد والدال والذال ، وسبع مهموسات وهى الكاف ، والشين والسين والصـاد والتـاء والثـاء والفاء (٣) وقد جمع بعض الناظمين حروف الاخفاء الخمسة عشر فى أوائل كلمات البيت التالـــى :

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما

دم طيبا زد فى تقى ضع ظالمـــا

واذا أضفنا الى هذه الحروف الغين والخاء اللتين يخفيهما بعـــض العرب وبعض أهل الأداء فان حروف الاخفاء تصبح حينئذ سبعة عشـــر حرفا ، ونذكر فيما يلى بعض الأمثلة القرآنيـــة التى ورد فيها الاخفاء مع :

١ ــ القاف فى نحو قوله تعالى :

" انا الى ربنا لمنقلبـــــون " ( الاعراف ١٢٥ )

---

== يكون مع حروف الحلق ، والادغام مع حروف يرملون ، والاقلاب مع الباء والاخفاء مع سائر الحروف ، انظر شرح المفصل ١٠/١٤٥

(١) نقل هذا الإجماع محمد مكى نصر فى كتابه نهاية القول المفيد ص ١٢٤

(٢) قيدنا القاف والطاء هنا بالفصحى لانهما فى نطقنا المعاصـــر من المهموسات ولم يكونا كذلك قديما .

(٣) تساءل بعض الباحثين المحدثين عما اذا كانت النون اذ تلتهـا الفاء لا تتحول الى نوع من الميم لان الفاء حرف أسنانى شفوى ، ويبدو أن الاخفاء هنا ليس كالاخفاء مع سائر الحروف الاخـــرى اذ يسمع المرء هنا صوتا أقرب الى غنة الميم منه الى غنة النون ، انظر فى هذا Sibawaihi's Lautlehre, S. 61

٢ ـ الجيم في نحو قوله تعالى :

" قد أنجيناكم من عدوكم " ( طه : ٨٠ )

٣ ـ الزاى في نحو قوله تعالى :

" وأنزلنا من السماء ماء طهورا "( الفرقان:٤٨ )

٤ ـ الضاد في نحو قوله تعالى :

" وطلح منضود " ( الواقعة:٢٩ )

٥ ـ الظاء في نحو قوله تعالى :

" وندخلهم ظلا ظليلا " ( النساء : ٥٧ )

٦ ـ الدال في نحو قوله تعالى :

" وما من دابة في الارض الا على الله رزقها "(هود٦ )

٧ ـ الذال في نحو قوله تعالى :

" انما انت منذر من يخشاها " ( النازعات:٤٥ )

٨ ـ الطاء في نحو قوله تعالى :

" ما لكم لا تنطقون " ( الصافات:٩٢ )

٩ ـ الكاف في نحو قوله تعالى :

" وان منكم الا واردها (" ( مريم : ٧١ )

١٠ـ السين في نحو قوله تعالى :

" علم أن سيكون منكم مرضى " ( المزمل : ٢٠ )

١١ـ الشين في نحو قوله تعالى :

" ينشر لكم ربكم من رحمته " ( الكهف:١٦ )

١٢ـ الصاد في نحو قوله تعالى :

" ان ينصركم الله فلا غالب لكم " ( آل عمران : ١٦٠ )

١٣ ـ التاء فى نحو قوله تعالى :

" لهم جنات تجرى من تحتها الانهار " (آل عمران ١٩٨)

١٤ ـ الثاء فى نحو قوله تعالى :

" كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا " ( البقرة : ٢٥ )

١٥ ـ الفاء فى نحو قوله تعالى :

" انفروا خفافا وثقالا " ( التوبة : ٤١ )

هذا وقد سبق القول بأن القراءة بالإخفاء قد وردت عن أبى جعفر وقالون ( راوية نافع ) مع :

١٦ ـ الغين فى نحو قوله عز وجل :

" ونزعنا ما فى صدورهم من غل " ( الحجر ٤٧ )

١٧ ـ الخاء فى نحو قوله عز وجل :

" وجوه يومئذ خاشعة " ( الغاشية : ٢ )

---

## لماذ الاخفاء ؟

تحدث النحاة والقراء عن السبب الصوتى الذى يدعو إلى الاخفاء فى الأمثلة السابقة فقال سيبويه : " وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم وذلك أنها من حروف الفم وأصل الادغام لحروف الفم لانها أكثر الحروف ، فلما وصلوا الى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم الا يستعملوا ـ ألسنتهم الا مرة واحدة وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع

( أى الخياشيم ) كالعلم بها وهى من الفم لانه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها [1] فاختاروا الخفة اذ لم يكن لبس وكان أصل الادغام وكثرة الحروف للفم [2] وواضح من هذا النص أن سيبويه يعتبر الاخفاء نوعا من الادغام وان الذى دعا اليه هو التماس الخفة نظرا لكثرة دوران هذه الحروف واستعمالها فى الكلام ، وقد سوغ ذلك قرب مخرج هذه الحروف من مخرج النون ويتضح ذلك من قياسه لها على اللام فى قوله " وانما أخفيت النون فى حروف الفم كما أدغمت فى اللام [3] " فاذا ذهبنا نلتمس سبب ادغامها فى اللام وجدناه يقرر ان النون " تدغم فى اللام لانها قريبة منها على طرف اللسان " [4] ، ويمكن أن نستخلص من جملة ما ذكر صاحب الكتاب ما يلى :

١ ـ الاخفاء نوع من الادغام

٢ ـ أن سبب هذا النوع من الادغام هو التماس الخفة نظرا لكثرة استعمال حروف الفم

٣ ـ أن المسوغ الصوتى لهذا الادغام ( الجزئى ) هو القرب ( النسبى ) فى المخرج بين النون وهذه الحروف ـ وقد ترددت هذه الاراء بعد ذلك فى كتب النحويين وأهل الاداء [5]

---

(١) لعله يقصد بالموضع هنا طريق الخروج وهو مجرى الهواء والا ـ فان الميم تخرج أيضا من الخياشيم اذا كانت مخفاة

(٢) الكتاب ٤١٥/٢ سطر ٢ وما بعدها .

(٣) نفسه سطر ١٢ (٤) نفسه ٤١٤/٢ سطر ١١

(٥) انظر فى ذلك على سبيل المثال ، المبرد فى المقتضب ٣٥٠/١ وابن يعيش فى شرح المفصل ١٤٥/١٠ ، ابن الجزرى فى النشر ٢٦/٢

وهى آراء صحيحة فى جملتها إذ إنّ الإخفاء من وجهة النظر الصوتية الحديثة يمثل نوعاً من المماثلة الجزئية دعت اليها مراعاة الانسجام الصوتى بين حرفين متقاربين فى المخرج لأن النون " وان كانت من حروف اللسان — فبالغنة التى فيها ، التى خالطت الخياشيم اتصلت بجميع حروف الفم " كما يقول ابن عصفور [1] ، أما سبب ادغامها ادغاما كليا فى حروف " يرملون " [2] فان هذه الحروف وان كانت ايضا من الفم الا انها تتميز على سائر الحروف الفموية فى اشتراكها مع النون فى خاصية الوضوح السمعى الناجم عن كونها جميعا أصواتا مجهورة غير احتكاكية [3] وقد تنبه القدماء الى شىء من هذا عندما اعتبر بعضهم " اللام ، والنون ، والراء — والواو ، والياء " ضمن مجموعة أطلق عليها اسم الحروف المتوسطة [4] .

---

(١) الممتع فى التصريف لابن عصفور ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة جـ٢ ص ٧٠٠ط . رابعة . بيروت ١٩٧٩

(٢) سبق أن الإدغام الكلى يعنى ذهاب غنة النون المدغمة ، أما الغنة التى نلاحظها عند الادغام فى النون أو الميم فهى غنة النون أو الميم المدغم فيها .

(٣) يطلق بعض الباحثين على هذه المجموعة اسم " الانطلاقيات " غير المحتكة وهى تشمل الانطلاقيات الانفية ( الميم والنون ) والانطلاقيات الجانبية ( اللام ) ، الانطلاقيات اللمسية والمكررة ( الراء ) ، والانطلاقيات الانزلاقية ( الواو والياء ) .

(٤) تشمل هذه المجموعة الى جانب الحروف المذكورة العين والالف وقد جمعها ابن جنى فى عبارة " لم يرو عنا " انظر ، سر صناعة الاعراب ١/ ٦٩ .

## مراتب الاخفـــــاء

أشار بعض علماء التجويد الى أن الاخفاء ليس درجة واحـــدة ولعلهم يقصدون بذلك أن الزمن الذى تستغرقة غنة النون المخفـــاة تختلف باختلاف ما يليها من حروف الإخفاء التى تختلف فيما بينهـــا من حيث درجة قرب مخرجها من النون الساكنة ، وكلما ازداد القـــرب قصر زمن الغنة ، يقول صاحب نهاية القول المفيـــد [1] " ان حروف الاخفاء على ثلاث مراتب أقربها مخرجا الى النون ثلاثة أحرف هـــى : الطاء والدال والتاء ، وابعدها القـاف والكـاف [2] ، والاحرف الباقية متوسطة فى القرب والبعد وان الاخفاء على ثلاث مراتب أيضـــا فكل حرف هو أقرب الى النون يكون الاخفاء عنده أزيد وما قرب الى البعد يكون الاخفاء عنده دون ذلك [3] ، وما كان بعيدا يكون الاخفاء عنده أقل مما قبله فاخفاؤهما عند الاحرف الثلاثة الاول ( د ، ت ، ط ) اخفاء أعلى أى أن المخفى منهما ( أى النون الساكنة والتنوين ) عنـد هذه الأحرف اكثر من الباقى وغنتهما الباقية قليلة ، يعنى آن زمـــن امتداد الغنة قصير ، واخفاؤهما عند القاف والكاف اخفاء أدنى أى أن الغنة طويلة ، واخفاؤهما عند الاحرف الباقية اخفاء أوسط وزمان غنتها متوسط [4]

---

( ١ ) وذلك نقلا عن المرعشى الذى نقل ذلك عن ابن الجزرى ، ولم نعثر على ذلك فى " النشر " ، ولعله قد ذكره فى " التمهيد "

( ٢ ) قلت : والغين والخاء عند من أخفاهما من القراء

( ٣ ) وذلك مثل الجيم والياء والشين

( ٤ ) انظر نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ١٢٥

ويتلخص من ذلك أن مراتب الإخفاء هى :

١ ـ إخفاء أعلى ، ويكون مع أقرب حروف الفم الى النون ( الدال والتاء والطاء ) ويكون الزمن الذى تستغرقه الغنة أقل ما يكون .

٢ ـ اخفاء أدنى ويكون مع أبعد الحروف عن النون ( القاف والكاف والغين والخاء ) ويكون الزمن الذى تستغرقه الغنة أطول ما يكون

٣ ـ اخفاء أوسط ، ويكون مع باقى حروف الاخفاء ويكون زمن الغنة متوسطا بين القصر والطول [1] .

اننا نستطيع فى ضوء معارفنا الصوتية الحديثة أن نحدد هذا الزمن تحديدا دقيقا اذا عرفنا " أن الغنة تتفق فى التوقيت مع وضع اللسان فى مخرج حرف الفم الذى يأتى بعد النون واطالة زمن النطق بهذا الحرف المصاحب للغنة حتى يصير بمقدار حرفين أولهما ساكن والثانى متحرك [2] ولما كانت المدد التى تستغرقها الحروف التالية للنون مختلفة فان الزمن الذى تستغرقه النون المخفاة مع ما يليها لابد وأن يختلف كذلك [2] فاذا عرفنا أن نطق الكاف اليوم

---

(١) العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص ٢٨٨

(٢) قدر صاحب نهاية القول المفيد ( ص ١٢٥ ) هذه المدد بقوله " لو قلنا ان أعلاها قدر ألف وأدناها قدر ثلث الف وأوسطها قدر ثلثى ألف لاصبنا الحق ـ أو قربنا منه .

مثلا يستغرق زمنا متوسطا قدره ١٢٠ جزءا من ألف من الثانية وأن النون المفردة تستغرق فى المتوسط حوالى ٨٥ جزءا فان الغنة حينئذ تستغرق حوالى ٢٠٥ جزءا من ألف من الثانية[1] ويجب أن نضيف من الوجهة النظرية البحتة ـ أن هذا الزمن الذى تستغرقه الغنة لا يتوقف فقط على مدى القرب أو البعد من مخرج النون وانما يتوقف كذلك على نوع الحرف الذى يليها من حيث الصفة أيضا [2] ، ويجب ان نؤكد هنا أن القراءة ـ موقوفة على السماع والتلقى من أفواه المجيدين ، وأن الدرس الصوتى الحديث مبنى فى الغالب على النطق المعاصر الذى قد يختلف الى حد كبير او قليل ـ عن النطق الصحيح الذى تناقله أهل الاداء جيلا عن جيل عن المصطفى صلى الله عليه وسلم

وقبل أن نختم حديثنا عن الاخفاء نود الاشارة الى انه يوجد بين علماء الأداء من يعتبر الادغام بغنة ( فى غير الميم والنون ) ، نوعا من الاخفاء[3] ، وقد سبق أن ذكرنا أن هناك من يعتبر الاخفاء نوعا من الادغام ، وهذه مسألة اصطلاح لا اكثر

---

(١) انظر فى المدد التى يستغرقها نطق الحروف العربية المختلفة
S. Al- Ani; Arabic phonology . P.76 FF

(٢) من حيث كونه شديدا او رخوا ، مجهورا أو مهموسا ، مكررا أو جانبيا او لينا ، ونحو ذلك ، وقد نقل صاحب النهاية عمن تلقى عنهم من مشايخه وعن العلماء المتقنين أن الغنة لا تزيد ولا تنقص عن مقدار حركتين ( مثل قبض الاصبع وبسطة ) كالمد الطبيعى .

(٣) انظر النشر ٢/٢٨

اما فى حقيقة الامـــر فان كلا من الادغام بغنة والاخفاء كلاهمـــا يمثلان من الوجهة الصوتية نوعا واحدا وهو المماثلة الجزئية وان شئت قلت الادغام الجزئى الذى دعت اليه ضرورة انسجام النطق بالنون مع ما يجاورها من اصوات الفم .

---

## الحكم الرابـــع : الإقـــلاب

الاقـــلاب هو مصطلح أهل الاداء ويرادفه عنـد النحاة مصطلحات أخرى أشهرها القلب والابدال ، ويقصـد به هنـــا " قلب النون الساكنـة " ميما مخفاة قبل الباء مع بقاء الغنـــة الظاهرة " (١) ويبدو أن هذه الغنة هى غنة الميم لا غنة النون وقـد نُقِل اجماع القراء على ذلك (٢) ومن أمثلته فى القرآن الكريم قوله سبحانه " يا ادم أنبئهم بأسمائهم " ( البقرة : ٣٣ ) ، قوله سبحانه " ونودى أن بورك من فى النار ومن حولها " ( النمل ٨ ) وقوله عز وجل " سميع بصـــير " ( الحج : ٦١ ) .

وقد دعا الى هذا النوع من القلب أى ابدال النون ميما عندما تليها ياء ما يعرف بظاهـــرة المماثلة Assimilation وذلك أن النون حرف أسنانى لثوى أنفى أما الباء فحرف شفوى شديد

---

(١) نهاية القول المفيد ص ١٢٢ ، وقارن بالنشر ٢ / ٢٦

(٢) انظر المرجعين السابقين ، نفس الصفحات ، وقارن بسراج القارئ ص ١٠٢ .

فلما ارادوا تقريبها منها ويحافظوا فى نفس الوقت على أهم خواصها وهى الغنة أبدلوها حرفا يجمع بين صفة النون ( وهى الانفية ) وصفة الباء ( وهى الشفوية ) وذلك الحرف هو الميم وقد سبق أن هذه الميم مخفاة بمعنى أن عضوى النطق وهما هنا الشفتان لاتعملان سوى مرة واحدة لحجز الهواء كى يمر من الانف وقد تحدثنا عن ظاهرة الاخفاء قبلا بما يغنى عن الاعادة هنا.

أحكام الميم الساكنة :

للميم الساكنة أحكام ثلاثة هى : الادغام والاخفاء والاظهار وقد فصل ابن الجزرى [1] فى كتابه النشر هذه الأحوال الثلاثة وبين مواضعها ومواقف القراء منها ومثل لها على النحو الذى نورده فيما يلى : " وأما اذا كان ( صوت الميم ساكنا فله أحكام ثلاثة :

الأول – الادغام :

بالغنة عند ميم مثله كادغام النون الساكنة عند الميم ويطلق ذلك فى كل ميم مشددة نحو : دمر ، ويعمر ، وحمالة ، حم ، والم

---

(١) ابن الجزرى هو الامام الحجة أبو الخير محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى مؤلف كتاب النشر فى القراءات العشر وكتاب غاية النهاية فى طبقات القراء وقد أخذنا النص الذى أثبتناه عنه فى المتن من ج ١ ص ٢٢٢ من كتاب النشر .

وهم ، أم من أسس .

## الثانـــى ـ الاخفــاء

عند الباء على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الدانى وغيره مـن المحققين . وذلك مذهب ابى بكر بن مجاهد وغيره . وهو الذى عليه أهل الاداء بمصر والشام والاندلس وسائر البلاد الغربية وذلـك نحو : يعتصم بالله ، ورسهم بهم ، يوم هم بارزون . فتظهر الغنة فيها اذ ذاك كاظهارها بعد القلب فى نحو : من بعـد ، أنبئهم بأسمائهم ، وقد ذهب جماعة كأبى الحسن أحمد بن المنادى وغيره الى اظهارها عندها اظهارا تاما وهو اختيار مكى القيسى وغيره .
وهو الذى عليه أهل الاداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية .
وحكى أحمد بن يعقوب التائب اجماع القراء عليه ( قلت ) والوجهان صحيحان مأخوذ بهما الا ان الاخفاء أولى للاجماع على اخفائهــا عند القلب . وعلى اخفائها فى مذهب أبى عمرو حالة الادغام فى نحو أعلم بالشاكرين .

## الثالـث : ( الاظهـــار )

أظهارها عند باقى الاحرف نحو : الحمد وانعمت ، وهم يوقنون ولهم عذاب ، انهم هم ، عليهم ، أأنذرتهم ، معكم أنما ، ولاسيما اذا أتى بعدها فاء أو واو فليعتن باظهارها لئلا يسبق اللسان الـى الاخفاء لقرب المخرجين نحو : هم فيها ويمدهم فى ، عليهم ولا أنفسهم وما ... فيتعمل اللسان عندهما مالا يتعمل فى غيرهما .

## المـــد والقصـــر

ان الاحكام الاذائية الخاصة بالمد والقصر من أهم الاحكـــام التجويدية التي يؤدى الالمام بها واتقانها من الوجهتين النظريـــة والتطبيقية الى التلاوة الحقة والترتيل الصحيح لآى الذكر الحكيم كمـا تلقاه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن أمين الوحى عـن رب العزة عز وجل ، والاصل فى هذا الباب ما روى عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ من أنه كان يقرئ رجلا ، فقرأ الرجل : " انما الصدقات للفقراء والمساكين .. " مرسلة أى مقصورة فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ( الرجل ) : كيـــف اقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : " انما الصدقـــات للفقراء والمساكين .. " فمدها " (١) .

يقول ابن الجزرى :

المـد فى هذا الباب هو عبارة عن زيادة مط فى حرف المد على المد الطبيعى وهو الذى لا تقوم ذات حرف المد دونه .

والقصر : عبارة عن ترك تلك الزيادة وابقاء المد الطبيعـــى على حاله " (٢)

---

(١) روى ابن الجزرى هذا الحديث فى النشر ١/٣١٥ وعقـب عليه بقوله : هذا حديث جليل حجة ونص فى هذا الباب ، ورجال اسناده ثقاة . رواه الطبرانى فى معجمه الكبير .

(٢) النشر ١/٣١٣ .

وتشير عبارة ابن الجزرى بوضوح الى أن للمد فى غير هـذا الباب معنى آخر كما تشير الى أن المد الطبيعى يرادف القصر فى هذا الباب ، وقبل أن نتحدث عن الأحكام الآدائية المتعلقة بالمد والقصر وأسباب كل منهما ومواضعه وأمثلته عند علماء الأداء يجدر بنا أن نشير بايجاز الى الأحوال المختلفة التى تعرض لحروف المد فى السياقات التى ترد فيها كما سنعرض للصفات الاساسية أو الفارقة لهذه الأحرف مفردة حيث ان ما يعرف عند علماء الأداء بالمد لا يعدو أن يكون صفة ثانوية لهذا النوع من المصوتات ترتبط بظروف السياق .

## حروف المد فى اللغة العربية :

حروف المد ثلاثة هى الألف والواو (الساكنة المضموم ما قبلها ) والياء ( الساكنة المكسور ما قبلها ) وهى تنتمى جميعا الى صنف الحركات وتشكل نوعا خاصا منها هو ما يعرف بالحركات الطوال ، أما الحركات القصار فهى الفتحة والضمة والكسرة ، والعلاقة بين النوعين أى الحركات القصار ( الفتحة والكسرة والضمة ) والحركات الطوال ( أى ألف المد وواوه وياؤه ) لا تعدو أن تكون علاقة كمية ترتبط بالزمن الذى يستغرقه نطق كل منهما وفيما عدا ذلك فان وضع اللسان والشفتين يظل كما هو فاذا كانت الضمة على سبيل المثال حركة خلفية ضيقة مستديرة تتصف بالقصر فان واو المد التى هى من جنسها توصف بأنها أيضا حركة خلفية ضيقة مستديرة ولكنها تتصف بالطول وهكذا بالنسبة للفتحة وألف المد والكسرة وياء المد .

ونجمل فيما يلى الصفات الأساسية للحركات العربية من الناحية الصوتية[(١)] ( خاصة ما يتعلق من ذلك بوضع اللسان والشفتين ) ٠

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| الفتحة المرققة | حركة | أمامية | متسعة | محايدة | قصيرة |
| ألف المد المرققة | " | " | " | " | طويلة |
| الفتحة المفخمة | " | خلفية | " | " | قصيرة |
| ألف المد المفخمة | " | " | " | " | طويلة |
| الكسرة | " | أمامية | ضيقة | منفرجة | قصيرة |
| ياء المد | " | " | " | " | طويلة |
| الضمة | " | خلفية | ضيقة | مستديرة | قصيرة |
| واو المد | " | " | " | " | طويلة [(٢)] |

لقد سبق اللغويون العرب الى معرفة العلاقة الكمية بين الحركات ( القصار ) وحروف المد ، وقرر أبو الفتح بن جنى " أن المفتوح هـــو

---

(١) أما من الناحية الفونولوجية فان الحركات العربية تعد ستا فقط حيث ان التفخيم والترقيق فى كل من الفتحة والألف لا يترتب عليه أى أثر دلالى وانما تكون الفتحة وألف المد مفخمين اذا جاءا بعد حرف من حروف الاستعلاء ( خص ضغط قظ )وكذلك بعد اللام والراء فى مواضع معينة ٠

(٢) اكتفينا بتحديد الخصائص النطقية المتعلقة بوضع اللســـان والشفتين وكذلك بالزمن المستغرق فى النطق ،وهناك صفات أخرى تتعلق بالناحية الفيزيائية مثل التضام والانتشار ، وقد عالجنا هذا الموضوع بتفصيل أكثر فى بحثنا عن " المصوتـات العربية فى ضوء نظرية الصفات الفارقة " فى العدد التاسع من حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩١م ٠

الذى اذا أشبعت حركته حدثت عنها ألف والمكسور هو الذى اذ اأشبعت حركته حدثت عنها ياء .. والمضموم هو الذى اذا أشبعت حركته حدثت عنها واو .. وهذه الأحرف اللائى يحدثن لاشباع الحركات لا يكن الا سواكن لأنهن مدات والمدات لا يتحركن أبدا (سر الصناعة ١/ ٣١) .

لقد أصل المحدثون من الصوتيين العرب ما ذهب اليه ابن جنى وغيره من القدماء باستعمال طرق القياس الحديثة التى أكدت هذه العلاقة الكمية بين كل حركة قصيرة وما يناظرها من حروف المد ، وقد بلغ متوسط الزمن الذى يستغرقه نطق الحركة من ١٠٠ الى ١٥٠ جزء من ألف من الثانية ، أما حرف المد فان نطقه يستغرق من ٢٢٥ الى ٣٥٠ من الثانية ، ويدل هذا على أن الكمية الزمنية التى يستغرقها نطق الحركة القصيرة يساوى تقريبا نصف ما يستغرقه نطق الحركة الطويلة [١] .

الحركات العربية فى السياق :

قد يعرض للحركات العربية قصارا كن أو طوالا فى السياقات المختلفة ما يجعل الحركات القصار أكثر قصرا وما يجعل الحركات الطوال أكثر طولا ومن ثم تكون الزيادة فى القِصَر بالنسبة للحركات القصار أى الفتحة والكسرة والضمة ، والزيادة فى الطول بالنسبة لحروف

---

(١) انظر AL ʿany, Arabic phonologie P.75

المد من الصفات الثانوية التى لا تؤدى وظيفة دلالية ويطلق على الحالة الأولى مصطلح الاختلاس أو الروم [١] وعلى الثانية مصطلح المطل أو المد [٢] .

ومن الأمور التى تعرض للحركات العربية أن تفقد — فى بعض السياقات — صفة أو أكثر من صفاتها الفارقة وهنا تتغير ملامحها وتصبح حركة أخرى ، وذلك كأن تفقد الألف أو الفتحة صفة الاتساع فتصبح امالة شديدة أو خفيفة أو بين بين وقد تفقد الألف صفة الطول فتصبح فتحة ، والأمر كذلك بالنسبة للكسرة والضمة اللتين قد تفقدان صفة القصر فيتحولان الى حرفى مد ويطلق على هذه الظاهرة مصطلح مطل الحركات كما فى أنظور بدلا من أن " أنظر " وقمين بدلا من " قمن " وقد يحدث العكس بأن يفقد حرف المد صفة الطول فيتحول الى نظيره من الحركات القصار وذلك كما فى " ابراهم " بدلا من ابراهيم و ( دَرْهِن " بدلا من دفين (٣) .

---

(١) عرف علماء الأداء الروم بأنه " اذهاب الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها " وهى حركة غير تامة ولا تكون الا فى الوقف على المرفوع والمجرور والجزء الذاهب من الحركة أكثر من الجزء الباقى . أما الاختلاس فهو أيضا اذهاب بعض الحركة بحيث يكون الذاهب من الحركة أقل مما تبقى منها وهو يكون فى الحركات الثلاث ويأتى وصلا ووقفا .
انظر نهاية القول المفيد ص ٢١٨ .

(٢) المطل هو اصطلاح أهل العربية والمد أو المد الفرعى هو اصطلاح أهل الأداء .

(٣) وردت هذه الصيغ فى ضرورة الشعر . انظر أمثلة ذلك فى القافية وأصوات اللغة للدكتور عونى عبد الرؤوف ص ١٥٢ .

والخلاصة أن الفتحة والكسرة والضمة قد يعرض لها في السياقات المختلفة ما يجعلها أكثر قصرا ( الروم والاختلاس ) أو ما يجعلها تتحول لحرف مد ( مطل الحركة ) أما الألف فانه يعرض لها في بعض السياقات ما يجعلها تفقد صفة الاتساع فتتحول الى حركة ممالة ، وقد يعرض لها ولأختيها الواو والياء في سياقات أخرى ما يجعلهن أكثر قصرا فيتحولن الى الحركات القصار وذلك اما لضرورة الشعر واما لالتقاء كل منهما بساكن في كلمة أخرى وهو ما يعرف بـ " حذف حرف المد " أو تقصيره ، وقد يعرض لهن ما يجعلهن أكثر طولا وهو ما يعرف بالمد أو المد الفرعي عند علماء الأداء وهذا ما نعرض له في الفقرة التالية .

المد والقصر عند علماء الأداء :

ذكر صاحب نهاية القول المفيد أن المد " في اصطلاح القراء اطالة الصوت بحرف من حروف المد " [1] وأن القصر في هذا " الاصطلاح اثبات حرف المد من غير زيادة عليه " [2] .

وقد سبق أن ذكرنا ما قاله ابن الجزري من أن المد " في هذا الباب هو عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي وأن القصر عبارة عن ترك تلك الزيادة وابقاء المد الطبيعي على

---

(١) نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ محمد مكي نصر ص ١٢٩ .

(٢) السابق ، نفس الصفحة .

حاله " (١) .

لقد أحس علماء الأداء أن تناولهم لظاهرة مطل حروف المد وزيادتها على المد الطبيعى تحت عنوان " المد " قد يؤدى الى لبس — وهو بالفعل كذلك — بين المد الذى هو الفارق بين الحركة القصيرة ونظيرتها من الحركات الطوال ، والمد الذى هو زيادة عن مقدار الحركة الطويلة العادية ولذلك أضافوا صفة للنوع الأخير فأطلقوا عليه المد الفرعى كما أضافوا صفة للنوع الأول فأطلقوا عليه " المد الطبيعى " وجعلوا مصطلح المد الطبيعى مرادفا لمصطلح القصر فى هذا الباب وعلى ذلك فاننا لا نجد بأسا من استخدام مصطلح " المطل " الذى استعمله ابن جنى لندل به على ما يطلقون عليه " المد " أحيانا و " المد الفرعى " أحيانا أخرى ، كما لا نرى بأسا من ابقاء مصطلح القصر للدلالة على ما يطلقون عليه المد الأصلى أو الطبيعى على أن يكون واضحا أنه يختلف تماما عن مصطلح " التقصير " الذى يراد به هنا إنقاص حرف المد بحيث يتحول من حركة طويلة الى حركة قصيرة كما فى تحول واو المد فى " ندعو " الى ضمة فى مثل قوله تعالى : " سندعُ الزبانية " وهنا سنستخدم المصطلحات الآتية :

١- المطل : وهو زيادة المط فى حرف المد وهو يرادف المد الفرعى أو المد ( فقط ) أو المد غير الطبيعى عند أهل الأداء .

---

(١) النشر ١/٣١٣

٢ـ القصر : وهو الابقاء على حرف المد دون زيادة وهو يرادف المد الطبيعى أو الأصلى ٠

٣ـ التقصير وهو انقاص زمن النطق بحرف المد حتى يتحول الى الحركة القصيرة المجانسة له [1] ٠

٤ـ التطويل ونريد به هنا زيادة فى الحركة القصيرة تتحول بها الى حرف من حروف المد [2] ولم يرد مثل هذا النوع فى القرآن الكريم ٠

## أسباب المطل ( المد الفرعى )

لما كان المد الطبيعى أو القصر فى اصطلاح علماء الأداء هو النطق بحروف المد كما هى دون زيادة أو نقصان ، ذلك أن صاحب الطبيعة السليمة لا يُنقِصه عن حده ، ولا يزيد عليه لم يحتج ذلك الى سبب وذلك بخلاف المد الفرعى الذى يزيد عن ذلك المد الطبيعى لشىء أوجبه ودعا اليه ويتمثل ذلك فى أسباب معنوية وأخرى لفظية ٠

### الأسباب المعنوية :

تتلخص الأسباب المعنوية للمطل فى أمرين : أحدهما إظهار

---

(١) لم يتحدث علماء الأداء القرآنى عن هذا الذى أسميناه التقصير حيث انه مظاهر من مظاهر الضرورة الشعرية ولا ضرورة فى القرآن الكريم ٠

(٢) ولهذا النوع أمثلة كثيرة أشار اليها ابن جنى تحت ما أسماه مطل الحركات مثل أنظور فى أنظر (الخصائص ٣/ ١٢٣ وما بعدها ) ولم يرد هذا النوع فى القرآن الكريم ٠

التعظيم والآخر تأكيد النفى ويطلق على النوع الأول مد المبالغة وذلك كما فى مطل الألف فى " لا إله إلا الله " ولا إله إلا هو " وذلك عند من يقصرون حرف المد اذا التقت به الهمزة فى كلمة أخرى ، أما الثانى فيطلق عليه مد التبرئة وذلك كما فى مطل الألف فى قوله سبحانه : " لا ريبَ فيه " ، " لا شِيَةَ فيها " (١) .

الأسباب اللغوية :

تنحصر الأسباب اللغوية للمطل فى أمرين هما أن يأتى بعد حرف المد همزة أو حرف ساكن للتضعيف أو الوقف فى نفس الكلمة .

وقد علل الصوتيون العرب لذلك " بأن الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه فاذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهن نحوه طالت وشعن فى الصوت ، فوفين له وزدن فى بيانه ومكانه وليس كذلك اذا وقع بعدهن غيرها ( الهمزة ) وغير المشدد " (٢) ووَجَّهَ ذلك علماء الأداء بـ " أن أحرف المد خفية

---

(١) أشار الصوتيون العرب الى سبب معنوى آخر لمطل حروف المد هو أن يوقف عليها عند التذكر وذلك كأن تريد أن تقول أخواك ضربا محمدا فتنسى كلمة محمدا وتقول " أخواك ضربا " وهنا يجب أن تمطل الألف وتزيد فى مدها يقول ابن جنى (الخصائص ٣/١٢٨ ) وانما مطلت هذه الأحرف فى الوقف وعند التذكر من قبل أنك لو وقفت عليها غير مطاولة ولا ممكنة المَدّة لم تُوجد فى لفظك دليلا على أنك متذكر شيئا ، وهذا النوع لا يوجد فى القرآن الكريم لأن الله سبحانه جل عن أن ينسى شيئا فيذكره .

(٢) الخصائص ٣/١٢٥ .

والهمز صعب فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب [١] . أى الهمزة على حقها من شدتها وجهرها [٢] .

وقد حمل بعضهم المد للهمزة على المد لالتقاء الساكنين [٣] .

أما المد لالتقاء الساكنين أى لالتقاء حرف المد بساكن يليه فى الكلمة حالة الوصل فانه ضرورة دعت اليها ضرورة الحفاظ على هذا المد والحيلولة دون تحريكه ( بالهمزة ) أو حذفه يقول ابن الباذش :

" والمد لالتقاء الساكنين لابد منه ، الا ترى أنه لا يجتمع فى الوصل ساكنان فى كلامهم وأنه لابد من تحريك أو حذف وهذا المد ( المطل ) فى الضالّين وبابه عوض عن الحركة .. الا تراهم فى المنفصل ( أى اذا كان المد فى كلمة والساكن فى أخرى ) قد فروا الى الحذف نحو : " قالوا اطّيرنا " و " فسوف يأتى الله " [٤] وقد أكد ذلك السيوطى فقال : " ووجه المد للسكون التمكن من الجمع بين ساكنين فكأنه قام مقام حركة " [٥] .

ان التفسير الصوتى للمطل قبل الهمزة يمكن أن يضاف اليه أن الهمزة تقتضى وضع الغلق المحكم للأوتار الصوتية ، أما حرف المد

---

(١) النشر ١/٣١٤ .
(٢) نهاية القول المفيد ص ١٣٣ .
(٣) الاقناع لابن الباذش ١/٤٦٣ .
(٤) السابق ، نفس الصفحة .
(٥) الاتقان ١/٦٦

فانه يقتضى وجود فتحة ضيقة تنتج اهتزاز الوترين ومن ثم كانت الزيادة فى المد قبل الهمزة تمكين لوضع الاهتزاز وزيادة بيان لحرف المد ، أما عندما يلتقى حرف المد بساكن فان لذلك علاقة بنظام المقاطع الصوتية فى اللغة العربية لأن الذوق العربى لم يألف فى حالة الوصل أن يختم المقطع بصامت بعد حركة طويلة ومن ثم فان المقطع الرابع الذى يرمز له بـ ( ص + ح ح + ص ) من شأنه الا يأتى وصلا فاذا أوجب النظام الصرفى وروده ،كما فى صياغة فعل الأمر من الأجوف فان العرب تخلصت من ذلك بتقصير الحركة الطويلة فقالوا : بع وقل بدلا من بِيعْ وقُولْ ، وبهذا نفسر أيضا لماذا قصرت الحركة ، ( وهو ما عبر عنه العلماء العرب بالحذف ) فى مثل قالوا اطيرنا " حيث قُصِّرَت واو المد وأصبحت ضمة " (١) .

ان هناك صيغا أخرى لا يصلح فيها هذا النوع من تقصير الحركة الطويلة أو حرف المد حيث يؤدى ذلك الى اللبس والتداخل بين صيغة وأخرى ، من ذلك على سبيل المثال التباس صيغة الرباعى ( فَاعَلَ ) بصيغة الثلاثى ( فَعَلَ ) من المضعف مثل حَاجَّ وحَجَّ ، وكما فى التباس صيغة المصدر بصيغة اسم الفاعل فى مثل رَدّ ورَادّ وفى هذه الحالة فإن العربية تحاول أن تحافظ على أمن اللبس بالابقاء على الحركة الطويلة مع مطل فيها حتى تأمن من التقصير الذى يؤدى

---

(١) وهكذا تغيرت بنية المقطع الثانى فى " قالوا اطيرنا " من ص + ح ح + ص الى ص + ح + ص .

الى اللبس •

أما اذا كان السكون الذى يلى الحركة الطويلة ليس مما تقتضيه ضرورة الصياغة التصريفية بأن يكون عارضا للوقف فانه أى المطل حينئذ يصبح أمرا جوازيا حيث يغتفر فى الوقف ما لا يغتفر فى الوصل لاختلاف طبيعة التكوين المقطعى فى الحالتين •

## أنواع المد وأحكامه :

للمد أنواع عديدة وألقاب مختلفة أوصلها بعضهم الى أربعة وثلاثين نوعا [1] وسنكتفى هنا ببيان أهم الأنواع وأحكامها • وفقا للمجمع عليه من ذلك أو ما جاءت به رواية حفص عن عاصم ، وقد سبق أن ذكرنا أن المد قد يكون بسبب الهمزة أو الساكن فان كان بسبب الهمزة فقد يكون متصلا بها فى كلمة واحدة وقد يكون منفصلا عنها بحيث يكون المد فى آخر كلمة والهمزة فى بداية الكلمة التالية ، فاذا كان المد بسبب الساكن فاما أن يكون هذا السكون لازما واما أن يكون عارضا ويتحصل من ذلك أربعة أنواع هى :

١ــ المد المتصل وهو الذى ترد فيه الهمزة بعد حرف المد [2]

---

(١) ذكر صاحب نهاية القول المفيد من ذلك واحدا وعشرين نوعا ، انظرها وألقابها فى النهاية ص ١٤٠ •

(٢) قد ترد الهمزة قبل حرف المد فى مثل آمنوا ، و " نأى " الخ وقد اختلف فيه أهل الأداء بين من يمد ( يمطل ) أو يقصر كما اختلفوا أيضا فى مرتبة هذا المد •
انظر النشر ١/٣٣٨ •

فى كلمة واحدة ومن أمثلته " وما تشاءون الا أن يشاء الله "
وحكمه وجوب المد باتفاق القراء •

٢ـ المد المنفصل وهو أن يأتى حرف المد فى آخر الكلمة وتأتى الهمزة فى أول الكلمة التالية • ومن أمثلته قوله تعالى : " •• بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك •• " وحكمه جواز المد والقصر حيث مده أكثر القراء وقصره بعضهم ( ابن كثير والسوسى ) وقد اختار عاصم المد [1] ومن ثم فلابد من مده عند من قرأ بقراءته

٣ـ المد اللازم وذلك اذا جاء بعد حرف المد ساكن لزوما فى كلمة واحدة [2] وقد سمى بذلك اما لانه يلزم فى كل قراءة على قدر واحد[3]• واما أن يكون على حذف مضاف أى ذو الساكنة وقد يسمى أيضا بمد العدل ولهذا المد صور أربع :

الاولى : أن يكون الساكن الذى بعد حرف المد مدغم وجوبا مثل : " الطّامّة • الصّافّات " ويطلق على هذه الصورة " اللازم الكلى المثقل " •

---

(١) نهاية القول المفيد ص ١٣٤ •

(٢) فان التقى حرف المد بساكن فى كلمة أخرى وجب تقصيره كما فى قوله تعالى " سندع الزبانية " ويعبر الصوتيون العرب وعلماء الأداء عن هذه الحالة بالحذف •

(٣) وقيل سمى لازما للزوم سببه فى حالى الوصل والوقف • انظار النشر ٣١٧/١ ونهاية القول المفيد ١٣٧ •

الثانية : أن يكون بعد حرف المد ساكن لغير الادغـــام وسكونه لازم حالتي الوصل والوقف وذلك كما في قوله تعالى : " آالآن " وذلك بابدال الهمزة ألفا عنه جميع القراء عدا نافع وكما في محيايْ بسكون الياء في قراءة نافع ، ويطلق على هذه الصورة " اللازم الكلمي المخفف " .

الثالثة : أن يكون حرف المد وسطا وبعده ساكن غير مدغم في فواتح السور المكونة من ثلاثة أحرف كما في " ن " " ق " ويطلق على هذه الصورة " اللازم الحرفي المخفف " .

الرابعة : أن يكون حرف المد في فواتح السور وبعده ساكن مدغم كما في " الم " حيث أدغمت ميم " لام " في الميـــم الاولى من ميم وتسمى هذه الصورة باللازم الحرفي المثقل (١)

٤ـ المد العارض وضابطه أن يأتي بعد حرف المد ساكن عـارض اما للوقف كما في " العَالَمِينْ " و " الدِّينْ " و " نَسْتَعِينْ " واما للإدغام عند بعض القراء وذلك مثل الإدغام الكبير عنـــد أبي عمرو كما في قوله تعالى : " فلا أَنْسَابْ بَيْنَهُم " حيـــث عرض السكون في باء أنساب لأجل الادغام والأصل في ذلك أن تحرك بالفتح عند غير أبي عمر ، وحكم هذا النوع جـــواز المد لاجتماع الساكنين اعتدادًا بالعارض والقصر لعـــروض

---

(١) انظر هذه الصور في المرجعين السابقين ، نفس الصفحات ، ومقارنة بالمدخل إلى علم الأصوات ص ١٢٠

السكون وعدم الاعتداد به ، ويجوز أيضا أن يجعل في منزلة وسط بين القصر والمد .

...

مراتب المد :

اختلف العلماء في تقدير المدة الزمنية التي يستغرقها المطل أو المد وقد وصل بعضهم بذلك الى سبع مراتب أولاها القصر وقدّرت بحركتين أي بمقدار بسط الاصبع وقبضه ، ويسمى هذا بمقدار الف ، والثانية قدرت بألفين أو ألف ونصف والثالثة فوقها قليلا وهى بمقدار ثلاث ألفات وهى مرتبة التوسط وقدرت الرابعة بأربع ألفات والخامسة فوق الرابعة قليلا وقدرت بخمس ألفات أو بأربع ونصف والسادسة فوق ذلك وقدرت بخمس ألفات عند من قدر الخامسة بأربع ونصف والسابعة بمقدار ست ألفات وهى الافراط .

يقول ابن الجزرى : اعلم أن هذا الخلاف لا تحقيق وراءه بل يرجع الى أن يكون لفظيا وذلك أن المرتبة الدنيا وهى القصر اذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية ثم كذلك حتى تنتهى الى القصوى ... ثم قال — لا فض فوه — وهذا تحكمه المشافهة وتوضحه الحكاية ويبينه الاختيار " (1) .

والذى روى عن عاصم أنه يمد المتصل والمنفصل بمقدار أربع حركات أو خمس (2) ووجه التفاوت فى هذا المد ( المطل ) انما هو

---

(1) النشر ١/٣٢٩ .

(2) نهاية القول المفيد ص ١٢٤ وقارن بـ المدخل الى فن الاداء ص ١٢٨ .

لمراعاة سنن القراءة وذكر صاحب البرهان أن أقوى المدود اللازم فالمتصل فالعارض للسكون فالبدل فالمنفصل وقد أشار الى ذلك بعضهم فقال :

أقوى المدود لازم فما اتصل
فعارض فذو انفصال فبدل (١)

• • •

واذا جاز لنا أن نستخدم وسائل القياس الحديثة فاننا نستطيع أن نقدر هذه المراتب بأجزاء من الثانية فنقول اذا كان متوسط طول حرف المد هو كما قدره العانى فى حال الانفراد (٢) بـ ٦ر من الثانية (٣) فان المد بمقدار ألفين يكون ٢ر١ من الثانية والمد بمقدار ثلاث ألفات ٨ر١ من الثانية وهذه هى المرتبة التى أطلقوا عليها مرتبة التوسط ونستطيع على ضوء ذلك أيضا أن نقدر المد فى قراءة حفص عن عاصم بأنه يتراوح — وفقا للمروى عنه — بين ٤ر٢ و ٣ ثوانى • أى بين أربع وخمس ألفات •

---

(١) البرهان فى تجويد القرآن للشيخ قمحاوى ص ٢٥ •

(٢) أما التقدير السابق وهو من ٢٢٥ الى ٢٥٠ فهو للحركة فى السياق ( أنظر ص ٨ ) •

(٣) أنظر AL-ʾāny . Arabic Phonologie P. 26

(٤) وهذا يكون تقدير الألفات فى المراتب المختلفة أى بمقدار ٦ر من الثانية •